

منظمة المؤتمر الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول



المصحف الشريف

المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه

نسخة متحف طوپ قاپي سرايي

دراسة وتحقيق
الأستاذ الدكتور طيار آلتي قولاج

تقديم
الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي

استانبول ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

سلسلة نصوص محققة؛ ١
ISBN 978-92-9063-166-8

منظمة المؤتمر الإسلامي
مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول

İslâm Konferansı Teşkilâtı
İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi (IRCICA)

Barbaros Bulvarı, Yıldız Sarayı, Seyir Köşkü
34349 Beşiktaş, İstanbul, Türkiye
Tel: +90 212 259 17 42
Faks: +90 212 258 43 65
ircica@ircica.org
www.ircica.org

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م

مطبعة نمونه باستانبول

فهرسة وتصنيف مكتبة إرسيكا

القرآن الكريم . بالعربية

المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان (رضي الله عنه): نسخة متحف طوب قابي سرايى/ دراسة وتحقيق طيّار آلتي قولاج؛ ترجمة إلى العربية صالح سعداوي؛ تقديم أكمل الدين إحسان اوغلى؛ تصدير خالد ارن. — طبعة محققة. — استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٧م.

[٦]، ١١٧، ٨٢٠، ١٠٩، [٦] ص. — ٢٩ سم— . (سلسلة نصوص محققة؛ ١)

يحتوي هوامش.

بيليوغرافيا: ص. ١١٥–١١٧.

النص العربي والدراسة بالعربية والتركية.
ISBN 978-92-9063-166-8

١. القرآن الكريم. بالعربية. ٢. القرآن الكريم—تاريخ. ٣. القرآن الكريم—دراسة وتحقيق. ا. آلتي قولاج، طيار. ب. إحسان اوغلى، أكمل الدين. ج. ارن، خالد. د. سعداوي، صالح. هـ. العنوان. و. السلسلة.
297.1224

شكر وتنويه

تقديراً لمساعيه الحميدة ومواقفه النبيلة في خدمة الثقافة الإسلامية

وعرفاناً بجهوده الدائمة ودعمه السخي لأنشطة المركز

يسرنا أن نزجي أسمى آيات الشكر والعرفان

للشخصية الإسلامية المتميزة سمو الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى / حاكم الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

وأن ننوه هنا بأن هذا المصحف طبع على نفقته الخاصة

فهرس المحتويات

جدول الاختصارات

نفس المصدر	*a.e.*
المصدر السابق	*a.g.e*
نفس المؤلف	*a.mlf.*
انظر فيما يلي	aş.bk
انظر	bk.
الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي	*DİA*
دائرة المعارف الإسلامية	*İA*
قارن	krş.
مكتبة	Ktp.
رقم	nr.
الإعداد للنشر، التحقيق	nşr.
وفاة	ö.
صحيفة	s.
سطر	str.
عدد	sy.
وقف الديانة التركي	TDV
متحف الآثار التركية والإسلامية	TİEM
ترجمة	trc.
بدون تاريخ	ts.
وما بعدها	vd.
ورق	vr.
بدون محل نشر	y.y.

تصدير

الدكتور خالد أرن
مدير عام إرسيكا

كان هدف إرسيكا منذ نشأته ـ ولا يزال ـ عرضَ الحضارة الإسلامية والتعريف بها على مدى التاريخ الإسلامي وخلال تطورها في العصر الحاضر بالشكل الأمثل والأصدق، وكان من الغايات الأساسية التي ينشدها على هذا السبيل هو الارتقاء بمستوى البحوث التي تجرى على أمهات مصادر الحضارة الإسلامية، ثم المشاركة بعد ذلك في تقديم كل هذا في صورة منشورات وأبحاث علمية إلى كافة المعنيين والإنسانية جمعاء. وهذا الكتاب الذي بين أيديكم إنما يضيف حلقةً ذهبيةً جديدة في سلسلة الخدمات التي اضطلع بها إرسيكا منذ قيامه عام ١٩٨٠م: إذ نقدم اليوم طبعة طبق الأصل مصحوبة بتحقيق دقيق للمصحف الشريف المشهور بمصحف سيدنا عثمان والمحفوظ في متحف سراي طوپ قاپي، ونضع بين يدي القارئ نسخةً أخرى من القرآن الكريم الذي هو عمود الدين الإسلامي ووثيقة التصديق على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسبيل الهداية للمؤمنين والكتاب الذي أنزل للناس جميعاً يهديهم إلى الصراط المستقيم، وكتاب الكائنات المعجز الذي لا نظير له في ألفاظه ومعانيه.

وقد قام بالتحقيق العلمي لهذا المصحف وتولى إعداده للنشر الدكتور طيار آلتي قولاج أحد كبار الخبراء في علوم القرآن في تركيا والرئيس الأسبق لهيئة الشئون الدينية والنائب في مجلس الأمة عن دائرة استانبول. وهذا العمل هو ثمرة البحث الذي قام به بمنهج علمي سليم معتمداً على علمه وخبرته، ونحن على ثقة أنه سوف يثير الاهتمام في الأوساط الأكاديمية ويضيف إسهاما مهماً إلى البحوث في هذا المجال.

ومن الطبيعي في إطار الأعمال التي يقوم بها إرسيكا عن المصادر الأساسية في الحضارة الإسلامية أن يحظى القرآن الكريم بموقع الصدارة. فقد كان أول مشروع أقدمنا عليه هو «ببليوغرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم»، وصدر الجزء الأول منه في مجلد كبير عام ١٩٨٦م بعنوان (الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم ــ الترجمات المطبوعة ١٥١٥ـ١٩٨٠م). وعن الترجمات المخطوطة فقد أصدرنا (الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة ـ الجزء الأول/ استانبول ٢٠٠٠م)، ويضم الترجمات المخطوطة في ثماني وخمسين لغة عدا اللغات: الفارسية والأوردية والتركية التي تمثل أكثر اللغات احتضاناً لترجمات القرآن.

ولسوف تظهر بإذن الله ببليوغرافيا الترجمات الأوردية خلال المدة القريبة القادمة، أما الترجمات المخطوطة بالتركية والفارسية فلا يزال العمل جارياً لإعدادها. والجدير بالذكر هنا أن أحد الاجتماعات الدولية الأولى التي عقدها إرسيكا كان ندوةً نُظِّمَتْ في سنة ١٩٨٦م في استانبول بعنوان «ترجمة القرآن الكريم».

وفي السياق ذاته قام إرسيكا أيضاً بطباعة مصحفين تاريخيين مختلفين، أولهما صورة طبق الأصل مصححة من المصحف المحفوظ في مكتبة غازي خسرو بك في سراي بوسنه، والذي كتب برسم طغرول بك السلطان السلجوقي في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م، ثم عُرف فيما بعد باسم مصحف فاضل باشا (٢٠٠٢م). أما الثاني وهو أيضاً صورة طبق الأصل فقد صدر عام ٢٠٠٥م بعد التصحيح لمصحف عُرف بأنه أول مصحف جرت طباعته على صعيد العالم الإسلامي في مدينة قازان عاصمة تتارستان عام ١٨٠٣م.

وإذ ينشر إرسيكا اليوم مصحف سيدنا عثمان المحفوظ في سراي طوپقاپي ويقدمه لعالم الثقافة باعتباره وثيقة تاريخية مهمة ومصدراً أساسياً في حضارتنا الإسلامية فإننا نشعر بسعادة غامرة ونحن نرى أنفسنا وقد أدينا عملاً مهماً في منظومة أعمالنا التي نعتبرها واجباً من الواجبات الملقاة على عاتقنا. والمصحف المذكور هو المسجل حالياً في متحف سراي طوپقاپي تحت رقم (H.s.32)، والمعروف باسم "مصحف سيدنا عثمان" أو "مصحف طوپقاپي»، وهو على حد علمنا واحد من أقدم المصاحف الشريفة التي وصلتنا.

وقد قام الدكتور طيار آلتي قولاج ببحث تاريخ هذا المصحف، وذكر المنهج الذي جرى عليه في إعداده للنشر، وشَرَحَ كل ما ساق من معلومات بالشكل الذي يُرضي القراء من كل المستويات. وهنا أَعَدَّ لنا بحثاً ممتازاً تناول الموضوع من زوايا مختلفة، أهمها كتابة المصحف والقراءات المعروفة للقرآن الكريم وغير ذلك.

ومما لا شك فيه أن لمصحف طوپقاپي مكانةً متميزةً وأهميةً خاصةً بين نسخ المصاحف القديمة الأخرى؛ فهو مع نقص ورقتين فقطِ منه (٢٣ آية قرآنية) يكون المصحف الأقرب إلى التمام بين المصاحف التاريخية الموجودة. وتحتوي هذه النسخة أيضاً على مواضع هنا وهناك تصعب قراءتها كما سنرى من خلال الأمثلة والتفاصيل التي وردت في دراسة الدكتور طيار آلتي قولاج. وهذه المواضع قد تمت قراءتها بكل الدقة والاهتمام والمثابرة من خلال القرائن والأمارات المختلفة، حتى تم الوصول إلى نص يتفق والنص الأصلي الأول.

وقد سُررنا غاية السرور لأن يصبح هذا العملُ الهام واحداً من بين منشورات إرسيكا. وأنتهز هذه الفرصة لكي أعربَ عن جزيل شكري للدكتور طيار آلتي قولاج، كما أشكر بوجه خاص وزارة الثقافة والسياحة التركية التي سَمَحَتْ لنا بالنشر، وكذلك إدارة متحف طوپقاپي التي لم تبخل بدعمها الذي لولاه لما خرج هذا العمل الهام إلى النور. كما يطيب لي في هذا المقام أن أتوجه بشكري الخاص إلى الرجل الذي تحمل نفقات طباعة هذا المصحف، الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. ويطيب لي في هذا السياق أن أتقدم بأسمى آيات الشكر إلى الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، فهو الذي كان ينشد طبع مصحف سيدنا عثمان منذ السنوات الأولى من عمل المركز، فلما علم بقيام الدكتور طيار آلتي قولاج بإعداد هذا المصحف للنشر سعى لتوفير الدعم المالي الذي سبق ذكره، حتى يكون ذلك العملُ واحداً من منشورات إرسيكا.

تقديم

ملاحظات تاريخية وكودكولجية على مصحف طوپ قاپي المنسوب إلى الخليفة عثمان بن عفان

أكمل الدين إحسان أوغلى*

يتشرف مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا) بطباعة ونشر هذا المصحف الذي اشتهر على مرّ السنين بأنه مصحف سيدنا عثمان، وظل محفوظاً لأمد طويل في قصر طوپ قاپي مقر السلاطين والخلفاء من آل عثمان، ثم صار في حوزة خزائن القصر بعد أن أصبح متحفاً مفتوحاً لكل القاصدين من محبي الآثار والفنون الإسلامية من مختلف أنحاء العالم.

وفي نفس الوقت فقد دأب إرسيكا منذ بواكير نشاطه في عام ١٩٨٠، الذي صادف الاحتفالات الدولية بقدوم القرن الخامس عشر الهجري، أن يكون القرآن الكريم في بؤرة عنايته أثناء الاحتفال بهذه المناسبة. وقام بالعديد من الفعاليات والإصدارات العلمية التي تتصل بتراث الإسلام الحضاري، وجعل نصب أعينه الاعتناء بالقرآن الكريم مصدر حضارة الإسلام وينبوعها الذي لا ينضب. فعمل في عدة مجالات منها نشر المصاحف ذات الأهمية التاريخية أو الفنية[١]، وكذلك إعداد دراسات عن ترجمات القرآن وانتشاره في لغات شعوب الأرض[٢]. وكان المصحف المنسوب إلى سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) هو أحد الأهداف الكبيرة لخطة النشر؛ وظل اهتمامنا به منذ أول يوم حتى وفقنا الله بعد جهد كبير إلى نشره، وخاصة بعد أن اتضحت لنا منهجية النشر وتوفرت لذلك الإمكانات.

---

* المدير العام المؤسس لإرسيكا (١٩٨٠- ٢٠٠٤م) والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي حالياً.

١ نشر المركز نماذج عديدة من صفحات المصاحف التاريخية ذات القيمة الفنية الرفيعة التي تتميز بخطوط وزخارف بديعة في كتاب «فن الخط» الذي اعد تحت إشرافنا؛ وقد صدر هذا الكتاب في عدة لغات بالعربية (١٩٩٠م)، والتركية (١٩٩٢م)، والإنكليزية (١٩٩٨م)، واليابانية (١٩٩٦م)، ولغة البهاسا (الملايو) (٢٠٠٠م). ثم قام المركز بنشر المصاحف التالية:
- المصحف الذي كتبه المرحوم أشرف قوفاتشافيتش بعد استقلال البوسنة والهرسك (قرآن كريم، استانبول ١٩٩٧م).
- المصحف التاريخي المؤرخ في ١٢٦٥هـ والموجود في مكتبة الغازي خسرو بك في سراى بوسنه (٢٠٠٢م).
- المصحف المطبوع سنة ١٨٠٣م في قازان عاصمة جمهورية تتارستان لاول مرة في الإسلام (١٩٩٢- ٢٠٠٥م).

٢ قام المركز بإعداد ببليوغرافيات لترجمات معاني القرآن الكريم تحت إشرافنا، وبدأ نشرها عام ١٩٨٦م:
- الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المطبوعة ١٥١٥ - ١٩٨٠م (استانبول ١٩٨٦م).
- الببليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة، الجزء الأول (٢٠٠٠م).
وهو بصدد استكمال هذه الببليوغرافيات حيث ستصدر هذا العام ببليوغرافيا ترجمات معاني القرآن الكريم المخطوطة بالاوردية.

وقد سبق للمركز أن نشر من خزائن متحف قصر طوپ قاپي عدة كتب تعتبر من أهم مصادر الفنون الإسلامية. حيث قام بنشر كتاب عن مفاتيح الكعبة وأقفالها تحت عنوان «الكعبة المشرفة : دراسة أثرية لمجموعة أقفالها ومفاتيحها المحفوظة في متحف طوپ قاپي باستانبول» (إستانبول ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ثم أعقب ذلك بنشر كتاب أستار الكعبة المشرفة (استانبول ١٩٩٦م)، كما نشر كتاب السيوف الإسلامية (بالعربية والإنجليزية / استانبول ٢٠٠٠ – ٢٠٠٢). واستعان في غضون ذلك بخبراء المتحف وأساتذة تاريخ الفنون الإسلامية من أجل إعداد هذه الدراسات.

وقد بدأ مشروع نشر المصحف المنسوب لسيدنا عثمان في عام ١٩٩١ حيث كنتُ قد خاطبتُ إدارة المتحف ووزارة الثقافة التركية التي يتبعها المتحف من أجل ذلك. ووافقت الوزارة مشكورة، وتم عقد اتفاق في سنة ١٩٩٩ بين المركز والمتحف ينظم أسلوب التعاون وحقوق النشر[٣].

كانت أمنيتي أن نقوم بنشر هذا المصحف الذي ذاعت شهرته في الآفاق والذي لم يسبق أن نشر منه غير صور معدودة لبعض صفحاته. ولم يكن الأمر يسيراً، لأن نشره كان ينبغي أن يكون مصحوباً بدراسة له تبيّن حقيقة أمره وموقعه في تاريخ المصاحف القرآنية. وكانت بداية تحقيق هذه الأمنية أن أظهر الأستاذ الدكتور طيار آلتي قولاج، الرئيس الأسبق للشؤون الدينية بجمهورية تركيا وأحد علماء القراءات البارزين في زماننا، اهتمامه في عام ٢٠٠٢ بدراسة هذا المصحف[٤].

وقد قام مشكوراً بإعداد هذا المصحف للنشر وقرأه وعَارَضَه بما استقر عليه المصحف العثماني في يومنا هذا مستخدماً نسخة المصحف المطبوعة في مطبعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وقَدّم له بدراسة ضافية عن مسألة رسم المصحف، وهل هو توقيفي أم غير ذلك. وبهذه المناسبة بَيّن الدكتور طيار وهو الخبير بعلم القراءات رأيه في الكيفية التي يمكن للمصحف أن يكتب بها في يومنا هذا. وقارن بين هذا المصحف ومصحف طشقند الذي نُسب هو الآخر إلى سيدنا عثمان، وأتْبَع ذلك بجدول يبين الفروق الإملائية بين المصاحف العثمانية. كما عَرّفَتها المصادر المبكرة وبين مصحفي طشقند وطوپ قاپي.

---

٣ بدأت الاتصالات الرسمية بين إرسيكا ووزارة الثقافة في الجمهورية التركية في ٢٠ سبتمبر ١٩٩١ بعد أن قام المركز وخبراؤه بدراسة الموضوع. وهنا أجد من الواجب الأدبي أن أذكر بالخير والرحمة الأستاذ أحمد منتش مدير المتحف آنذاك، إذ كان الفضل لموقفه الإيجابي في أن يبدأ المشروع رسمياً، وكذلك أشكر الدكتورة فيليز جاغمان رئيسة قسم المخطوطات بالمتحف ومديرته لاحقا التي ذللت كثيراً من الصعاب في المرحلة الثانية من المشروع، سواء كان فيما يتعلق بالتصوير الدقيق للمخطوطة أو اتخاذ كافة الإجراءات الفنية.

كما يسعدني هنا أن أوجه الشكر إلى مسئولي وزراء الثقافة الذين لم يدخروا جهداً في تخطي كل العقبات التي صادفت المشروع، وأخص بالذكر الوزير استميخان طالاي (١٩٩٧ – ٢٠٠٢).

٤ ولد الدكتور طيار آلتي قولاج في إحدى قرى ولاية قسطموني في عام ١٩٣٨م، وأتم حفظه للقرآن الكريم في التاسعة من عمره، وتلقى مبادئ العلوم الدينية في بلدة دوركاني من أعمال ولاية قسطموني ثم انتقل إلى استانبول حيث أتم دراسته المتوسطة والثانوية بمعهد الأئمة والخطباء، وواصل تعليمه العالي بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية في عام ١٩٦٣. وبعد تخرجه عمل في التدريس بالمدارس الدينية والثانوية، ثم التحق بجامعة بغداد (١٩٦٧– ١٩٦٨) حيث تخصص في اللغة العربية وآدابها. وحصل على درجة الدكتوراه في علم التفسير.

وقد عمل نائباً لرئيس الشؤون الدينية في الفترة من ١٩٧١– ١٩٧٦م، ثم مديراً عاماً للتعليم الديني بوزارة المعارف (١٩٧٦–١٩٧٧)، ثم رئيساً للشؤون الدينية (١٩٧٨– ١٩٨٦م). وله فضل كبير في إرساء كثير من النشاطات والمؤسسات الدينية في تركيا وبين المسلمين الأتراك المهاجرين إلى أوروبا. وهو كذلك صاحب الفضل الكبير في تأسيس وقف الديانة التركي وكذلك مركز الدراسات الإسلامية ISAM ودائرة المعارف الإسلامية التي صدر منها حتى الآن اثنان وثلاثون مجلداً، وشارك هو نفسه في تحرير العديد من موادها. وما زال مستمرا في عمله في الخدمة العامة عضواً في البرلمان التركي، حيث يرأس اللجنة البرلمانية للتعليم والثقافة. وقد سجل المصحف المرتل بصوته لأول مرة في تركيا، ونشر العديد من كتب التراث في علم القراءات، مثل:

– أبو شامة المقدسي: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، بيروت: دار صادر ١٩٧٥م.

– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، استانبول: وقف الديانة ١٩٩٥م.

وله من الأعمال في خدمة العالم الإسلامي دعوته للمؤتمر الشهير لتوحيد التقويم الهجري في سنة ١٩٧٨ باستانبول.

والجدير بالتنويه هنا أن تحقيق الأمنية لم يكتمل إلاّ بالدعم السخي الذي قَدَّمَه حضرة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، والذي عَوّدنا في إرسيكا على كرمه في رعايته للأعمال الثقافية الجادة التي تخدم التراث الإسلامي والذي لم يدخر، حفظه الله، وسعاً في تحقيق آمالٍ جسام لم يكن بالوسع القيام بها دون دعمه الخيّر.

* * *

إن هذا المصحف الشريف الذي يُحفظ أصله في متحف قصر طوپ قاپي كان قد أهدي للسلطان العثماني محمود الثاني في عام ١٢٢٦هـ (١٨١١م) من طرف والي مصر محمد علي باشا[٥].

وقد وُضعت على بداية المصحف (في الورقة 3b) فقرة باللغة العثمانية محررة في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٢٦هـ (١٢ حزيران ١٨١١م) تبيّن بشكل واضح كيفية انتقال هذا المصحف الشريف إلى قصر طوپ قاپي والصورة التي حُفظ بها في دائرة الأمانات المقدسة المعروفة باسم «خرقهء سعادت أوطه سي»، أي القسم الخاص بالقصر الذي أنشئ أيام السلطان سليم الأول، والذي حُفظت به البردة الشريفة وكل ما يتعلق بآثار الرسول الكريم وصحابته رضوان الله عليهم.

وتخبرنا العبارات المسطرة بخط الرقاع الجميل والمنمّقة بأسلوب عثماني بديع أن هذا المصحف المكتوب بخط كوفي من «الظاهر والجلي» هو من خط الخليفة عثمان وقلمه، وأن هذا معلوم لدى «الصغار والكبار»، وأنه كان محفوظا في خزانة «قاهرة مصر»، وأنه كان مصدر «يُمن وبركات» لمدة مديدة، وأنه كان محلّ زيارات وتكريم وقراءة «الأركان والأعيان» و«الساكنين بها والزائرين» لها. وأن الوالي محمد علي أراد إهداءه إلى السلطان محمود الثاني المعروف بالسلطان محمود العدلي في سنة ١٢٢٦هـ باعتباره «تحفة كريمة» و«هدية بهية» «لازمة التعظيم» وأنه بهذا قد «أرجعه إلى أصله» حيث أن السلطان العثماني هو وارث «الدين والدولة المحمدية»، وأنه لذلك قد وُضع في دائرة الأمانات المقدسة وأن وصوله إلى يد السلطان هو «فأل خير» و«باعث للفيض والبركة»، وأنه بوضعه في هذا المكان سيكون محلاً لـ«التعظيم والتكريم».

وقد حُفظت هذه النسخة النادرة في القصر منذ عام ١٨١١م حتى يومنا هذا، وظلت كما جاء في هذه السطور، محل تعظيم الخلفاء من آل عثمان الذين جاءوا بعد السلطان محمود الثاني وكل من كان معهم من رجال الدين والدولة إلى نهاية عهد الخلافة العثمانية. ولما تحوّل القصر في عام ١٩٢٨م إلى متحف مفتوح أمام عامة الزوار ظل المصحف الذي اشتهر بأنه أحد مصاحف سيدنا عثمان محل رعاية واهتمام إدارة المتحف، كما غدا مزاراً لكل المسلمين والمهتمين بالفنون والآثار الإسلامية.

إن الحادثة التاريخية التي أشرنا إليها فيما سبق كانت هي السبب الذي أدى إلى اشتهار هذا المصحف الكوفي بأنه أحد المصاحف العثمانية، أي التي كتبت وانتشرت بأمر الخليفة الراشد عثمان بن عفّان وأرسلت إلى الأمصار المختلفة.

---

٥ حفظ هذا المصحف في مكتبة المخطوطات النادرة بقصر طوپ قاپي تحت رقم H.S 194 ومن ثم ظهر في فهرس المخطوطات العربية لمكتبة القصر الذي صنفه المرحوم فهمي ادهم قراطاي، وهكذا ورد ذكره في بعض الإشارات وأهمها ما كتبه الأستاذ صلاح الدين المنجد في كتابه: دراسات في تاريخ الخط العربي، ص٥٥. وقد تغير رقم المصحف فيما بعد إلى H.S 22، ثم اعيد ترقيمه مؤخراً إلى ٤٤/٣٢.

وكانت المصاحف الكوفية المبكرة ـ المكتوبة على الرق وذات الأحجام الكبيرة التي كانت تحفظ في الجوامع ـ قد اشتهرت بين الناس بأنها مصاحف عثمان بن عفان. وهناك نماذج لهذه المصاحف في العواصم القديمة وإن لم تصلنا كاملةً. ويذكر المقريزي في خططه ثلاثة من هذه المصاحف منها اثنان كانا في جامع عمرو بن العاص، وأحدهما تم نقله إلى المدرسة الفاضلية[٦]. وقد انتقل المصحف المحفوظ في المدرسة الفاضلية في نهاية المطاف (في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) إلى المسجد الحسيني بالقاهرة حسب رواية أحمد تيمور باشا[٧].

ولعل المصحف الذي أهداه محمد علي باشا إلى الخليفة العثماني هو أحد المصحفين الأخيرين اللذين ذكرهما المقريزي. إذ يروي المقريزي أن عبد العزيز بن مروان والي مصر من طرف أخيه عبد الملك بن مروان لما لم يكتف بالمصحف الذي أرسله إليه الحجاج أمر أن يُكتبَ له مصحفٌ عُرِفَ فيما بعد بمصحف أسماء (بنت أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان)، ووُضِع في المسجد الجامع (جامع عمرو بن العاص) للقراءة فيه حتى أتى رجل إلى مصر من أهل العراق وأحضر مصحفاً ذكر أنه مصحف عثمان وأنه الذي كان بين يديه يوم الدار وفيه أثر الدم. وكان إمام الجامع المذكور يقرأ فيه يوماً وفي مصحف أسماء يوماً حتى اقْتُصِر على القراءة في مصحف أسماء، وذلك في ٥ محرم سنة ٣٧٨هـ (٢٦ إبريل ٩٨٨م). وقد نقل مصحف عثمان هذا أو المصحف الإمام فيما بعد إلى المدرسة الفاضلية، ومنها إلى أماكن أخرى حتى وصل إلى المشهد الحسيني سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م كما سبق أن ذكرنا.

ومما لا شك فيه أن نشر هذا المصحف سواء صحت نسبته إلى الخليفة عثمان بن عفان أو لم تصح ـ كما يتضح من الدراسة ـ يُعتبر عملاً علميا ذا أهمية متعددة الجوانب. فنشره سوف يشكل حلقةً هامة في السلسلة الذهبية لدراسة القرآن الكريم التي لها تقاليدها الراسخة في الأدبيات الإسلامية، كما أنه يفتح آفاقاً في الدراسات الحديثة لتاريخ القرآن الكريم. وهذا النشر سوف يكون مصدراً للمقارنة بما يثبت من نصوص أقدم من مصحف طوب قابي، ونصوص كتبت بعده. وسوف يساعد على بيان خصائص الكتابات السابقة له واللاحقة عليه، ويضعها في منظور زمني. ومن أهم خصائص هذا المصحف أنه كامل باستثناء ورقتين ـ مما يضفي عليه أهمية خاصة بالمقارنة مع المصاحف الكاملة المؤرخة التي يرجع أقدمها إلى القرن الهجري الثالث (التاسع الميلادي)، وسوف ييسر نشره النظر في تاريخ المصاحف والنص القرآني بصورة ترتيبية تاريخية (كرونولوجية)، وهو كذلك سوف يتيح إمكانيات واسعة لدارسي علم المخطوطات (الكودكولجي) أي العناصر المادية للمخطوطات الإسلامية، وكذلك لدراسي تاريخ الكتابة العربية (الباليوغرافي).

ويقع هذا المصحف في ٤٠٨ ورقات من الرق بمقاس ٤١ x ٤٦ (٣٢ x ٤٠) سم، وسمك ١١ سم. ويلاحظ الناظر في عموم هذا المصحف اختلاف سمك الأقلام والخطوط التي كتبت به، وهذا أمر جدير بالدراسة المتعمقة. ولكن يمكننا هنا أن نسوق على سبيل المثال لا الحصر الاختلاف الملحوظ بين الخطوط التي كتبت به الصفحات من (1a) إلى (6b) وتلك الصفحات المرقمة من (7a) إلى (10b). كما يلاحظ أن عدد أسطر الصحيفة الواحدة في الأعم الأغلب ثمانية عشر سطراً. كما أن هناك عدداً من الصفحات التي تحتوي على ستة عشر أو سبعة عشر سطراً. بينما نجد أن أول وآخر صحيفتين من المصحف تحتويان كل منهما على أربعة عشر سطراً. وأن الصفحة

٦ خطط المقريزي، المجلد الرابع ١، ص ٣٠-٣٣، المجلد الرابع ٢، ص ٤٦٢، طبع دار الفرقان، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧ أحمد تيمور، الآثار النبوية، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٨-٤٢. وهذا المصحف محفوظ الآن في المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف بالقاهرة.

الأولى بها إضافات متأخرة بالمداد الأحمر في بداية كل من الفاتحة وسورة البقرة. ويمكن لنا أن نتصور أن بعض صفحات هذا المصحف قد غُيِّرت لسبب أو لآخر (لعَطَبها أو فقدانها) ثم أعيدت كتابتها وضُمت إلى نفس المصحف. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن هذا قد تم في أوقات متقاربة.

ولسوف يرى الدارس لمصحف طوپ قاپي الذي نحن بصدد التقديم له أن خطه الكوفي مكتوب بشكل متأنق بلغت فيه الحروف مرحلةً من التطور تبتعد به عن خطوط المرحلة الأولى التي كُتبت فيها المصاحف المنسوبة إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه (خلافته: ٢٣ – ٣٥هـ/ ٦٤٤ – ٦٥٦م)، والتي عُرفت بالمصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمان خلافته، والتي كتبت على الرق، وكانت تتميّز بالزوايا القائمة وبخلوّها من علاما ت التمييز بين الحروف المتشابهة ومن علامات الإعراب والإعجام وكذلك من العلامات الفاصلة بين الآيات أو المميزة للأعشار والأخماس والأجزاء[٨]. بينما يرى الدارس لمصحف طوپ قاپي هذا، أنه التزم بنقط الحروف على طريقة أبي الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩ هـ/ ٦٨٨ – ٦٨٩م)، وهي الطريقة التي ابتكرت بعد وفاة الخليفة عثمان، إذ يلاحظ أن أسلوب كتابة الحروف متطور عن أسلوب الخطوط الكوفية الأولى من حيث تناسب أشكالها والتزام علامات الإعراب.

وتتميز طريقة أبي الأسود الدؤلي في الإعراب بوضع النقط بمداد مختلف اللون عن المداد الذي كُتبت به الحروف والتي تتلخص في قوله «خُذ المصحف، وخذ صبغاً يخالف لون المداد، فإذا فَتحتُ شفتي فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركات «غُنة فأنقط نقطتين»[٩]. ونرى في مصحف طوپ قاپي التزاماً بمنهج أبي الأسود الدؤلي في وضع علامات الإعراب بشكل دقيق، وذلك بوضع نقاط حمراء فوق وجانب وأسفل الحروف ونقطتين إذا كان هناك تنوين حسب القاعدة.

وفيما يتعلق بإعجام الحروف فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/ ٧١٤م) بعد تفشي ظاهرة التصحيف في قراءة القرآن الكريم قد أمر في أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م) تلاميذ أبي الأسود الدؤلي بوضع إشارات على الحروف المتشابهة لمنع اللبس في نطقها، وهي المرحلة التالية على نقط الإعراب، وتتم بإهمال بعض الحروف المتشابهة وإعجام بعضها بنقاط أو خطوط صغيرة مائلة. وفي هذا المصحف الذي نحن بصدد نشره أمثلة غير مطردة على هذا الإعجام سوف نتناولها بالدراسة.

أما الإصلاح الذي أتى به الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩٧م)، والذي وضع فيه ثماني علامات للشكل عُرفتْ بشَكْل الشِعْر، وهي الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة، فلا نجد لها أثراً هنا، كما هو الحال في سائر المصاحف الكوفية المتقدمة. ولعل ما قاله الداني في هذا الصدد يوضح الحرج الذي لابس استخدام الشكل على طريقة الخليل والاكتفاء بالنقط على طريقة أبي الأسود

٨ حول تطور الكتابة العربية؛ أنظر القسم الأول من المقدمة التاريخية التي كتبها العالم الكبير المرحوم نهاد جتين لكتابنا فن الخط الذي سبقت الإشارة إليه والمعنونة «مولد فن الخط وتطوره حتى ظهور المدرسة العثمانية» (ص ١٤ – ٢٩ من الطبعة العربية). وكذلك كتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي. وانظر أيضاً إبراهيم شبوح: بعض ملاحظات على البرديات العربية المصرية المبكرة ومدى تأثرها بحركات إصلاح الكتابة العربية، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩م، (مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م)، جـ١، ص ١٥ – ٣٠.

٩ الداني (أبو عمرو): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦٠م، ص ٤ – ٧، وانظر له أيضاً: كتاب النقط والشكل، تحقيق احمد دهمان، دمشق ١٩٤٠م، ص ١٢٤ – ١٢٥.

الدؤلي الأمر الذي استمر في بعض المصاحف إلى نهاية القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين.» وترك استعمال شَكْل الشِعْر، وهو الشَكْل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق، اقتداء بمن ابتدأ النقط من التابعين واتباعاً للأئمة السالفين»[١٠].

وقد تعددت أشكال إشارات الإعجام بين نقط مجردة وخطوط صغيرة مائلة. أما النقط فهو المشهور، وهو يشبه نقط الإعراب، وهو ما يوجد في كثير من النماذج المؤرخة[١١]. أما نقط الإعجام الذي على هيئة خطوط مائلة، فقد اتخذت كصفة مميزة لإعجام المصاحف الكبيرة. وقد ظهرت ظاهرة الإعجام بالخطوط المائلة في كثير من النماذج للمصاحف المبكرة مثل مصاحف صنعاء، وتتكرّر هذه الخطوط المائلة على الحروف، فخط واحد تحت حرف الباء وخطان مائلان على حرف التاء وثلاثة على حرف الثاء .. وكذا على الحروف المتشابهة الأخرى. وقد اتخذت هذه الخطوط المائلة نفس لون المداد الذي كتب به المصحف - أي مداد المتن - وبخط رفيع لتفريقها عن نقط الشكل الذي يكون مدوراً وبمداد بلون آخر[١٢].

وباستعراض علامات الإعجام المستخدمة في هذا المصحف ومدى اطرادها يمكن لنا القول إن الخطوط القصيرة المائلة المكتوبة بخط رفيع جداً وبمداد أسود هي التي استخدمت كما جرى عليه العرف في المصاحف الكبيرة، وإن كان استخدامها ليس مطرداً عبر صفحات هذا المصحف.

كما تميزت حروف الباء والتاء والثاء عن بعضها البعض بوضع حركة واحدة (أي خط قصير مائل) تحت الحرف في الباء وحركتين فوق الحرف في التاء وثلاث حركات فوق الثاء. ونرى أن شكل كتابة حرفي النون والياء يشبه الحروف الثلاثة السابقة، إلا أن حرف النون تميّز بإعجامه بحركة واحدة فوقه والياء بحركتين أسفله. وفي هذه المجموعة المتشابهة نجد أن إعجام الثاء بحركاتها أقل اطرادا من بقية الحروف.

أما في حروف الجيم والحاء والخاء، فقد أعجمت الجيم بحركة أسفل الحرف والخاء بحركة أعلاه، أما الحاء فقد أهملت. وإذا نظرنا إلى أزواج الحروف التالية [د، ذ؛ ر، ز؛ س، ش؛ ط ، ظ،؛ ع، غ] فلا نجد هناك إعجاماً لأي منها، إذ ظل الأمر كما كان قبل استخدام علامات الإعجام. وفي نفس الوقت، نرى حرفي الصاد والضاد قد تم التفريق بينهما بإهمال الأول وإعجام الثاني بوضع حركة أعلاه. أما في حرفي الفاء والقاف فقد أعجم الأول بحركة من أعلاه والثاني من أسفله.

والملاحظة العامة التي يمكن لنا أن نثبتها هنا هي أن حركات الإعجام هذه لم تتكرر بصورة منتظمة من أول المصحف إلى آخره، حتى إننا نرى أحياناً عدم اطراد هذه العلامات في الصحيفة الواحدة، على عكس ما نراه من اطراد يكاد يكون كاملا في علامات الإعراب، أي النقاط الحمراء.

والآن لننظر بعد عنصر الكتابة إلى جوانب أخرى هامة في الدراسة الكودكولجية لهذا المصحف، ألاَ وهي أبعاده وأسلوب الزخرفة فيه.

١٠ الداني (ابو عمرو)، المحكم في نقط المصاحف، ص ٢٢.

١١ انظر نماذج من النقوش المبكرة والكتابات المتباينة من حجر وورق بردي إلى المسكوكات والكتابة الموجودة في قبة الصخرة بالقدس الشريف (عبد الله بن محمد بن عبد الله المنيف، دراسة فنية لمصحف مبكر، الرياض، ١٩٩٨، ص ١٣٤ - ١٤٤).

١٢ نفسه، ص ١٤٧ - ١٤٨.

إذ نرى أن مصحف طوپ قاپي ينتمي إلى مرحلة لاحقة للمرحلة التي كتبت فيها المصاحف التي أمر بها الخليفة عثمان بن عفان وتلك التي كتبت على نموذجها مباشرة. فلقد خلت النماذج المبكرة للمصاحف من عناصر الزخرفة لاعتمادها نموذج المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار والتي صارت مرجعاً لكتابة المصاحف وشكلت الأساس للمرحلة الأولى. وفي المرحلة التالية بدأ إدخال عناصر الزخرفة الهندسية والنباتية في شكل فواصل السور والآيات. وبدأ رسم فواصل السور بشرائط فيما بينها، وفواصل الآيات بدوائر صغيرة كل منها يحمل عناصر زخرفية معينة ملونة بألوان متنوعة.

وقد مكنتنا أوراق المصاحف التي تم اكتشافها في السنوات الأخيرة في سقف الجامع الكبير بصنعاء من تكوين فكرة واضحة عن المصاحف المبكرة، وخاصة المصاحف المكتوبة في العهد الأموي (٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م). وتبين من العديد من صفحات المصاحف التي جرت دراستها أن مصاحف العهد الأموي كانت ذات طابع رأسي (vertical) على عكس المصاحف العباسية ذات الطابع الأفقي (horizantal). كما تبين من الدراسة لبقايا بعض المصاحف الأموية أنها مزخرفة بطريقة فخمة، وأن زخارفها تشبه الزخارف الموجودة في قبة الصخرة بالقدس الشريف والجامع الأموي بدمشق والعديد من الآثار الأموية الأخرى[١٣].

فإذا نظرنا إلى مصحف طوپ قاپي وأبعاده لرأينا أنه ينتمي إلى مصاحف المجموعة الأولى، أي مصاحف العهد الأموي. كما نلاحظ تشابهاً كبيراً بين أسلوب زخرفته وأسلوب زخرفة نموذج مصحف صنعاء (في اللوحة رقم ١).

والدارس لزخرفة فواصل السور والآيات في مصحف طوپ قاپي يمكن له اعتبارها نماذج مبكرة تحتوي العناصر الزخرفية الإسلامية في نشأتها الأولى. وبالنظر إلى الأمثلة المختلفة التي يقدمها لنا هذا المصحف يلاحظ وجود تأثيرات للفن البيزنطي المتقدم زمنياً على ظهور عناصر الفن الإسلامي للزخرفة وذلك من استخدام الخطوط المتقاطعة والعناصر الزخرفية القديمة الأخرى التي تركت مكانها في مرحلة تالية للعناصر الزخرفية ذات الطابع الإسلامي البحت. وهذه العناصر الزخرفية المبكرة تعتبر مادة بحثية نادرة لدارسي تاريخ الفن الإسلامي وتطوره وتأثره في طور النشأة بفنون الأمم المتقدمة على الإسلام بعد أن انتشر في أراضيها، وتأثر المسلمون بتراثها وتمثلوه وأبدعوا على أرضيته تراثهم الرائع.

أما فواصل الآيات في مصحف طوپ قاپي (بعد كل آية، وخمس آيات، وعشر آيات) فإنها مرسومة على شكل دوائر صغيرة تحتوى على زخارف هندسية ونباتية متنوعة. ويلاحظ أن أغلبها مرسوم بالمداد الأسود فقط، بينما جاء بعضها ملوناً، كما يلاحظ عدم تناسق بعض هذه العلامات من ناحية الشكل والحجم، فمنها ما صَغُر ومنها ما كَبُر (2a- 6b) (انظر المجموعة I / اللوحة ٢). كما يلاحظ أيضا أنه أثناء كتابة المصحف لم يكن هناك اتساق دائماً في ترك فراغات مناسبة بين الآيات لوضع هذه العلامات فاضطر واضعها إلى تصغيرها تارة أو تكبيرها تارة أخرى أو وضعها فوق السطر.

ونرى من فواصل الآيات بوجه عام أنها رسمت على شكل دوائر صغيرة، ويبدو من انتظام محيط الدائرة أنها كانت تطبع بقالب ثابت ثم ترسم الزخارف المختلفة في داخلها سواء كانت على شكل هندسي (انظر المجموعة

١٣ انظر: R. Ettinghausen, Oleg Grabar, Marilyn Jenkins-Madina, *Islamic Art and Architecture (650 1250)*, Yale Univesity Pres, 2001, p.74. وانظر أيضاً نموذجاً من مصاحف صنعاء الأموية في اللوحة رقم ١ ولاحظ التشابه بين زخارفه وزخارف مصحف طوپ قاپي.

II/اللوحة ٢) أو على شكل نبات النفل (الوريقات الأربع) (انظر المجموعة III/اللوحة ٢) . ونرى بوضوح تأثر هذه الأشكال الهندسية بالفن البيزنطي، ومحاولات التخلص اللاحقة من تقاطعات الخطوط المستقيمة للبعد بها عن شكل الصلبان (انظر المجموعة III/اللوحة ٢)، وإن كنا نرى في بعض الأحيان نماذج واضحة للتقاطع وتأثيرات أخرى للعهد السابق على الإسلام.

كما نلاحظ وجود مجموعة مختلفة من فواصل الآيات في الأوراق (2a 6b, 11ab) (انظر المجموعة I/ اللوحة ٢)، حيث تأتي على شكل مجموعات من الدوائر وأنصاف الدوائر المتراكمة أو المتداخلة والتي رسمت باليد باستخدام اللون الأحمر بالإضافة إلى المداد الأسود. وهذه الإشارات موجودة فقط في الأوراق التي أشرنا إليها أعلاه (انظر أشكال المجموعة الأولى). وإذا أخذنا في الاعتبار ما أبديناه من ملاحظة على اختلاف الخط في هذه الأوراق عن بقية المصحف وكما ذكرنا من قبل لأمكننا القول إن هناك عمليات وضع أوراق جديدة ربما حدثت بدلاً من تلك التي عطبت أو ضاعت.

ويلاحظ هنا أن هذا المصحف يتميز بوضع فواصل دائرية ذات حجم أكبر بعد كل خمس أو عشر آيات، وكذلك فاصله مستطيلة الشكل بعد كل مائة آية. وقد لونت هذه الفواصل بألوان مختلفة عن بقية الفواصل. كما نرى أن العديد من الفواصل المستطيلة ــ وإن لم تكن كلها ــ قد احتوت في داخلها على كلمة "مئة". كما نلاحظ وجود فاصلة مستديرة أخرى بعد كل مائتي آية كتب في وسطها لفظ "مئتين" (انظر اللوحة ٣). وهذا يتكرر في سورة البقرة[١٤] وآل عمران والشعراء. أما سورة آل عمران التي تنتهي بالآية مائتين فلم ترد فيها هذه الفاصلة.

وقد رسمت فواصل السور متمددة أفقياً على هيئة مستطيل عريض ينتهي طرفه أحياناً بتقوير مشع. وقسمت الفواصل في داخلها إلى مثلثات ومربعات صغيرة غير متطابقة لوّنت بالأحمر والأخضر والأصفر والأسود (انظر اللوحة ٤). ويلاحظ أن فواصل السور لم تأخذ شكلاً نمطياً، ومن الواضح أن من قام بالزخرفة كان يملأ الفراغات الموجودة بين السور كما راق له الأمر. ونلاحظ في كثير من الأحوال أن المزخرف كان يتجنب طمس الحروف بالألوان فيعرّج الخطوط الزخرفية لتظهر الحروف واضحةً. كما أن المعوذتين في آخر المصحف (408a) كتبتا ضمن دائرة زخرفية محدّدة بخطين متوازيين بالحبر الأحمر، ويلاحظ وجود آثار زخارف أخرى خارجهما، ويبدو أن هذه الزخارف تأثرت من ظروف الجو كالحرارة والرطوبة وغيرها.

وإذا قارنّا مصحف طوب قابي بمصاحف القيروان المكتوبة على الرق لوجدنا بينها ملامح مشتركة. والدراسة المقارنة بين هذه النسخ من ناحية الخطوط التي كتبت بها والزخارف التي زيّنتها تبيّن أن صناعة المصاحف في تلك المرحلة قد قطعت شوطاً معيناً، وأن القواسم المشتركة أصبحت موجودة[١٥]. ومن بين النسخ التي توجد في متحف القيروان، فقد أمكننا الاطلاع بفضل الأستاذ إبراهيم شبوح على بعض صور لثلاث نسخ منها [رقم ٩، ٢٢، ٣٣]، ورأينا أن أقرب النسخ شبهاً بمصحف طوب قابي هي النسخة المحفوظة تحت رقم ٢٢ على عكس

١٤ الآية ٢٠٠ من سورة البقرة في مصحف طوب قابي تقابل الآية ٢٠٢ في المصحف المطبوع في المدينة المنورة. وهناك بعض الفروق الطفيفة من مثل هذا في مواضع أخرى من مصحف طوب قابي.

١٥ أتوجه بالشكر إلى العالم الجليل خبير المخطوطات الأستاذ إبراهيم شبوح لتفضله بإرسال نماذج من هذه المصاحف كما أشكر له ملاحظاته القيمة حول الموضوع. وفيما يخص هذه المصاحف التي كانت محفوظة في مكتبة القيروان، انظر إبراهيم شبوح: السجل القديم لمكتبة القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثاني، القاهرة، ١٩٥٧.

المتوقع بأن تكون النسخة رقم ٩ والتي عرفت هي أيضا بأنها أحد مصاحف عثمان. ففي نسخة القيروان رقم ٢٢[١٦] رُسمت علامات الإعراب على شكل نقاط باللون الأحمر على طريقة أبي الأسود الدؤلي، وعلامات الإعجام بالخطوط المائلة الدقيقة (المكتوبة بالمداد الأسود) كما هو الحال في نسخة طوب قابي، بينما نجد أن إشارات الإعراب في النسخة رقم ٩ كانت بالخطوط المائلة الدقيقة المكتوبة باللون الأحمر[١٧]. إلاّ أن هذه النسخة تتميّز بوجود فواصل السور والآيات، وأسلوب زخرفة هذه الفواصل تجعل هذا المصحف أقرب النسخ الثلاث مظهراً إلى مصحف طوب قابي.

إن هذه العناصر الخطية وكذلك العناصر الزخرفية التي سبقت الإشارة إليها في اختصار تدل على أن هذا المصحف لا يعود إلى عهد المصاحف الأولى التي عُرفت باسم المصاحف الأئمة التي ذكر المؤرخون أن الخليفة عثمان أمر بكتابتها وإرسالها إلى الأمصار. وهنا تجدر الإشارة إلى ما قاله ابن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ – ١٤٠٦م) في مقدمته من أن الخط العربي لأوَّلِ الإسلام كان غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسُّط، لمكان العرب من البداوة والتوحُّش وبعدهم عن الصنائع. ويبرّر ابن خلدون هذا بقوله إن الكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق، إذ لا يعودُ نقصه على الذات في الدين ولا في الخِلال، وإنما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العُمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس[١٨].

ثم يشير ابن خلدون إلى تطور فن الخط عند العرب بقوله إنه لما جاء المُلكُ للعرب، وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، استعلموا الخط وطلبوا صناعته وتعلّموه وتداولوه، فترقت الإجادة فيه، واستحكم، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان، إلا أنها كانت دون الغاية. والخط الكوفيّ معروف الرسم لهذا العهد.

والمصحف الذي نتشرف اليوم بنشره ينمّ ـ كما نرى ـ عن تطور ملحوظ في فن الخط والكتابة وطريقة صف الكلمات على سطر مستقيم مستمر، وتناسب في الحروف إلى حد كبير، ووجود علامات الإعراب على شكل نقاط بالمداد الأحمر وعلامات الإعجام على شكل خطوط مائلة دقيقة بنفس المداد الأسود الذي كتب به المتن، بالإضافة إلى العناصر الزخرفية الأخرى التي يحتويها؛ ومن ثم فهو لا يمثل المرحلة الأولى للمصاحف. وإذا أخذنا في نظر الاعتبار أبعاده وأسلوب زخرفته فإن أغلب الظن أنه من نتاج العصر الأموي. ولا شك أن المصحف بصفاته تلك يعتبر واحداً من أقدم المصاحف الكاملة التي حفظها لنا التاريخ (باستثناء ورقتين ضاعتا خلال مسيرة المصحف التاريخية) ويتم نشره اليوم. وهو يمثل حلقة نادرة في السلسلة الذهبية المباركة للقرآن الكريم منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، وبه يتجلى المعنى الكريم في قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحٰفظون)[١٩].

---

١٦ انظر اللوحة رقم ٥ في آخر هذه الدراسة.

١٧ انظر اللوحة رقم ٦.

١٨ ابن خلدون، فصل الخط والكتابة في المقدمة، مراجعة وتعليق عبد الباقي خريف، سيلدار تونس ٢٠٠٦م، ص ٦٣٠.

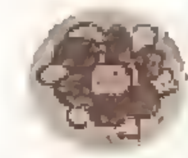
١٩ قرآن كريم، سورة الحجر آية ٩.



لوحة ١
زخارف نسخة صنعاء

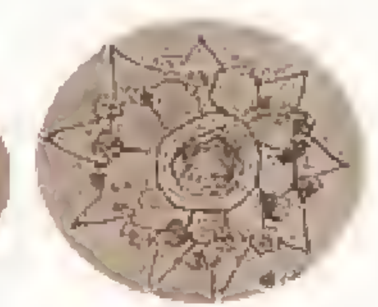
I: 2a-6b, 11a-11b

فواصل الآيات





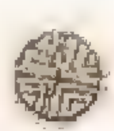

اعشار

II: 7a-10b, 12a-115a, 376b-383b, 394a-408a

فواصل الآيات






أخماس





أعشار





III: 115b-376a, 384a-393b

فواصل الآيات



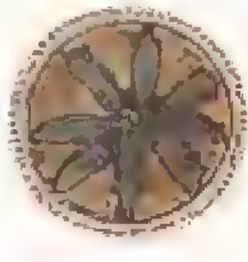
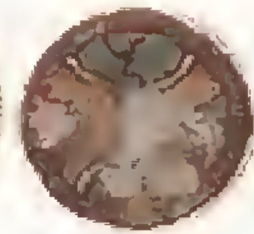



أخماس





أعشار


لوحة ٢

فواصل المائة آية (مئة)



فواصل المائتي آية (مئتين)



لوحة ٣

فواصل السـور



لوحة ٤



لوحة ٥
صحيفة من نسخة القيروان ٩

لوحة ٦

صحيفة من نسخة القيروان ٢٢



لوحة ٧

صحيفة من نسخة القيروان ٣٢

دراسة وتحقيق

الدكتور طيّار آلتي قولاج

تمهيـــد

لاريب أن أقدم كتاب جرى تدوينه بالعربية وَوَصَلَنا سالماً هو كتاب الله العزيز، القرآن الكريم الذي أُرسل هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان. وكان نزوله بلغة العرب هو لأن النبي محمداً المرسل لتبليغه ظهر في قوم يتحدثون العربية، وهو أمر يتفق والبيان الإلهي في قوله تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...»[1].

وقد نزلت الآية الكريمة «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[2]، لتكون عهداً من اللهّ على أن هذا النص المقدس سوف يظل محفوظاً من التحريف الذي تعرضت له الكتب السماوية الأخرى. والشاهد على ذلك كما يتبين من هذه الدراسة أن نص القرآن الكريم قرئ بالشكل الذي كتبه به كتّاب الوحي وظل محفوظاً بهذا الشكل، حتى وَصَلَنَا دون أن يتعرض لأي تحريف.

وابتداءً من صدر الإسلام وجدنا في البداية عدة مئات من الناس كانوا يستظهرون القرآن، ثم زاد العدد وتضاعف مع مر السنين حتى بلغ الآلاف وعشرات الآلاف؛ وَوُضِعَتْ مؤلفاتٌ لا حصر لها في لغته وأسلوبه وإملائه (رسمه) وتاريخه وانعدام القدرة على تقليده أي إعجازه وغير ذلك من الموضوعات، كما وُضِعَتْ له تفاسير تزخر بها مكتبات الدنيا.

ولا ريب أن النسخة التي نقدمها اليوم مع هذه الدراسة لنظر الباحثين والدارسين، والمكتوبة قبل نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان هي واحدة من أقدم وأهم عدة وثائق مدونة تؤكد لنا ذلك «العهد بالمحافظة». ويوجد اليوم انضباط تام بين المصاحف التي يقرأها المسلمون في كافة أنحاء الدنيا وقد طبعتْ بإمكانيات التقنية الحديثة. ويظهر هذا الانضباط بالشكل الذي يبعث الفرحة في نفوسنا جميعاً بعد دراستنا لهذا النص الأصلي الذي نقدمه لاستفادة الجميع لأول مرة بهذا العمل بعد أن ظل حبيس المكتبات قروناً طويلة. وكان مصحف طشقند ـ الذي هو واحد من أقدم عدة نسخ في العالم ووجدنا الفرصة لدراستها من خلال هذا العمل ـ قد جرى طبعه طبق الأصل قبل سنوات في خمسين نسخة، كما جرى نشره بمقدمة قصيرة على يدي المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حميد

١ سورة إبراهيم ١٤/٤.

٢ سورة الحجر ١٥/٩.

الله، إلاّ أن نقصه بمقدار الثلثين تقريباً يدفعنا ـ وهو أمر طبيعي ـ إلى عدم قبوله كوثيقة مدونة ترقى إلى مستوى الكفاية التي تبرهن على حِفْظ النص المقدس[٣].

وهناك حقيقة هامة أخرى، هي أنه لا يوجد على وجه الأرض كتاب آخر توجد منه نسخ مخطوطة أو مطبوعة، أو كتاب يُقرأ وتوضع حوله البحوث والدراسات بقدر القرآن الكريم. فلا نبالغ إذا قلنا إنه لا توجد عائلة مسلمة لا تحتفظ في بيتها بنسخة من المصحف، وتضعه في ركن ركين من أركان ذلك البيت. وكم من الناس ـ وهم بمئات الآلاف في كل مرحلة من مراحل التاريخ ـ جثوا أمام معلم كي يتعلموا على يديه تلاوة القرآن الكريم رغم عدم علمهم بمعانيه، وكم طابت نفوسهم وهم يستمعون بكل الوجد لمقرئ حسن الصوت يتلو آياته ويجيد تلاوته.

ولا شك أن أهم الموضوعات في تاريخ القرآن الكريم هو الجانب الذي يُعنى بمسألة الصفاء والنقاء التي فاض بها ينبوع الوحي هل حافظت على وجودها أم لا، أو بتعبير آخر مسألة الحفاظ أو عدم الحفاظ على القرآن الكريم. فإذا كان هناك حفاظ على القرآن حقاً فإنه يشكل المصدر الأهم لسعادة الإنسان المسلم؛ وإلاّ لكانت النتيجة أن جَرَّ المسلمين لحالة من عدم الإطمئنان كما هو الحال في عقول الشعوب غير المسلمة التي تفكر وتقلّب الأمر في ذلك؛ وتضعهم في موضع الكتل التي تشعر بنفسها في فراغ متخبطةً في البحث والتحري.

إن الهدف الذي نسعى إليه ونحن نقدم للباحثين والقراء ثمرة دراسة النسخة التي كتبت قبل نحو ثلاثة عشر قرناً وعرفت باسم « مصحف سيدنا عثمان » أو « مصحف طوبقاپی » ليس تناول هذا الموضوع الهام في تاريخ القرآن بكل تفرعاته، وإنما هو توجيه أنظار القراء إلى الإسهام المهم الذي ستوفره هذه النسخة النادرة لهذا القسم من تاريخ القرآن الكريم، وتعريف الباحثين خصوصاً والطلاب عموماً بتلك الثروة الثقافية النفيسة المحفوظة على رفوف المكتبة ولا تُعرض على الزوّار لرؤيتها إلاّ في شهر رمضان داخل « متحف طوبقاپی سراي ».

وكنا قد رأينا ونحن نقوم بذلك أنه سوف يكون من المفيد أن نقارن بين هذه النسخة وبين « مصحف طشقند » أقدم المصاحف التي وصلتنا وقيل إنها النسخة التي كان عثمان بن عفان ﷺ يقرأها عندما وقع عليه الاعتداء واستشهد. وقد فعلنا ذلك من خلال السور والآيات التي احتوتها أوراق المصحف الموجودة. ولكننا رأينا بعد تدقيقه من أوله لآخره والاطلاع على عدة كتب ومقالات في هذا الخصوص أنه لا يمثل إلاّ ثلث القرآن الكريم، وظهر لنا ـ كما سنوضح أثناء التعريف به فيما بعد ـ وقوع بعض التحريفات حتى وإن كانت بغير قصد عندما قام المستشرق الروسي پيساريف بتمرير قلم الحبر على حروفه قبل طبعه صورة طبق الأصل سنة ١٩٠٥م. ومن هنا رأينا أن المقارنة بين مصحف طوبقاپی الذي نرى فيه نسخة كاملة (إلا ورقتين فقط) ولم يقع عليه أي تدخل من أحد وبين هذا المصحف الذي لا يضم إلاّ الثلث من النص القرآني الكريم لن تسفر عن نتيجة صحيحة، فقمنا باستخراج واستبعاد فروق الإملاء الخاصة بمصحف طشقند من هوامش البحث. ولكننا بدلاً من استبعاد تلك النسخة خارج نطاق البحث تماماً حاولنا التعرف عليها قدر الإمكان وأفسحنا المجال للجدل الدائر حول صحة أو عدم صحة نسبتها لسيدنا عثمان ﷺ ووجهة نظرنا نحن في ذلك. بل وأفسحنا المجال أيضاً لجدول أعددناه وأدرجناه في نهاية هذه الدراسة حول التلفظ والحروف أو الألفاظ الناقصة أو الزائدة فيما بين مصاحف سيدنا عثمان ﷺ نفسها، ثم بينها وبين مصحف طوبقاپی، ثم مصحف طشقند من خلال الأوراق الموجودة منه.

---

٣ لأجل مصحف طشقند انظر: الفصل الرابع.

وسعياً للوصول إلى رأي جازم حول مدى توافق مصحف طوپقاپى مع الرسم العثماني ومساعدة الباحثين في هذا الموضوع فقد رأينا من المفيد أن نقارن بين هذا المصحف وبين المصحف الذي تجري طباعته برعاية الملك فهد بن عبد العزيز منذ عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ – ٨٥م) تحت اسم « مصحف المدينة النبوية » في المدينة المنورة ويوزع بالمجان على الحجاج كل سنة تمثيلاً للمصاحف التي تجري اليوم طباعتها في دول العالم الإسلامي المهمة إيماناً بأن إملاءه متوافقة مع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ، وأن نعمل على إبراز الفروق الإملائية الموجودة بين المصحفين، ولأجل هذا أطلقنا على المصحف الثاني اختصاراً اسم « مصحف الملك فهد ».

وعلى الرغم من أننا رأينا أن نضع في الاعتبار ضمن هذه المقارنة المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية باستانبول تحت رقم ٤٥٧ ويتضمن عبارة في الورقة الأخيرة منه تفيد أنه كتب على يدي سيدنا عثمانﷺ في سنة ٣٠هـ (٦٥٠ – ٦٥١م) إلاّ أننا صرفنا النظر عن هذه الفكرة لمّا رأينا أن هذه النسخة المذكورة تحوز من الأهمية ما يجعلها جديرة بدراسة خاصة ونشر مستقل. وعلى الرغم من أنها نسخة قديمة أكثر قليلاً بالنظر إلى مصحف طوپقاپى[٤] فقد آثرنا أن نعطي أسبقية العمل لمصحف طوپقاپى الذي نعلم أنه كامل ولم ندرك إلاّ بعد التقدم في دراستنا أن الذي ينقصه ورقتين فقط. ونحن نتطلع بكل الأمل أن يتم نشر تلك النسخة المحفوظة في متحف الآثار التركية والإسلامية في أقرب الآجال، ثم تقديمه لاستفادة الباحثين[٥].

ولكي تجري عملية تقويم صحيحة لمصحف طوپقاپى الذي بين أيديكم والذي هو موضوع دراستنا ونسخ مصاحف المدينة المطبوعة وتقويم إملاء المصاحف الأخرى على السواء كان لا بد من التعرض بإيجاز لمسائل تاريخ القرآن ولا سيما ما يتعلق برسم المصحف، وإلقاء نظرة عامة على المناهج المتبعة في إملاء المصاحف في بعض الأقطار الإسلامية.

وخلال دراسة النص وعمل المقارنة بين النسخ، وهو عمل شاق يقتضي الكثير من الدقة، يكون من الممكن جداً أن تقع بعض الأخطاء وتسهو العين عن بعض الأمور. فلم يكن من السهل أبداً القيام بتشخيص صحيح للنص الأصلي بكل تفاصيله وقراءته حرفاً حرفاً. ونعتقد أن الباحثين سوف يقومون، حتى ولو كان بشكل متقطع، بدراسات أكثر دقة وعناية على ذلك النص المقدس الذي نقدمه لاستفادتهم. ولا شك أن الكشف عن الأخطاء التي قد تظهر في ثنايا البحث وإبلاغنا بها سوف يساعدنا على تداركها وتلافيها في الطبعات القادمة.

وكم تمنينا أن يكون تقديمنا لهذا النص المقدس الموجود بين أيديكم مقروناً باسم « مصحف سيدنا عثمانﷺ »؛ إلاّ أننا وجدنا في نهاية البحث أنه لم يكن مصحف سيدنا عثمان الخاص، ولم يكن أيضاً واحداً من المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار. ولهذا رأينا من الأنسب أن يكون نشرنا له تحت عنوان « المصحف الشريف المنسوب لسيدنا عثمانﷺ » (نسخة متحف سراي طوپقاپى). أما النسخة المحفوظة من المصحف الشريف في

---

٤ ذكر صلاح الدين المنجد عن هذا المصحف عبارة « إنه أقدم المصاحف التي رأيناها »، وقال إنه يرجع إلى أواخر القرن الهجري الأول (دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٥).

٥ لقد بدأنا دراستنا على هذا المصحف بإذن خاص من معالي وزير الثقافة والسياحة السيد / آتيلا قوچ. وقد تم تصوير المصحف بكاميرا رقمية، وفي اللحظات التي تكتب فيها هذه السطور (٥/٢/٢٠٠٦م) نكون قد فرغنا أيضاً من كتابة النص بالكمبيوتر بنفس الإملاء ونفس نظام الصفحات والأسطر. وكان خوفنا أن يكون النقص كبيراً في الأوراق، لكننا وجدنا أن الناقص هو ست عشرة ورقة فقط من أماكن متباينة، وأن تلك الأوراق الناقصة قد جرى استكمالها في مكة سنة ٨٤١هـ (١٤٣٧–١٤٣٨م) بواسطة قلم آخر مختلف، وأن بعض الأوراق الأخرى قد تغير مكانها. ونواصل العمل الآن في دراسة هذا المصحف دون توقف.

متحف الآثار التركية والإسلامية والذي نعتقد أنها استنسخت في عهد أقرب إلى عهد سيدنا عثمان ﷺ، فإننا نفكر في جعله – ولنفس السبب – تحت عنوان «المصحف الشريف المنسوب لسيدنا عثمان ﷺ» (نسخة متحف الآثار التركية والإسلامية). فقد توصلنا – ومن الآن مع الأسف – إلى أن تلك النسخة ليست هي الأخرى من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ كما سنوضح فيما بعد عند نشرها.

ويسعدني بهذه المناسبة أن أتقدم بالشكر العميق إلى معالي السيد استميخان طالاي وزير الثقافة في ذلك العهد، إذ وافق على دراسة مصحف طوپقاپى، وإلى الدكتور مصطفى آلتون داغ والبروفسور بكير طوپال أوغلى اللذين لم يبخلا بنصائحهما وتوجيهاتهما وقاما بقراءة نص هذه الدراسة من أوله لآخره، وإلى الأستاذ الدكتور محي الدين سَرين الذي قام بفحص أساليب الخط والكتابة في مصحف طوپقاپى وتقاسم مع قرائنا خبرته في هذا المجال، وإلى البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلى مدير عام إرسيكا السابق والأمين العام الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي شملنا دائماً برعايته وأحاطنا بتشجيعه أثناء الدراسة، وقَدّمَ للقراء ملاحظاته التاريخية والكودكولجية على مصحف طوپقاپي. كما أشكر الدكتور خالد أرن مدير عام المركز الذي بذل قصارى جهده حتى يخرج للنور هذا النص المبارك ويطّلع عليه الباحثون والمعنيون بشؤون المصحف الشريف.

آلتوني زاده – اوسكدار / استانبول
٥/٢/٢٠٠٦م

الفصل الأول

الكـــتابة العـربية

أولاً: نبذة حول نشأة الكتابة العربية ومراحل تطورها:

هناك آراء متباينة حول نشأة الكتابة العربية؛ ومن هذه الآراء أن الكتابة العربية الحالية إنما ترتكز على الأبجدية السريانية، بينما يقول رأي آخر إن أصل الكتابة المذكورة يرجع إلى الأنبار، ثم انتقل منها إلى الحيرة (النجف)، ومنها إلى الأراضي الحجازية. بينما يرى رأي ثالث أن العرب استعملوا خطاً تم تطويره أولاً في جنوب الجزيرة العربية وعُرف باسم «المسند»، وأن الكتابة العربية الحالية قد تطورت متأثرة بهذا الخط. وتدلنا آخر البحوث والدراسات التي أجريت على أن الكتابة العربية لم تتأثر بأي شكل من الأشكال بالكتابة السريانية. وحتى ولو ظهر للوهلة الأولى منطقية القول القائل بأن أسس الكتابة العربية هي الأنبار في الشمال نظراً لأن الحيرة كانت مركزاً حضارياً مهماً، فإن استعمال الأهالي الأبجدية السريانية هناك هو أمر يدلنا على عدم إمكانية ربط نشأة الكتابة العربية بتلك المنطقة. أضف إلى ذلك أنه لا توجد اليوم في أيدينا نصوص بلَغَتْنا عن الأنبار والحيرة حتى يمكن من خلالها تصديق ذلك الرأي وعمل المقارنات اللازمة. أما الخط الذي عُرف بالمسند فلا توجد أوجه للشبه بينه وبين الكتابة العربية، لا من حيث شكل الحروف ولا من حيث تركيب الكلمات.

وتدلنا البحوث المعاصرة على أن النظر بعين التقدير والاعتبار للآراء المذكورة أمر لا يمكن تحقيقه[١]؛ إذ تذهب تلك البحوث إلى أن منشأ الخط العربي الحالي هو الخط النبطي. والدليل على ذلك أن دراسة بعض كتابات ترجع إلى ما قبل الإسلام وإلى صدر الإسلام تؤكد هذا الرأي؛ وتثبت أن الكتابة العربية إنما هي شكل متطور من الكتابة النبطية[٢]. والمعروف أن الأنباط قوم من العرب كانوا يقطنون في جنوب منطقة الشام وفلسطين في العصور الوسطى[٣]، وكانوا يسيطرون في القرن الرابع قبل الميلاد على النشاط التجاري القائم على خط البحر الأبيض المتوسط وجنوب بلاد العرب ثم خط الشام مصر، وكانت القوافل التجارية تؤدي الضريبة للحكم النبطي.

---

١ المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ١٢ – ١٣.

٢ انظر: Nihad Çetin , “Arap”, *DİA, III,* ٢٧٦

٣ انظر: E. Honigmann, «Nabatîler», *İA, IX, 1* وصلاح الدين المنجد؛ نفس المصدر؛ ص ١٣.

وبسبب تلك الحركة التجارية المنتعشة اضطر الأنباط لتعلم الخط والكتابة، فاستعملوا الخط الآرامي في البداية، ثم طوروه وحَسَّنوه مع مرور الوقت حتى تولد عنه الخط النبطي. ومع مرور الزمن راح يبتعد رويداً رويداً عن الخط الآرامي حتى تحول إلى الخط العربي في العهد الجاهلي. وكان من نتاج الانتعاش التجاري المذكور أن وقع الاتصال بين العرب الحجازيين والعرب الأنباط، وتأثر العرب الحجازيون بالأنباط الأرفع ثقافة منهم، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التأثر أن ظهرت بينهم قيمٌ ــ بل ومعتقدات ــ مشتركة. وتثبت لنا أقدم النقوش الخاصة بما قبل الإسلام وبعده وكذلك المعلومات المتوفرة حول خصائص الخط النبطي في المصادر أن الكتابة العربية الحالية إنما ولدت من الخط النبطي، بل وإنها الشكل المتطور منها[٤].

وقيل إن أول من حمل الخط إلى مكة هو بشر بن عبد الملك بعد أن تعلمه من أهل الأنبار، وإن بشراً المسيحي جاء مكة، وتزوج الصهباء ابنة حرب بن أمية[٥]، وإن سفيان بن حرب بن أمية وأبا قيس بن عبد مناف شهداه وهو يكتب الخط فطلبا منه أن يعلمهما الكتابة، وإنه لبى لهما هذا الطلب. وبعد ذلك ذهب هؤلاء الثلاثة إلى الطائف قاصدين التجارة، وهناك أخذ الكتابة عنهم غيلان بن سلمة الثقفي، ثم انفصل بشر عن رفيقيه وتوجه إلى ديار مضر، ثم انتقل منها إلى الشام، وهناك قام بتعليم الكتابة لعدد من الناس[٦]. أما الرواية التي نقلها ابن أبي داود (ت ٣١٦هـ / ٩٢٩م) فتقول إن بشراً علّم الكتابة لسفيان بن حرب، كما تذكر الرواية أن عمر بن الخطاب قال: «تعلم القرشيون في مكة الكتابة من حرب بن أمية والد سفيان بن حرب». ويذكر ابن أبي داود من التفاصيل أن معاوية بن أبي سفيان، حفيد حرب، تعلّم الكتابة من عمه سفيان بن حرب[٧]. كما جاء فيما أورده ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م) أن بشراً عَلّمَ الكتابة لحميه حرب بن أمية وشقيق زوجته سفيان بن حرب، كما تعلمها عمر بن الخطاب أيضاً من حرب. ونشهد بين ملحوظات ابن كثير أيضاً تلك المعلومة التي تقول إن معاوية بن أبي سفيان تَعَلّم الكتابة من عمه سفيان بن حرب[٨]. وهناك رواية أوردها أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٣م) تقول إن حرب بن أمية تَعَلّم الكتابة من عبد الله بن جدعان، وتعلمها عبد الله من أهل الأنبار، وتعلمها أهل الأنبار من رجل قادم من اليمن، وتعلمها هذا من جُلجان بن موهم كاتب الوحي عند سيدنا هود (عليه السلام)[٩].

ويتبين من تلك الروايات أن عائلة حرب بن أمية كانت بمثابة المعبر لدخول الكتابة العربية إلى مكة وانتشارها، وقامت بخدمة جليلة في هذا الصدد بصرف النظر عن اختلاف الأسماء التي أوردتها الروايات في أمر الرجل الذي جاء إلى مكة بالكتابة العربية.

ورغم الافتقار إلى وثيقة عن المرحلة التاريخية التي تربط بين العصر الجاهلي وعهد ظهور الإسلام إلاّ أن الواضح من المعلومات المتاحة حول دخول الخط والكتابة إلى مكة هو انتفاء الشك حول وجود بعض الشخصيات التي

---

٤ انظر: Nihad Çetin, «Arap», *DİA*, III, 276; Mustafa Altundağ, *Hata İddiaları Çerçevesinde Kur'an'ın Dil ve Yazım Özellikleri*, s.28-29 والمنجد، ص ١٩ـ ٢٢، وأبو الفتوح، ابن خلدون ورسم المصحف العثماني، ص ١٣ـ ١٥.

٥ ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٤.

٦ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٧.

٧ ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٤ ـ ٥.

٨ ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٦. وقد استخدم محمد حميد الله نفس المصادر ولكنه قال: إن حرباً هو أول من جاء بالخط إلى مكة، بينما غفل عن ذكر بشر تماماً (*Kur'an-ı Kerim Tarihi*, s. 51)

٩ الداني: المحكم، ص ٢٦.

عاشت تلك المرحلة وكانت تعرف القراءة والكتابة. ويذكر ابن النديم أن مكتبة الخليفة المأمون كانت تحتفظ بوثيقة مكتوبة بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسولﷺ [١٠]. وهذه الوثيقة التي يبدو أنها كانت صكاً لدين إنما تثبت لنا أن هناك بعض الشخصيات كانوا يعرفون القراءة والكتابة داخل المجتمع العربي آنذاك حتى وإن كانوا قلة، وأن الناس كانوا يستخدمون الكتابة ولا سيما في الأعمال التجارية. ويقدم لنا البلاذري اسم سبعة عشر رجلاً من هؤلاء، كما تحدث أيضاً عن سبع نساء تعلمن القراءة وكان بعضهن يعرفن الكتابة في الوقت نفسه[١١]. ولكن الذي لا شك فيه عند النظر إلى المجتمع العربي على عمومه آنذاك أنه كان مجتمعاً أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة. بل وتجدر الإشارة إلى صحة هذا الوصف حتى بالنسبة لعهد الصحابة في صدر الإسلام. والشاهد على ذلك أن الرسولﷺ كان وهو يحكي لأصحابه بأسلوب بسيط شكل اثبات بداية ونهاية شهر رمضان عقب فريضة الصوم[١٢] يقول لهم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر...»[١٣]، ويذكرنا الرسول الكريم بهذا البيان أن صفة الأمية الموجودة في عموم المجتمع بعد نحو خمسة عشر عاماً من ظهور الإسلام كانت ما تزال جارية مستمرة.

ثانياً: الكتابة العربية بعد ظهور الإسلام

مما لا شك فيه أن حركة تعلم الكتابة قد زادت وتيرتها مع ظهور الإسلام؛ لأن القرآن الكريم بدأ رسالته الإلهية بقول «إقرأ»، وأشار إلى أن القراءة تجلب العلم والمعرفة، وأن العلم والمعرفة هما السبيل إلى الاستنارة[١٤]. أما الضرورة المترتبة على ذلك والتي لا جدال فيها، فهي تعلم الكتابة التي كانت أوثق واسطة للحصول على المعلومة والتحقق منها في ظروف تلك الأيام. كما تجدر الإشارة أيضاً أن كتابة الوحي النازل على الرسولﷺ وتعلمه كانت أمراً لاحياد عنه. ولأجل هذا كان السعي دؤوباً للاستفادة من الصحابة ذوي العدد المحدود ممن يعرفون القراءة والكتابة من ناحية، والعمل من ناحية أخرى على زيادة أعداد هؤلاء وتوسيع دائرة الاستنارة والمعرفة بين الناس. كما أن الاستعانة بأسرى الحرب كانت من سبل تعليم القراءة والكتابة. إذ تقرر بعد غزوة بدر أن يُطلق سَرَاحُ الأسير الذي يعرف القراءة والكتابة بعد قيامه بتعليم عشرة أولاد من أبناء المسلمين[١٥].

وكان النبيﷺ يأمر كتّاب الوحي بكتابة ما ينزل عليه من ربه، وهم رجال اختارهم خصيصاً لهذه المهمة وكلفهم للقيام بها. وكان يأمرهم بعد الكتابة بقراءة ما كتبوا عليه ليتأكد من صحته؛ فإن وجد فيه نقصاً أو خطأً أشار عليهم بتصحيحه في الحال[١٦]. وكان من الرجال الذين كلفوا بهذا العمل ذي المسئولية الكبيرة علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر، وخالد بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن ربيع، ويزيد

---

١٠ انظر: ابن النديم، الفهرست، ص ١٣ – ١٤.

١١ البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٧ – ٤٥٨ و المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٢٣.

١٢ فرض الصوم على المسلمين في المدينة في شهر شعبان بعد عام ونصف من هجرة الرسول ﷺ إليها.

١٣ صحيح البخاري، ٢/ ٢٣٠ (الصوم، ١٣)؛ وصحيح مسلم، ٢/ ٧٦١ (الصيام، ١٥).

١٤ سورة العلق ٩٦/ ١ – ٥.

١٥ ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٢٠ واحمد بن حنبل، المسند، ١/ ٢٤٧ وابو عبيد قاسم بن سلام، كتاب الأموال، ص ١١٦.

١٦ الصولي، أدب الكتاب، ص ١٦٥.

بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت[١٧]. كما كان العارفون بالقراءة والكتابة من الصحابة الآخرين يقومون بكتابة الآيات النازلة واستظهارها، وأصبح لكل واحد منهم مجموعة خاصة. كما كان كتّاب الوحي يفعلون الشئ نفسه، فيصنع كل واحد منهم لنفسه نسخة خاصة. والشاهد على ذلك أننا نشهد في المصادر معلومات حول المصاحف الخاصة ببعض هؤلاء وأخرى خاصة ببعض الصحابة الآخرين[١٨].

ويبدو أن عملية كتابة الوحي النازل كانت قد انتشرت بين الصحابة وإن كان بقدر محدود؛ حتى إن النبيﷺ شعر بضرورة تنبيه الصحابة كي لا يقع الخلط بين آيات القرآن الكريم والنصوص الأخرى، فكان يقول لهم لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كَتَبَ عني شيئاً غير القرآن فليُحمه[١٩]، فكأنما أراد بهذه المناسبة أن يجتمع الكل بعد حفظ الآيات على تسجيلها وتدوينها بالكتابة. ومن المفيد هنا الإشارة إلى واحدة من روايتين مختلفتين حول اعتناق عمر بن الخطاب الإسلام. فالمعروف أن عمر لما علم أن أخته وزوجها دخلا في دين الإسلام غضب وتوجه إلى دارهما، وهناك وجد أنهما كانا يقرآن سورة طه من صحيفة مدونة لديهما[٢٠].

وبينما تصل إلينا كل هذه المعلومات بصورة مكثفة يذهب بروكلمان إلى القول إن «أغلب آيات القرآن الكريم ترتكز على الروايات المستظهرة بطريق الحفظ وحده، وقد يكون جرى الاستفادة في إثبات قسم منها من النصوص المدونة»، وهو زعم لايستقيم مع الحقائق التاريخية. والشاهد على ذلك أن بروكلمان فور طرحه لهذا الرأي يقول إن بعض الصحابة كانت لهم نسخ خاصة، ويذكر من بين هؤلاء أُبي بن كعب ومقداد بن عمرو وعبد الله بن مسعود وأبا موسى الأشعري[٢١].

ولم تكن طريقة الإملاء التي استخدمها كتّاب الوحي تختلف في شئ عن طريقة الإملاء المعروفة والمستخدمة عند العرب آنذاك. والشاهد على ذلك أن ابن قتيبة وهو يتحدث عن الألف في كلمات: (الصلوة، الزكوة، الحيوة) وتحولها إلى حرف الواو قد ذكر أن كتابة تلك الكلمات بالألف ستكون أحسن لولا عادة العارفين بالكتابة في العهد الذي كتبت فيه المصاحف الأولى في رسمها بالواو[٢٢]. وفي مجتمع لا يملك مادة كتابية كافية في الكم والكيف ولا يملك أي واحد منهم تقريباً نصاً مدوناً يمكن مطالعته يكون من البديهي عدم القدرة على الحديث عن نظام استقر في الكتابة والإملاء. ولكن لم يتم الاكتفاء بأن يقوم كُتّاب الوحي بكتابة آيات القرآن الكريم بالخط والرسم المستعمل لدى العرب آنذاك، وإنما كانوا ـ وهم يفعلون ذلك بعناية واهتمام ـ يسعون على الجانب الآخر وحرصاً منهم على حفظ الوحي النازل لاستظهار تلك الآيات بسرعة وفرحة عظيمة، ومن ثم جرى استخدام طريقين

---

١٧ المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي؛ ص ٢٣. وللتعرف على سير وقائمة أسماء الصحابة (٦١) ممن كانوا يعملون كتاباً عند النبي ﷺ في كتابة الوحي والموضوعات الأخرى انظر: الأعظمي، كتاب النبي؛ ص ٣٠ – ١١٢.

١٨ انظر: على سبيل المثال: ابن أبي داود؛ كتاب المصاحف، ص ٥٠ – ٨٨. إذ يجري الحديث في الروايات التي أوردها ابن أبي داود عن قراءات بعض الصحابة في الغالب، وإذا لم يكن هناك ذكر واضح لكلمة (مصحف) عند بعضهم فإن كل الذين وردت أسماؤهم في تلك الروايات بوجه خاص كان لديهم بلا شك مصاحف خاصة بهم. وفي روايات تتعلق ببعضهم ترد تلك الكلمة بصراحة (انظر: ص ٥٣، ٧٤، ٨٣). ويظهر من ناحية أخرى انه كان هناك آخرون استكتبوا غيرهم مصاحف لهم ربما لأنهم لم يكونوا يعرفون الكتابة أو لأنهم كانوا يعرفونها ولكن خطوطهم لم تكن حسنة. والشاهد على ذلك روايات ذكرها ابن أبي داود في نفس الكتاب (ص ٨٥ – ٨٨) تتحدث عن أن ام سلمة وعائشة من زوجات الرسول ﷺ كان لكل واحدة منهما مصحف كتبه آخرون لهما.

١٩ صحيح مسلم ٤/٢٢٩٨ – ٢٢٩٩ (الزهد، ٧٢).

٢٠ ابن سعد، الطبقات ٣/٢٤٨ وابن هشام، السيرة، ١/٣٦٦ – ٣٧١.

٢١ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/١٩٦ – ١٩٧.

٢٢ ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ١٧٧.

مختلفين يدعم أحدهما الآخر في آن واحد لتعلم القرآن، أحدهما الكتابة، وثانيهما الحفظ والاستظهار.

وكان أمر القراءة والكتابة في عهد المدينة المنورة قد أصبح نظاماً مؤسسياً، والمثال على ذلك أن عبد الله بن سعيد بن العاص كان واحداً من المكلفين من قبل النبي ﷺ بتعليم الكتابة في المدينة[٢٣]. كما جعل من واجبات من يعرفون قراءة القرآن أن يعلموها لجيرانهم وأصبح ذلك من فروض الجيرة[٢٤]. أما المعلومة التي تقول إن عبد الله بن أم مكتوم عندما هاجر إلى المدينة سكن في دار القراء[٢٥] فهي تدلنا إذن على أنه أصبح هناك أناس متخصصون في قراءة القرآن وإقرائه. كما أن إرسال المعلمين إلى بعض الأماكن خارج المدينة ولنفس الغرض كان يشكل وبسرعة بعداً آخر في برنامج الاستنارة[٢٦].

والجدير بالذكر عند النظر إلى تلك الجهود والأعمال أنه كانت توجد في أيدي الصحابة كميات كبيرة من نصوص الوحي المدونة بشكل مجتمع أو متفرق، وذلك عدا النصوص الرسمية التي كتبها كتّاب الوحي في حياة الرسول ﷺ. كما أن استظهار بعض الصحابة القرآن الكريم وحفظهم له كاملاً وحفظ الغالبية أيضاً لسور متفرقة منه هو بلا شك أمر ينطوي هو الآخر على أهمية كبيرة في مسألة «المحافظة» على القرآن الكريم. ولسوف يُفهم بوضوح من الحيوية المشار إليها أن مسألة القراءة والكتابة راحت تنتشر بسرعة بالغة بين المسلمين في جو من الفرحة والنشوة الروحية، وواصلت الكتابة العربية أيضاً خلال تلك المسيرة حركتها نحو التغير والتطور.

ومما لا ريب فيه أن الرسم الذي استخدمه كتّاب سيدنا عثمان﷛ بعد استنساخ عدد من المصاحف لإرسالها إلى الحواضر المهمة (الأمصار) كان يشكل مثالاً يحتذي به المسلمون. ولا بد أن الغالبية العظمى من الصحابة حاولوا هم أيضاً التمسك بذلك الرسم في كتاباتهم الأخرى مثلما فعلوا مع كتابات المصحف. ثم جاء جيل التابعين من بعد هؤلاء، ثم تبعهم آخرون واستخدموا ذلك الرسم مدة طويلة.

وتزامناً مع قواعد النحو والصرف التي طوّرها النحاة في العهود التالية ظهرت أيضاً بعض القواعد من أجل الخط والكتابة؛ ففي الكتابات الأخرى عدا المستخدمة في المصحف أخذ الرسم المعروف بالرسم (الخط) القياسي أو الرسم (الخط) الاصطلاحي مكان الرسم العثماني[٢٧]. ورغم التمسك بالرسم العثماني في كتابة المصاحف فقد يبدو أن الجدل دار منذ عهود مبكرة حول جواز أو عدم جواز كتابة المصحف بالرسم القياسي، وسُئل الإمام مالك (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) عن رأيه في الموضوع فذكر أنه لا يرى جوازاً له في كتابة المصحف لمخالفته الرسم العثماني (انظر الصفحات التالية).

ويذكر المفسر والمؤرخ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) أن السلف استخدموا خطاً يشبه الخط الكوفي، ثم يقول إن ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) أحد الوزراء العباسيين الذي عُرف بإجادة الخط والكتابة قام بإعادة تنظيم ذلك الخط من جديد، ثم تناوله من بعده ابن البواب علي بن هلال (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) فخطا في

٢٣ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٢٦٢.

٢٤ الكتاني، التراتيب الإدارية، ١/ ٤٠ – ٤١.

٢٥ انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢/ ٢٥٩ – ٢٦٠.

٢٦ للتعرف على بعض الروايات الأخرى في هذا الموضوع انظر: الكتاني، التراتيب الإدارية، ١/ ٤١ – ٤٧.

٢٧ انظر: غانم قدوري حمد، رسم المصحف، ص ١٩٨.

تطويره خطوات أبعد[٢٨]. ورأى ابن كثير أن طريقة ابن البواب في الكتابة كانت واضحة حسنة، ولهذا لقيت استحساناً وقبولاً، وأن الأشخاص المذكورين قاموا بهذا العمل بسبب عدم امتلاك الخط العربي لبناء سليم. ولعل الاختلافات في رسم بعض الكلمات في المصاحف ظهرت بسبب هذا الضعف وإن لم تؤثر في المعنى[٢٩].

ويتبين مما ذكره ابن كثير أن الخط العربي إذا كان يجري الحديث عن ضعفه وعدم كفايته في العهد الممتد إلى ابن مقلة بل وإلى ابن البواب، فالواضح أنه لم يكن قد استكمل تطوره بالقطع في عهد الصحابة، أي خلال الفترة الزمنية التي دخل فيها الخط والكتابة حديثاً إلى مكة. ولكنه ظل مستخدماً بقدر الإمكان من أجل تدوين ما ينزل به الوحي والعمل على نشر وإذاعة تلك النصوص المدونة، وأدى وظيفته المأمولة منه مدعوماً بطريقة الحفظ والاستظهار.

ثالثاً: الزعم بأن خط المصحف ورسمه توقيفي

هناك عدا ما أسلفنا روايات وآراء مختلفة أخرى حول ظهور الخط العربي وتطوره. وأطرفها وأكثرها جدلاً هو الرأي القائل إنها توقيفية، أي أنها ترتكز على أساس إلهي.

١- يذهب أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) إلى أن اللغة العربية وقبل الكتابة العربية نفسها توقيفية، لأن «الله علم آدم الأسماء كلها»[٣٠]. ورغم تعدد الآراء في تفسير تلك الآية فإن النظرة التي يرجحها ابن فارس هي أن الله علم آدم (عليه السلام) عدداً من الأسماء بقدر حاجته حتى يمكنه التفاهم مع الآخرين، وواصل بنفس الشكل هذه التعاليم بالقدر الذي شاء مع الأنبياء الآخرين من العرب أيضاً، حتى بلغ ذلك التعليم في النهاية أنضج أشكاله في عهد النبي محمد ﷺ. ولأن اللغة العربية توقيفية فقد بلغت درجة كمالها مع النبي محمد ﷺ، وهي تَفْضُلُ كافة اللغات الأخرى وتفوقها ثراءً[٣١].

فالذي يراه ابن فارس هو أن الكتابة العربية توقيفية مثلها في ذلك مثل اللغة العربية. واللغة العربية واللغة السريانية وكل أنواع الكتابات الأخرى ترجع إلى سيدنا آدم (عليه السلام). فقد جاء في إحدى الروايات المتعلقة بهذا الموضوع أن آدم (عليه السلام) كتب كل نماذج الخطوط على ألواح من طين قبل وفاته بنحو ثلاثمائة سنة، ثم قام بشوي تلك الألواح؛ ولكن عندما غمرت المياه سطح الأرض توزعت الخطوط وانتشرت فأخذ كل قوم ما وصل إليه منها، وكان الخط العربي آنذاك من نصيب اسماعيل (عليه السلام). وتقول تلك الرواية إن الخط العربي يرجع إلى آدم مروراً باسماعيل (عليهما السلام)، كما ذُكر أن عبد الله بن عباس أيضاً قال «إن أول من وضع الخط العربي سيدنا إسماعيل»[٣٢].

---

٢٨ للتعرف على سيرة ابن مقلة وابن البواب وأعمالهما في الخط العربي انظر:
Abdülkerim Özaydın, «İbn Mukle», *DİA*, XX, 211-212; Muhitrin Serin, "İbnü'l-Bevvâb", *DİA*, XX, 534-535.

٢٩ ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٧.

٣٠ سورة البقرة، ٢/ ٣١.

٣١ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣١ – ٣٣، ٤٠.

٣٢ نفس المصدر، ص ٣٤ وانظر: أيضاً الزركشي، البرهان ١/ ٣٧٧.

والأمر المراد تأسيسه بتلك الروايات وغيرها واضح وجلي، وهو القول إن الكتابة العربية توقيفية، أي أنها ليست من صنع البشر وإنما هي وحي من عند الله. وعند النظر في آيات القرآن الكريم التي تقول: «اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم»[٣٣]، «ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون»[٣٤] سوف يتبين أن الكتابة الموجودة في المصاحف توقيفية هي الأخرى. وعلى ذلك فإن إملاء المصحف الأول الذي كتبه زيد بن ثابت بتكليف من الخليفة أبي بكر الصديق، وكذلك إملاء نسخ المصاحف التي استنسخها الخليفة عثمان بن عفانﷺ بعد ذلك إنما جاءت بالوحي؛ ولا يجوز الخروج على أيٍّ من عناصرها.

وفي رواية نقلها أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م) عن محمد بن سحنون أن العرب كانوا يستخدمون نفس الخط في الجاهلية، وأن هذا الخط يرجع إلى الأنبار؛ أما السلسلة التي تحمل الخط إلى أهل الأنبار فهي تنتهي عند جُلجان بن موهم كاتب الوحي عند سيدنا هود[٣٥]. وهذه السلسلة في نظر ابن فارس قد تمتد حتى سيدنا آدم بحيث تشمل الأنبياء كافة[٣٦].

٢- وهناك أيضاً أبو العباس أحمد محمد بن عثمان بن البنا المراكشي (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، وهو أحد الكتاب الذاهبين إلى معنى «التوقيف» في رسم المصحف. والمراكشي المعروف بكتبه في الرياضيات والفلك أكثر من غيرها وصاحب التصانيف في الموضوعات الدينية[٣٧]، قد ذهب في كتابه «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل» إلى أن كل وضع خاص وكل اختلاف في إملاء المصاحف الأولى له علاقة بالمعنى؛ وتناول الأمثلة الواردة وطرح أدلة وبراهين طريفة وشروحاً لذلك. وعليه فإنه لا يوجد شئ قط في إملاء المصاحف الأولى جاء صدفةً، ولا يتعلق الأمر هنا بأي تصرف من تقدير الكتّاب[٣٨].

وهاهي عدة أمثلة من الشروح الطريفة للمراكشي:

أ) في قوله تعالى: «لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأاذبحنه» نلاحظ وجود ألف زائدة في (لأاذبحنه) [٣٩]. والسبب في ذلك هو أن الذبح عقاب يفوق التعذيب، والألف الزائدة تشير إلى ذلك[٤٠].

ب) «والذين سَعَوْ في ايتنا..»[٤١] يلاحظ في هذه الآية الكريمة ورود كلمة (سَعَوْ) وهو فعل لم يقترن مثل غيره بألف الجماعة، والسبب في ذلك هو أن السعي لدرجة السباق هنا باطل، وسقوط الألف من السعي تصوير لبطلان ذلك التسابق[٤٢].

٣٣ سورة العلق ٩٦/ ٣ - ٥.
٣٤ سورة القلم ٦٨/ ١ - ٢.
٣٥ الداني، المحكم، ص ٢٦.
٣٦ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٣٤ - ٣٥.
٣٧ İhsan Fazlıoğlu, «İbnü'l-Bennâ el-Merrâkûşî», *DİA*, XX, 530-534.
٣٨ المراكشي، عنوان الدليل، ص ٣٠ وما بعدها والزركشي، البرهان، ١/ ٣٨٠ وما بعدها.
٣٩ سورة النمل ٢٧/ ٢١.
٤٠ المراكشي، المصدر السابق، ص ٥٦.
٤١ سورة سبأ ٣٤/ ٥.
٤٢ المراكشي، المصدر السابق، ص ٥٨ والزركشي، المصدر السابق، ١/ ٣٨٢.

ج) «اليل» وقد سقط حرف اللام الذي هو حرف التعريف. والعلة في ذلك هو أن الكلمة تعني الليل. ولأن الليل يعني الظلمة فإنه يخفي كل شئ، وأخفى هنا حرف التعريف[٤٣].

د) «الذي والتي» وسقوط حرف اللام الذي هو حرف التعريف في تثنيتهما وجمعهما، لأن هناك إبهاماً في معنى هاتين الكلمتين. وبسبب هذا الإبهام استتر حرف اللام كما هو الحال في الأمثلة السابقة[٤٤].

٣- وهناك أيضاً أحمد المبارك (ت ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) الذي ذهب نفس المذهب؛ فقد حاول في كتابه الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الذي أدرج فيه قسماً مما سمعه عن أستاذه وشيخه في التصوف عبد العزيز بن مسعود الدباغ (ت ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م) أن يتناول مفهوم «التوقيف» بمنهج باطني. وبعد أن نقل رأي الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) حول «جواز كتابة المصحف بإملاء متغيرة متطورة» ثم ذكر الأدلة والأفكار التي عرضها حول الموضوع؛ قال إنه لا توجد صلاحية تَصَرُّف من أي نوع في هذا الموضوع لا للصحابة ولا لمن جاء بعدهم؛ ثم قال إن «التوقيف» أمر وارد في كتابة المصحف، فقد كان كل شئ منوطاً بأمر الرسول ﷺ، وبالتالي كان معتمداً على الوحي. وبعض الحروف التي قد تبدو ناقصة أو زائدة في هذا الخط إنما تخفي وراءها من الأسرار ما يعجز العقل عن الإحاطة به، وإن هذا الأمر يختص به القرآن الكريم دون سائر كتب الأديان السماوية. ويذهب ابن المبارك إلى أن كلمة (عَتَوْ) مثلاً قد وردت في أربع آيات من القرآن الكريم، وفي ثلاث منها بالألف؛ أما في سورة الفرقان (٢٥ / ٢١) فقد كُتبت بغير الألف، وفي ذلك بعض الأسرار الإلهية وبعض المسوغات النبوية المخفية عن الناس. ويضم القرآن الكريم العديد من الأمثلة على ذلك. وينسحب الأمر نفسه على الحروف المسماة بالمقطعة التي تتصدر بعض سور القرآن[٤٥].

٤- وقد تعرض محمد عادل عبد السلام هو الآخر، وهو أحد الكُتّاب المعاصرين لمعنى التوقيف. ويمكن إيجاز نظرته إلى الأمر في عبارة «بما أن هذه المصاحف قد كتبت من قبل الصحابة وصَدَّق النبي على كل ما جاء فيها حتى مسألة الإملاء فلا بد أن يكون الإملاء والخط فيها توقيفياً، بل إن النبي هو الذي وَضَعَ بنفسه قواعد الإملاء في تلك المصاحف». وحجة أخرى سَاقها محمد عادل للتصديق على ذلك هي وجود إجماع على تلك الإملاء من صحابة للرسول يبلغ عددهم اثني عشر ألفاً وجيل التابعين ومن تبعهم من المجتهدين. كما يجب أن لا ننسى أن الرسول إذا كان قد أمر بشئ أو صَدّق عليه فإن اتباعه واجبٌ علينا؛ لأن الله يقول في كتابه الكريم «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم»[٤٦]، كما رُوي عن النبي أنه قال: «... فعليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين..». ويذهب المؤلف ـ وهو يطرح رأيه بهذا الوضوح ـ إلى أن رأي الجمهور أيضاً في هذا الاتجاه[٤٧].

ومن الأدلة التي يسوقها المدافعون عموماً عن توقيفية الإملاء في المصاحف الأولى ويتفقون عليها هي

---

٤٣ المراكشي، المصدر السابق، ص ١٣٦ والزركشي، المصدر السابق، ١ /٤٢٨.

٤٤ نفس المصدر والموضع.

٤٥ ابن المبارك، الإبريز، ص ١٠١ وما بعدها.

٤٦ سورة آل عمران ٣ / ٣١.

٤٧ محمد عادل عبد السلام، كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإملائية، ص ز - ز / ٢ وللحديث انظر: ابو داود، السنن، ٤ / ٢٠١ (السنن، ٦) وابن ماجة، السنن، ١ / ١٦ (المقدمة، ٦).

تلك الرواية التي نقلها الديلمي (ت ٥٠٩هـ/ ١١١٥م)، وتقول إن النبي ﷺ لمّا نزل عليه الوحي ذات مرة نادى معاوية بن أبي سفيان أحد كتبة الوحي حتى يكتبه، وطلب منه إعداد الدواة والقلم؛ ثم نبّه عليه بما يجب أتباعه عند كتابة الحروف: (ب، س، م) وعند كتابة ألفاظ (الله، الرحمن، الرحيم)[٤٨]. وهذا التنبيه وغيره من الأمور المشابهة إنما يثبت في رأي الآخذين بفكرة التوقيف أن الكَتَبَة لم يكونوا أحراراً في كتابة الوحي، وأن التوجيه في الكتابة كان يرتكز على أسس من الوحي نفسه.

وسوف نعرض في نهاية الفصل الثاني آراءنا حول مسألة التوقيف في كتابة المصحف.

٤٨ الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، ٥/ ٣٩٤ والقرطبي، الجامع، ١٣/ ٣٥٣ (ذكر القرطبي أيضاً رأي القاضي عياض فيما يتعلق بعدم صحة هذه الروايات). والسيوطي، الدر المنثور، ١/ ٢٨. أورد الديلمي في كتابه هذا عشرة آلاف حديث بغير سند ولكن قيل إن أغلبها ضعيف وموضوع انظر: Müctebâ Uğur, «Deylemî, Şîrûye b. Şehredâr», *DİA*, IX, 266.

الفصل الثاني

المصحف والرسم العثماني

أُطلقتْ كلمةُ «المصحف» على صفحات القرآن بعد تحويلها إلى كتاب، والجمع (مصاحف). وعَرّف ابن منظور المصحف بقوله: «إنه الشيء الذي يضم صفحات مكتوبة بين دفتيه»[1]. والمعروف أن صحف القرآن جمعت لأول مرة بين دفتين في عهد الخليفة الراشد الأول أبي بكر الصديق، وأخذت شكل المصحف آنذاك. وليس هناك شك أنهم استخدموا لأجل هذا الكتاب الذي احتوى جميع آيات القرآن الكريم مصطلح المصحف ابتداءًا من عهد الصحابة، لأن يزيد بن أبي عبيد وهو خادم الصحابي سلمة بن عمرو بن الأكوع استخدم عبارة «يقيم الصلاة بجانب العمود الذي يوجد عنده المصحف» عندما سألوه عن الموضع الذي يصلي فيه سيده في المسجد[2]. وفي رواية منقطعة الإسناد نقلها السيوطي أن الصحابة تشاوروا فيما بينهم لوضع اسم لهذا الكتاب بعد أن ضم آيات القرآن الكريم بين دفتيه، فأشار بعضهم بأن يكون اسمه «السِّفْر»، ولكن هذا الرأي لم يلق قبولاً بدعوى أن اليهود يستخدمونه، وهناك جرى التذكير بأن كلمة «مصحف» استخدمت في بلاد الحبش، فاقترحها البعض ولقيت استحساناً[3].

ورغم أن الرأي الشائع هو ذلك، إلاّ أن هناك روايةً نقلها الطبراني والبيهقي تقول إن الرسول نفسه ﷺ استخدم هذا اللفظ، لما أشار إلى أن تلاوة القرآن بالنظر إلى المصحف أفضل من تلاوته استظهاراً[4]. ولكن أحد الرواة في السند الذي بلّغنا تلك الرواية عن النبيﷺ هو أبو سعيد بن عوض (عون، عوض) المكتب، ووصفه يحي بن معين أحد علماء الجرح والتعديل فقال فيه مرة إنه «لا ضرر منه»؛ بينما تقول معلومات قادمة من نفس العالم أنه وصفه بالراوي «الضعيف». وقد تعرض الذهبي أيضاً لنفس الرواية وهو يسرد سيرة أبي سعيد، ووصفه بالضعيف، ووافقه ابن حجر ذلك الرأي وكرر قوله[5]. وفي هذه الحالة فإن هذه الرواية المسندة إلى النبيﷺ ليست صحيحة، ويجب علينا وصفها بالخبر الضعيف.

---

١ لسان العرب، مادة صحف.

٢ صحيح البخاري ١/١٢٧ (الصلاة، ٩٥) وصحيح مسلم ١/٣٦٤ – ٣٦٥ (الصلاة، ٢٦٤).

٣ السيوطي، الإتقان ١/١٦٦ ولبيب السعيد، الجمع الصوتي، ص ٨٣ وانظر: أيضاً أبو شامة، المرشد الوجيز، ص ٦٤.

٤ انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ١/٢٢١، رقم ٦٠١ والبيهقي، شعب الإيمان، ٢/٤٠٧، رقم ٢٢١٧.

٥ انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/٥٣٠ وابن حجر، لسان الميزان، ٧/٦٦٤ – ٦٦٥، رقم ١٠٠٢٣.

أما عن الأمر المراد التعبير عنه بعبارة الرسم العثماني فإن المقصود منه هو الإملاء المستخدمة في المصاحف التي استنسخها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ بقصد الرجوع إليها عند حل الخلافات التي قد تظهر حول نص القرآن وإرسال عدد منها إلى مراكز (أمصار) معينة. ولأن هذه المصاحف جرى استنساخها بأمر من سيدنا عثمان ﷺ وعلى أيدي هيئة هو الذي شَكّلها فقد عُرفت بهذا المصطلح.

أولاً: مصاحف سيدنا عثمان ﷺ

يكون من المفيد هنا أن نتعرض ــ ولو بإيجاز ــ لمصاحف الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ﷺ والتي كانت نقطة البداية في كافة مراحل النقاش والجدل الذي أثير حول إملاء المصاحف. ولأن الكثيرين تناولوا المصاحف المذكورة، سواء أكان في المصادر القديمة الخاصة بتاريخ القرآن وعلم القراءات، أم كان في البحوث المعاصرة، فإننا سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى الموضوع بالقدر الذي يخدم مصحف طوپقاپى الذي نقدمه اليوم للقراء.

فالمعروف لكل المهتمين بأمر المصاحف الأولى أن مصحف طوپقاپى واحد من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ، بل وكان هناك زعم حتى السنوات الأخيرة أنه النسخة التي استشهد الخليفة عندما كان يقرأ فيها. حتى إن هناك من ذهب إلى أن النص الذي تحدث عن نقل ذلك المصحف من مصر إلى استانبول وجاء قبل سورة الفاتحة فقال بالتركية إن هذه النسخة «هي كلام الله الذي خطّه قلم الفصاحة المبارك وارتسم فوق صحائف الإملاء..» لسيدنا عثمان ﷺ، أي أنه قلم سيدنا عثمان بن عفان ﷺ نفسه. وبسبب ذلك الزعم وتلك القناعة الذائعة يتلقاه الناس بهذه المشاعر وذلك الاعتقاد عندما يقومون كل عام بزيارته بمناسبة عرضه في شهر رمضان داخل متحف سراي طوپقاپى. وهناك مصحف قديم آخر في طشقند يقال إنه من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ؛ وقد نهض اسماعيل مخدوم نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقزاخستان لإثبات ذلك المدعى، فوضع كتاباً بعنوان «تاريخ المصحف العثماني في طشقند» (انظر قائمة المصادر). وهذا الزعم نفسه يقال أيضاً لمصحف في استانبول محفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية تحت رقم ٤٥٧، وكُتب في آخر ذلك المصحف أنه مكتوب بخط سيدنا عثمان بن عفان ﷺ في سنة ٣٠هـ(٦٥٠ – ٦٥١م). وفي الفصل الثالث من هذا الكتاب سوف نتعرض لموضوع هذه المصاحف، هل هي من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ أم لا.

ومما أجمعتْ عليه أقدم المصادر أن خلافاً وقع بسبب الفروق في قراءة القرآن بين الجنود المسلمين من أهل الشام والعراق أثناء فتحهم لأراضي آذربيجان وأرمينيا. ولما شعر حذيفة بن اليمان بالقلق من أن يؤدي ذلك إلى فتنة تَوَجَّه إلى الخليفة وأفصح له عن مخاوفه، فنهض عثمان وأمر بإحضار النسخة التي كانت قد وضعت بين دفتين قبل ذلك في زمن الخليفة أبي بكر الصديق، وبقيت آنذاك لدى السيدة حفصة إحدى زوجات النبي الكريم، ثم قرر أن يستنسخ عدداً من المصاحف الجديدة جاعلاً تلك النسخة أساساً لها؛ وكلف لهذا الأمر هيئة تتألف من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٦]. وقامت تلك الهيئة بإنجاز المهمة على أحسن وجه؛ وبهذا العمل الرسمي تكاثر عدد النسخ الأولى التي تضم الآيات التي وضعها أبو بكر الصديق بين دفتين.

٦ صحيح البخاري، ٦ / ١٧٢ (فضائل القرآن، ٣) ومكي بن ابي طالب، الإبانة، ص ٢٨ – ٢٩ والسيوطي، الإتقان، ١ / ١٦٩.

وهناك روايات متباينة حول عدد تلك النسخ، إذ تتراوح بين أربع إلى ثماني نسخ؛ ومع اختلاف تلك الروايات تباينت أيضاً آراء الباحثين المعاصرين[٧]. ورغم أن موضوعنا ليس مناقشة ذلك العدد، ولكن يجدر بنا القول إنها لا تقل عن ست نسخ، لأن المصادر قد أجمعت على النسخ المرسلة إلى مكة والكوفة والبصرة والشام، كذلك فإن من مرتكزات القراءة أيضاً الأئمة السبعة المشهورين فيها، فهم رجال ظهروا في تلك الحواضر وقرأوا تلك المصاحف ونشأوا عليها. وعندما يشار في المصادر الخاصة بعلم القراءات وفي بعض كتب التفسير إلى بعض الفروق في قراءات هؤلاء الأئمة يشار أيضاً إلى علاقة تلك الفروق بالمصحف المرسل إلى تلك الجهة[٨].

وتجمع المصادر أيضاً على أنهم ـ وهم يرسلون تلك المصاحف إلى تلك الحواضر أو الأمصار ـ قد أبقوا على نسخة منها في المدينة، ونُقل أن طريقة قراءة المدينة في تلاوة القرآن قد ارتبطت بذلك المصحف، وذلك هو الأمر الطبيعي. إذ لا يُعقل وهم يرسلون المصاحف إلى الحواضر المختلفة أن يتركوا المدينة دون مصحف وهي عاصمة الخلافة. وهناك رواية نقلها البخاري ومسلم بصدد الحديث عن الموضع الذي كان يصلي فيه سلمة بن عمرو بن الأكوع، أحد الصحابة في مسجد المدينة، إذ تقول إنه «العمود الذي يوجد عنده المصحف»، مما يدل حقيقةً على أنه كان يوجد مصحف في مسجد المدينة على أيام الصحابة، وهذا المصحف كان له مكان معلوم داخل المسجد[٩]. وعلى ذلك فإن عدد المصاحف لا يقل عن خمسة؛ والمعلومات الخاصة بفروق الإملاء والخط في كل واحد من تلك المصاحف الخمسة بما فيها مصحف المدينة نشهدها في المصادر التي تناولت المصاحف الأولى، وانعكست فروق الإملاء في تلك المصاحف الخمسة بلا استثناء على أساليب القراءة عند أئمة القراءات المشهورين؛ أي أن المصادر المعنية بالموضوع تتحدث كلها تقريباً عن الفروق بين مصاحف مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام[١٠].

ورغم ما نعرفه من أن كل نسخة من تلك المصاحف كانت تُعرف باسم «المصحف الإمام» في الحاضرة والجهة التي ذهبت إليها إلاّ أن هناك مصحفاً إماماً آخر هو إمام تلك المصاحف كلها وهو المقصود الأصلي عند ذكر المصحف الإمام، ألا وهو المصحف الذي جرى استنساخه من أجل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ. وقد تحدثت المصادر أيضاً عن فروق الإملاء والخط التي تتميز بها تلك النسخة عن النسخ الأخرى[١١]. وهذه النسخة إذا أضفناها إلى العدد السابق ارتفع عدد المصاحف التي استنسخها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ إلى ستة. وهناك من يتحدثون عن نسخ أخرى أرسلت إلى البحرين واليمن، ويذهبون إلى أن عدد المصاحف التي استنسخها عثمان ثمانية[١٢]، ومع ذلك فإننا لا نصادف لهاتين النسختين أثراً في المصادر ولا حديثاً عن خصائصهما الخطية والإملائية، كما لا توجد معلومات تتعلق بربطهما بأسلوب قراءة معين لأي من أئمة القراءات.

---

٧ حول الروايات المختلفة في المصادر القديمة انظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٤٣ ومكي بن أبي طالب، الإبانة، ص ٢٩ وابن الجزري، النشر، ١/٧.

٨ على سبيل المثال انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٣٠٣، ٢/٢٢٠، ٢٢٢ - ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٣-٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩-٢٧١، ٢٨٠-٢٨١، ٣٠٩-٣١١، ٣١٥، ٣٢٩، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٠١.

٩ صحيح البخاري، ١/١٢٧ (الصلاة، ٩٥). وصحيح مسلم، ١/٣٦٤-٣٦٥ (الصلاة، ٢٦٤).

١٠ للتعرف على فروق التلفظ وبنية الكلمات أو نقص الحروف وزيادتها بين هذه المصاحف الخمسة ومصحفي طوبقابي وطشقند انظر: الجدول الملحق في نهاية هذه الدراسة.

١١ انظر: على سبيل المثال: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٣٧-٣٩.

١٢ انظر: ابن الجزري، النشر، ١/٧.

ونعتقد أن السؤال حول المكان الذي توجد فيه اليوم مصاحف سيدنا عثمانﷺ، أو على الأقل ما هو الذي وصلنا منها، هو لا شك أحد الأسئلة المهمة المطروحة في تاريخ القرآن الكريم، ولكن المؤسف أن الإجابة عليه تأتي بالسلب. وحتى لو عثرنا على بعض المعلومات في المصادر القديمة حول الأماكن التي وجدت فيها كل نسخة على مدى القرون الماضية فإننا لا نستطيع اليوم أن نقول «إن النسخة الفلانية من تلك النسخ موجودة في المكتبة الفلانية». فعلى الرغم من أن بعض الكتّاب المعاصرين حاولوا اقتفاء آثارها في المصادر القديمة وإلقاء الضوء على تاريخ تلك النسخ، إلاّ أنهم في كل رحلة من الرحلات التي انطلقوا فيها كانت الآثار التي تعقبوها بعد التقدم سبعة أو ثمانية قرون على الأكثر تتحول في أماكن هنا أو هناك إلى الغموض، ثم لا تلبث أن تتلاشى بعد مدة[١٣]. والأمر المؤسف أنه لا سبيل إلى قول جازم حول تلك المصاحف التي يُعتقد أنها ضاعت أو فُقدت خلال الحروب والحرائق وغيرها من النكبات والأحداث. والذي نراه أن هذا الوضع هو واحد من أكبر نقاط الضعف في العالم الإسلامي على مدى تاريخه. ولكن من ناحية «العهد بالحفاظ» على القرآن فلا قيمة البتة لهذه العاقبة. فالقرآن في كل عهد من عهوده قد حفظه الآلاف واستظهروه في كافة المجتمعات الإسلامية، وجرى استنساخ العشرات والمئات والآلاف من نُسَخه تلبية لحاجة كل عهد ومجتمع.

ولعل بعض أقدم المصاحف المحفوظة اليوم في المكتبات قد جرى استنساخها من تلك النسخ الأولى، أو على الأقل من نُسَخٍ نُسختْ عنها. وبصرف النظر عن آراء بعض المستشرقين وأحكامهم المسبقة في أغلب الأحيان، فإن المسلمين ليس لديهم أدنى شك في «محفوظية» القرآن. ولكن الذي لا شك فيه أن امتلاك نسخ المصحف الأولى ـ التي هي أعظم أمانة تركها سيدنا عثمان بن عفانﷺ للمسلمين ـ أمر كان يبعث على الفرحة في أعلى درجاتها عند المسلمين كلما تذكروه. والمؤسف اليوم أن الحسرة على تلك النسخ غَطّتْ على تلك الفرحة؛ ورغم أن الواقع هو هذا فيما يتعلق بعاقبة المصاحف الأصلية إلاّ أن هناك مزاعم موجودة عن بعض المصاحف القديمة المنسوخة بالخط الكوفي في بعض الدول بأنها من مصاحف سيدنا عثمانﷺ، بل بأنها المصحف الذي كان يتلو القرآن فيه عند استشهاده.

وسوف نحاول في هذه الدراسة الوقوف عند اثنين من تلك المصاحف والتعريف بهما وإيضاح أنهما ليسا من مصاحف سيدنا عثمانﷺ؛ وأحدهما هو المحفوظ في متحف الآثار الإسلامية القديمة بمدينة طشقند، والثاني محفوظ في مكتبة متحف طوبقابي باستانبول[١٤]، لأن المصاحف التي اشتهرت باعتبارها مصاحف سيدنا عثمان بن عفانﷺ بين تلك المصاحف القديمة الموجودة إنما هي تلك المصاحف.

---

١٣ يقول ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن» (ص ٢٦) إنه شهد نسخة الشام في جامع دمشق. وحول عاقبة تلك النسخة والنسخ الأخرى انظر: صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٤ وما بعدها، وحمد، رسم المصحف، ص ١٨٨ – ١٩٥ واسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند، ص ١٩ وما بعدها، وانظر: أيضاً: Mustafa Altundağ «İstanbul Topkapı Mushafı Hz. Osman'a mı aittir?», *Marife*, 2002/1, s. 58-66.

١٤ نرى من المفيد هنا الإشارة إلى مصحفين ليسا ضمن موضوع الدراسة التي نقوم بها، أولهما المصحف المحفوظ في المشهد الحسيني بالقاهرة والذي يقال إنه واحد من مصاحف سيدنا عثمان بن عفان، وثانيهما المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية باستانبول تحت رقم ٤٥٧ وكتبت في نهايته عبارة تقول: «كتبه عثمان بن عفان في سنة ثلثين». وقد قيل إن نسخة القاهرة ليست من مصاحف الخليفة عثمان، وإن الذي امر بكتابتها قد يكون هو والي مصر عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) (انظر: صلاح الدين المنجد ص ٥٣)؛ إلاّ أن السند في الخروج بهذا الرأي لم تذكر. ومع اتفاقنا في الرأي حول ان هذه النسخة ليست من مصاحف سيدنا عثمان فإننا نود القول إن هناك دليلاً من تلك الأدلة موجود في صورة يبدو ان صاحب هذا الرأي لم يقم بالنظر فيها رغم وجودها في الكتاب. إذ نشهد عند تدقيق الصورة التي تضم الآيات الاخيرة من سورة البقرة والآيات الأولى من سورة آل عمران المأخوذة من تلك النسخة ان الآية الاخيرة من سورة البقرة قد كتبت على شكل (فانصرنا علا...) (انظر: الصورة ٦)، أي ان حرف الجر (على) اللازم كتابته بالياء قد كتب بالألف. في حين ان هذه الكلمة قد كتبت بالياء في كل مصاحف سيدنا عثمان (انظر: مهدوي، هجاء مصاحف الامصار، ص ٨٩ والداني، المقنع، ص ٦٥ وأبو داود، مختصر التبيين، ٢ / ٧٥ – ٧٦ وابن وثيق، الجامع، ص ٥٨). اما النسخة المحفوظة في متحف الآثار التركية والإسلامية فهي أيضاً ليست من مصاحف سيدنا عثمان، لانه مصحف وضعت عليه حركات التشكيل بحبر اسود (نقاط للدلالة على الحركات)، كما وضعت فيه علامات التخميس والتعشير وكتب اسم كل سورة في صدر تلك السورة، والكل يعلم ان هذه الامور لم تكن موجودة في مصاحف سيدنا عثمان.

ثانياً: حكم التوافق مع الرسم العثماني في كتابة المصاحف

يبدو أن ضرورة التوافق التام مع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ عند كتابة المصاحف، أو بمعنى آخر مسألة جواز التعارض مع تلك الإملاء، كانت من المسائل التي طالما تحدث عنها علماء المسلمين منذ العهود الأولى. وقد ذهب بعضهم إلى أن التوافق التام مع إملاء المصاحف المذكورة أمر لازم، بل هو واجب؛ بينما قال البعض عكس ذلك، ورَأَيْنا من ادعى أنه ليس صواباً. كما ظهر منهم أيضاً من اختار «طريق الحيطة» بين كلا الرأيين.

١- الذين يرون ضرورة التوافق مع الرسم العثماني

إن كتابة المصحف بالخط العربي المتطور ليست جائزة في نظر العلماء الذين تحدثنا عنهم في القسم السابق، وتعرضنا لآرائهم حول توقيفية المصحف، وكذلك في نظر من استحسن آراءهم وسار على هديهم؛ لأن مصدر هذه الإملاء هو الوحي في اعتقادهم، ولا يجوز الخروج على ما جاء به. ولا شك أنهم سوف يطرحون بعض الأسباب والحجج التي قد يقدرون على شرحها أو لا يقدرون. والشاهد على ذلك أن بعض هؤلاء العلماء بذلوا جهداً لصياغة بعض الحجج للأشياء التي بانت زائدة أو ناقصة في إملاء مصاحف سيدنا عثمانﷺ، بينما ذهب بعضهم إلى أن هناك في تلك الأمثلة أسراراً وحكمة إلهية تقصر العقول عن بلوغها.

أ) أجاب الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) عندما سُئل عن صحة الكتابة للمصحف بالإملاء المطورة، فقال بعدم صحة الخروج على الإملاء الواردة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ، وضرورة اتباع ما ورد فيها. ولم يقتصر كلام مالك على موضوع الإملاء وحدها، بل رأى أيضاً ضرورة الابتعاد عن تشكيل المصاحف. فالخروج على الرسم العثماني لا يصح إلاّ في المصاحف التي تكتب من أجل الأطفال تيسيراً عليهم في تعلم القرآن الكريم[١٥]. وهذا التوجه الذي طرحه من أجل الأطفال يدل على أن موقفه في موضوع الإملاء ليس له علاقة بفكرة التوقيف.

ب) أما أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) فقد استخدم أسلوباً أكثر سلبية، وذهب إلى «أن الخروج على خط مصاحف سيدنا عثمانﷺ في ياء أو واو أو ألف أو في الأمور الأخرى حرام»[١٦].

ج) وذهب البيهقي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) إلى ضرورة قيام كُتّاب المصاحف باتباع إملاء المصاحف الأولى بعينها، وعدم التغيير فيها بأي صورة، وكانت حجته في ذلك أن الكُتّاب الصحابة كانوا أناساً أكثر علماً منا وأوفر حظاً من الثقة[١٧].

د) ويذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) الآية الكريمة التي جاء فيها قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول)[١٨]، وقال وهو يشير إلى حرف اللام الذي كُتب منفصلاً عن ضمير الإشارة (هذا) أنه يخالف

---

١٥ الداني، المحكم، ص ١١.

١٦ الداني، المقنع، ص ٩ – ١٠ والزركشي، البرهان، ١ /٣٧٩ وكان الداني بعد أن نقل رأي الإمام مالك السالف الذكر قد ذكر أنه ليس هناك خلاف بين علماء الاسلام في ذلك.

١٧ البيهقي، شعب الإيمان، ٢ /٥٤٨.

١٨ سورة الفرقان ٢٥ /٧.

قواعد الكتابة العربية، ولكن خط المصحف «نهج لا يمكن تغييره»[١٩].

هـ) أما ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، الذي ألف العديد من الكتب في علوم القرآن، وخاصةً في علم القراءات الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً برسم الخطوط، فقد ذكرنا أولاً أن هناك اتفاقاً بين الصحابة على إملاء المصاحف التي كُتبت بأمر سيدنا عثمان بن عفانﷺ، ثم قال إن هناك بعض القواعد اللازم معرفتها في الخط العربي، وإن الإملاء المستخدمة في تلك المصاحف تخضع في عمومها لتلك القواعد وإن احتوت بعض العناصر الشاذة عليها. ولكن ابن الجزري بدلاً من أن يبحث عن حجج تعسفية لكل فرق من تلك الفروق، كما فعل المراكشي الذي عرضنا رأيه من قبل، راح يقول «إننا وإن كنا نعلم جانباً من أسباب تلك الفروق إلاّ أننا لا نعلم الجانب الآخر»، ويطرح توجهاً حذراً من وجهة نظره، وتكون النتيجة هي ضرورة التمسك بتلك الإملاء في كتابة المصحف[٢٠].

و) ويذهب محمد عادل عبد السلام الذي تحدثنا باختصار في قسم سابق عن فهمه «للتوقيف» إلى أن إتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف واجب يرقى إلى درجة الفرض. فالذين يعملون به لهم ثوابه، وأما الذين يخالفونه فلهم عقابه وعليهم اللعنة. والشاهد على ذلك أن الرسولﷺ لعن ستة أشخاص، وقال إن الله يلعنهم. وأول هؤلاء الستة شخص أضاف إلى كتاب الله، وآخر ترك سنة رسوله. والواضح أن المؤلف يرى في إثبات الألف في كلمة (مالك) التي ترد بغير ألف في سورة الفاتحة على شكل (ملك) إضافةً إلى كتاب الله، وخروجاً على سنة رسولهﷺ، ويذهب إلى أن كل من يفعل ذلك ملعون. وفي هذه الحالة فعلى كلٍ من يملك مصحفاً بغير الرسم العثماني، وخاصة إذا كان بخط الخطاط حافظ عثمان[٢١]، أن يبادر حالاً إلى حرقه في مكانٍ طاهر[٢٢].

ز) وتناول الكاتب المعاصر محمد طاهر الكردي موضوع الإملاء في المصاحف، فرأى فيها سراً يخفي حكمةً لا يعلمها إلاّ الله، وذَكر أن اتباع ذلك في كتابة المصحف في حكم الواجب. وفي رأيه أن الأفكار المطروحة لإيضاح خصائص الرسم العثماني لا ترتكز على شئ قط، وكلها أقوال طُرحت بعد الصحابة. إنهم قد وضعوا تلك الإملاء دون نظر إلى قاعدة في الكتابة أو الإملاء، وإنما على حكمة لا نعلمها نحن. فالواقع أن الإملاء المشار إليها قد وصلتنا بهذا الشكل عن الصحابة، ولم يخبروا أحداً بالأسرار المودعة فيها؛ كما أن الأمر لا ينطوي على جانب توقيفي. والصحابة وحدهم هم القادرون على إيضاح تلك الأمور المتناقضة في تلك الإملاء، ولن يكون ذلك ممكناً إلاّ عندما ينهضون من أجداثهم[٢٣].

---

١٩ الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٦٥.

٢٠ ابن الجزري، النشر، ٢/١٢٨.

٢١ الحافظ عثمان (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) هو احد مشاهير الخطاطين العثمانيين، وكتب بعد عام ١٠٦٩هـ (١٦٥٩م) حتى وفاته خمسة وعشرين مصحفاً. طبع منها المصحف المؤرخ في ١٠٩٧هـ (١٦٨٦م) بامر من السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م)، ثم جرى توزيعه على مختلف البلدان الإسلامية. كما قيل إن هناك عدة مصاحف اخرى جرى طبعها له انظر: M. Uğur Derman, «Hafiz Osman», *DİA*. XV, 98-99
ويبدو ان سبب الحملة الشديدة التي حملها محمد عادل عبد السلام على الحافظ عثمان بوجه خاص هو انتشار تلك المصاحف المكتوبة بالإملاء المتطورة نسبياً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي باستخدام سلطة الدولة.

٢٢ محمد عادل عبد السلام، كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإملائية، ص ٥٤ – ٥٥. وحول الحديث الشريف الذي ذكره المؤلف انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، ٤/٤٥٧ (القدر، ١٧).

٢٣ محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص ٤٧، ٩٨ – ٩٩، ١٠٣، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦.

ح) وفي النهاية يكون من المفيد أن نتعرض لرأي هيئة الإفتاء في الجامع الأزهر بمصر؛ ففي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) صدرت في مجلة الأزهر فتوى بناءً على سؤال حول وجوب اتباع الإملاء الأصلية في كتابة المصحف . وقد قيل إن آيات القرآن الكريم كان يجري تدوينها عقب نزولها على الرسول، وتلك الإملاء هي التي جرى استعمالها في زمنه . ولم يقع أي تغيير في ذلك . ومصاحف سيدنا عثمانﷺ كتبت بتلك الإملاء ثم أرسلت إلى المدن والأمصار المختلفة . وسيدنا عثمانﷺ وهو أحد الصحابة قد وافق على ذلك التصرف، كما لم يظهر من عارَضَه وخَرَجَ عليه . وظلتْ كتابة المصاحف بعد ذلك مستمرة بهذه الإملاء في عهد التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين. ولم يخرج أحد قط من بين هؤلاء ليقول إن علينا أن نكتب المصاحف بالإملاء المتطورة[٢٤] .

وبعض العلماء الذين طرحوا فكرة التمسك بالرسم العثماني في كتابة المصحف ولم يربطوه بفكرة التوقيف قد تعرضوا للحجج التي ساقوها لأفكارهم، بينما لم يتحدث البعض الآخر عن حجج. ومع عدم وضوح مسألة المصدر لهذه الأفكار هل هي نابعة من فكرة التوقيف حقاً أم من تحفظات أخرى، فالذي لا شك فيه أن هناك بعض الحجج في منحاهم، ولا سيما حرصهم الشديد على أن يظل النص الأصلي محفوظاً كما هو، وذلك أمر يجب ذكره قبل كل شئ. كما يجب الوثوق في علم ومهارة الكتبة من الصحابة والاطمئنان إلى تجاربهم وفطنتهم، وبالتالي إلى العمل الذي أنجزوه . ويجب القبول أيضاً بأن الاحترام الذي يحظون به له هو الآخر أثره في هذا الاتجاه . ويجب القول من ناحية أخرى إن التغيير المراد عمله في خط المصحف تطبيقاً لقواعد الإملاء الحديثة والخوف من أن يؤدي ذلك إلى بعض التحريفات والانحرافات التي لا تخطر على البال، والإيمان بأن وحدة الأمة الإسلامية لا يمكن تحقيقها في موضوع كتابة المصحف إلا بهذه الإملاء أمور قد ساعدت على ظهور ذلك الحرص، والقبول كذلك بأن هذا أمر صائب، وخاصة في ذلك العصر، وأنه حرص ضروري ومطلوب .

ومع الحديث عن ضرورة اتباع الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ فقد جرى الحديث في بعض المصادر عن حجة أن الخط في تلك المصاحف يساعد على أداء القراءات المتنوعة، وهناك من استخدم تعبيراً أكثر واقعية فذكر تلك الحجة مع شرط «قدر الإمكان» [٢٥]، وطُرحت آراء حول أن أداء القراءات المختلفة في المصاحف المكتوبة بالإملاء المتطورة أمر لن يكون ممكناً .

٢- من لم يروا ضرورة لاتباع الرسم العثماني

هناك بعض العلماء ممن لم يوافقوا على أن الإملاء الموجودة في المصاحف الأولى توقيفية، وذهبوا إلى أنه ليس من الضروري الالتزام بها عند كتاب المصحف .

أ)- كان أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) من رواد القائلين بهذا الرأي، إذ يذهب إلى عدم وجود إشارة في نص القرآن حول كتابة المصاحف بإملاء معينة، كما لا يوجد في سنّة النبي الأكرمﷺ ما يدعو إلى ذلك.

٢٤ مجلة الأزهر، العدد ٧ / ١، ص ٧٣٠ . وعلى الرغم من أن هذا هو رأي الأزهر الشريف وهو أحد المؤسسات العريقة في مصر إلاّ أننا نرى مصحفاً يطبع قبل أربعة وعشرين عاماً من تلك الفتوى في سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) في المطبعة العامرة في القاهرة ولا يوافق الرسم العثماني في شئ. وقد يصعب العثور عليه عند بائعي الكتب، ولكن نسخة منه توجد في مكتبة السليمانية باستانبول، ويمكننا الاطلاع عليها (مكتبة السليمانية، دوكوملو بابا، نمرة ١ / م ٧).

٢٥ الزرقاني، مناهل العرفان، ١ / ٣٦٦.

ولا يمكن الحديث في هذه المسألة عن إجماع للأمة أو قياس شرعي. فقد كان الرسول ﷺ كلما نزلت بعض الآيات أمَرَ الكَتَبَةَ بتدوينها، ولم يضع أمامهم أياً من القواعد للسير عليها في الكتابة. ولهذا السبب ظهرت فروق الإملاء بين خطوط المصاحف، لأن من الكتبة من كتب الكلمة بحسب تلفظها من الفم، بينما كتبها كاتب آخر بحسب القاعدة النحوية والشكل الذي عَرَفَه الناس بها، فقد يحذف منها حرفاً أو يضيف إليها حرفاً. والذين ذهبوا إلى أن كتابة المصحف ذات إملاء خاصة لم يأتوا بأي دليل لإثبات ما أدعوه[٢٦].

ب)- يرى عزالدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) أنه لا يجوز كتابة أحد المصاحف بالإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى، إذ يلزم في هذا الأمر تفضيل الخط المتطور. وإلاّ نكون ـ ونحن نقول إننا نكتب بالإملاء الأصلية ـ قد مهدنا الطريق لظهور أخطاء قد يقع فيها بعض العامة[٢٧].

ج)- ذهب اسماعيل حقي الإزميري أحد علماء الترك المعاصرين إلى أن إملاء المصاحف الأولى لا تخضع لشيئ من التوقيفية، والهدف الأساسي هنا هو حفظ القرآن نفسه وليس الخط. فقد كان سيدنا عثمان بن عفان ﷺ يقول للكَتَبَة الذين كلفهم بتكثير نُسخ القرآن الكريم: «إذا ظهر الخلاف بينكم فاكتبوا بحسب ما كتبت قريش»، وهذا أمر يتعلق بالإملاء وليس بالسور والآيات أو الألفاظ والكلمات. والدليل على ذلك أن زيد بن ثابت وسعيد بن العاص اختلفا في كتابة كلمة (تابوت)، إذ شاء سعيد كتابتها بالتاء المفتوحة (تابوت)، بينما شاء زيد كتابتها بالتاء المربوطة (تابوة)، ولما احتكما إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أشار بكتابتها بالتاء المفتوحة. ومن ثم يقول الإزميري إن اتباع الإملاء المستخدمة في كتابة المصاحف الأولى عند كتابة مصحف جديد أمر طيب وإن لم يكن واجباً. واستخدام الإملاء المعتادة في زماننا هو الأنسب لتلبية حاجة الناس[٢٨].

٣- من آثروا «طريق الحيطة»

أ) – نقل الزركشي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) آراء الإمامين مالك وأحمد بن حنبل وكذلك رأي ابن عبد السلام الذي أشرنا إليه؛ ورغم أنه يرى هذين الإمامين محقين في آرائهما تمشياً مع ظروف عصريهما، إلاّ أنه يتحدث عن أن العلم بلغ اليوم مرحلة مفعمة بالحيوية والنشاط، وأعرب عن مخاوفه من أن التوقف عند نفس الإملاء قد يؤدي إلى اختلاط الأمور، ويذكر أن رأي عزالدين بن عبد السلام يرتكز هو الآخر على نفس الحجة. ولكن الزركشي، وهو يطرح تلك الأفكار من جانب، تراه يشير من الجانب الآخر إلى ضرورة عدم تلقي الأمر على أنه قاعدة أكيدة، كما يضيف إلى ذلك قوله بأن ليس من الضرورة ترك أمرٍ أصاب القدماء في فعله بسبب جهل الجاهلين.

فالواضح أن الزركشي يفضل أن يسلك سبيل الحيطة، فهو يوافق عزالدين بن عبد السلام الرأي في كتابة المصحف بالإملاء المتطورة تيسيراً على الناس، ونراه على الجانب الآخر مقتنعاً بضرورة الاستمرار في كتابة

٢٦ الباقلاني، الانتصار للقرآن، ص ٣٧٥.

٢٧ الزركشي، البرهان، ١/ ٣٧٩.

٢٨ اسماعيل حقي ازميرلي، تاريخ قرآن، ص ١٩ (بالتركية العثمانية).

المصحف بالرسم العثماني، ولا سيما إذا كان ذلك لاستخدام ذوي الخبرة والمتخصصين، ثم المحافظة على تلك الإملاء الأصلية بدلاً من اعتبارها قاعدة مطلقة. كما أفسح الزركشي أيضاً المجال واسعاً في كتابه المسمى «البرهان في علوم القرآن» لتفسيرات ابن البنا المراكشي وتخريجاته المتعسفة، فتحدث قبل ذلك عن الأحرف الزائدة والناقصة في إملاء المصاحف الأولى، أو عن وجود أحرف كُتبت باعتبار تلفظها، ثم ذكر أن في ذلك حكمةً خفية وأسراراً هامة مودعة. والواضح من حديث الزركشي المطول عن أفكار المراكشي أنه على الرغم من عدم إيقانه بشكل قاطع بتوقيفية الإملاء الأصلية إلاّ أنه يرى أن ذلك أمر قد يكون قائماً، ومن ثم فهو يكشف لنا أنه يؤيد الرأي القائل بالحفاظ على تلك الإملاء، ولا يرى غضاضة في الوقت نفسه في استخدام الخط المطور في المصاحف بقصد التيسير على الناس والتصدي للأخطاء المحتملة[٢٩].

ب) – نقل محمد عبد العظيم الزرقاني، أحد الكتاب المعاصرين، ما وقع من جدل حول الموضوع، ثم قام بعد ذلك فذكر رأي الزركشي الذي أشرنا إليه، وقال إن هذا الرأي يؤخذ بتحفظ لأمرين: الأول هو كتابة القرآن في كل عصر بالخط الذي يعرفه كل شخص، والحيلولة دون اللحن في تلاوته، والحيلولة دون وقوع تضارب في نصه؛ والثاني هو المحافظة على الإملاء الأصلية التي سيقرؤها المتخصصون وذوو الخبرة. ويقول الزرقاني إنه سبيل الحيطة والحذر، وهو أمر يحض عليه الدين وخَاصَّةً إذا كان متعلقاً بالحفاظ على كتاب الله[٣٠]. ولكن الزرقاني يقول ذلك، ثم نراه، وهو يشرح خصائص الرسم العثماني ويعدد مزاياه، يعود فيذكر على الجانب الآخر أن لهذه الإملاء معاني خفية ودقيقة، ثم يقول إن الياء الزائدة في كلمة (بأييدٍ) الواردة في آية «والسماء بنيناها بأييدٍ»[٣١] إنما تشير إلى تعظيم قدرة خالق السماء[٣٢]. وأمام هذه الأقوال من الزرقاني قد يرد على الخاطر سؤال عما إذا كانت هناك ضرورة للحديث عن حيطة وحذر، لأن الياء هنا إذا كانت تشير حقاً إلى معنىً كما يذكر الزرقاني فهل الحفاظ عليها في هذه الحالة أمرٌ ملزم يتعدى مسألة الحذر أيضاً.

ج)– هناك أيضاً من الكتاب المعاصرين صبحي صالح، وهو يشير إلى رأي ابن عبد السلام، فيقول إنه أكثر إصابة (وهو في الحقيقة رأي الزركشي الذي خلطه الكاتب برأي ابن عبد السلام)، وقال إنه يصعب إلغاء الرسم العثماني الذي اتفق الجميع على أنه «رمز ديني عظيم»، ولكن مع مراعاة مسألة أن طبقة العوام قد لا تستطيع قراءة ذلك النص الأصلي، ويكون من الصواب أن تُطبع لهم مصاحف تستخدم الخط الشائع، بل ويكون من الضروري فعل ذلك[٣٣].

---

٢٩ الزركشي، البرهان، ١/٣٧٩ – ٣٨٠. وفي اعتقادنا ان بعض الكتاب الذين حاولوا الاستفادة من افكار ابن عبد السلام والزركشي (مثل: محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان ١/٣٧٨، وصبحي صالح في مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٠) قد خلطوا بين اقوال هذين الرجلين بسبب عدم كفاية التنظيم التقني والتنقيط في كتابيهما، فقد اعتقدوا في العبارة التي تبدأ وتنتهي بالقول (ولكن لا ينبغي... بالحجة) للزركشي وكأنها استمرار لكلام ابن عبد السلام. والواضح للعيان أن تلك الجملة ترجع للزركشي إذ استخدمها في نقوله كل من القسطلاني في لطائف الإشارات (١/٢٧٩) وابن البناء البغدادي في اتحاف فضلاء البشر (١/٨١) (انظر: أيضاً: غانم قدوري حمد، رسم المصحف ص ٢٠٠ – ٢٠١).

٣٠ الزرقاني، مناهل العرفان، ١/٣٧٨ – ٣٧٩.

٣١ سورة الذاريات ٥١/٤٧.

٣٢ الزرقاني، المصدر السابق، ١/٣٦٧.

٣٣ صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص ١٨٠.

ثالثاً : الزعم بأن مصاحف عثمان تحتوي أخطاءً إملائية ونحوية

لقد ظهرت بعض المزاعم حول وجود لحن (مخالفة قواعد اللغة) في بعض مواضع من القرآن الكريم، وأن هناك أخطاءً إملائية في مصاحف سيدنا عثمانﷺ، وثار الجدل حول ذلك. ورغم وجود الروايات المختلفة المتعلقة بمزاعم اللحن إلاّ أن هذا الزعم يستند إلى رواية لا توجد في مصادر الحديث الصحيحة وتنسب إلى سيدنا عثمان ﷺ وكذلك إلى رواية أخرى نُقلت عن السيدة عائشة (رضي الله عنها).

وتقول الرواية الأولى إن المصاحف جرى تقديمها إلى سيدنا عثمانﷺ عقب كتابتها؛ فلما فحصها وجد بعض مواضع للحن فيها، ويبدو أنه لم يعبأ بها كثيراً، حتى إنه لم يأمر بتصحيحها، وقال «إن العرب (وهم يقرأونها) سيغيرونها (أي يصححونها)»[٣٤]. أما الرواية الثانية فتقول إنهم ذكروا للسيدة عائشة وجود لحن في بعض الآيات في سورة النساء (٤ / ١٦٢) وسورة المائدة (٥ / ٧٣) وسورة طه (٢٠ / ٦٣)، ثم سألوها رأيها في ذلك، فقالت لهم «إنه من عمل أحد الكتبة، وإن الكتبة كانت لهم أخطاء في كتابة المصاحف»[٣٥]. وهاتان الروايتان جرى تناولهما في مصادر قديمة وفي مصادر حديثة أيضاً، وتحدث الكتّاب فيهما[٣٦]، فجرت دراستهما ونقدهما من حيث كونهما يثبتان أم لا يثبتان؛ وانطلاقاً من صحة الروايتين فسّر بعض الكتّاب القدامى مثل ابن قتيبة النماذج المطروحة من اللحن في القرآن بعدم كفاية الكتّاب في موضوع الكتابة[٣٧]، وفي مقابل ذلك ظهر من الكتّاب من رأى ضعف هاتين الروايتين من ناحية السند، بينما سلك البعض الآخر طريق التأويل لتلك الأخبار.

ولأن موضوعنا هو رسم المصحف فقد رأينا الأجدر بنا، بدلاً من الوقوف عند بنية الكلمات وادعاءات اللحن المتعلقة باللفظ والدخول في تفاصيل ذلك، أن نكتفي هنا بتقديم وجهة نظر السيوطي في المسألة باعتباره أحد الكتّاب الذين أدلوا بدلوهم في هذا النقاش، والنظر في المزاعم القائلة بأن المصاحف لا توجد بها إلاّ أخطاء إملائية. وقد عَرَضَ السيوطي وجهة نظره في ادعاءات اللحن المتعلقة باللفظ وبنية الكلمة بأن طَرَحَ الأسئلة التالية:

- كيف يمكن اعتقاد اللحن في الصحابة وهم أفصح وأوضح وأسلم من تحدث العربية؟[٣٨]
- كيف يمكن الوقوع في اللحن مع أناس تعلموا القرآن الكريم على يدي الرسولﷺ كما نزل به الوحي، ثم حفظوه وقاموا بتدوينه بكل الدقة والعناية؟.
- كيف يمكن أن نتصور أن يُجمِعَ هؤلاء على خطأٍ ثم يقبلوا هذا النص على ما فيه من الخطأ؟
- كيف يمكن أن نتصور أن سيدنا عثمانﷺ يمنع تصحيح أخطاء هو على علم بوجودها؟
- كيف يمكن أن نقبل للقراءات المنقولة تواتراً أن تؤسَّس على بناءٍ خاطئ، ثم تمضي على هذا النحو جيلاً بعد جيل؟

---

٣٤ ابو عبيد قاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص ١٦٠ والسيوطي، الإتقان، ٢ / ٢٧٠.

٣٥ ابو عبيد قاسم بن سلام، المصدر السابق، ص ١٦١؛ وابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٣٤.

٣٦ انظر: على سبيل المثال: Mustafa Altundağ, *Hata İddiaları Çerçevesinde Kur'an'ın Dil ve Yazım Özellikleri*, s.37-58

٣٧ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٤٠ – ٤١.

٣٨ لعل السيوطي لايقصد الصحابة جميعهم هنا وإنما يقصد كبارهم والنخبة التي اضطلعت منهم بكتابة الوحي والمصحف.

ثم شرع السيوطي بعد طرح هذه الأسئلة بالإجابة عليها فقال: «إنه شيء لا يمكن حدوثه عقلاً وشرعاً وسلوكاً»[٣٩].

أما عن مسألة الزعم بأن مصاحف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ تحتوي بعض الأخطاء الإملائية فعلى الرغم أن الذين تناولوا الموضوع بحكم مسبق وطريقة دفاعية يشكلون الأغلبية، إلا أن هناك كتّاباً فسروا الأمر بعدم الكفاية في نظام الإملاء الذي جرى عليه الكتبة من الصحابة. وهناك مَنْ قالوا إن الأصل في عدم الكفاية هو الخط الذي كان مستعملاً آنذاك، أو مَنْ لفتوا الأنظار إلى عدم الكفاية في الجانبين معاً.

١- يرى يحي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) عدم وجود نظام في الإملاء عند الصحابة في كتابة المصحف، وذلك رغم أنه يعارض التلاوة التي تخرج على الرسم العثماني في قراءات القرآن الكريم. ويرى أن الذين كتبوا المصاحف الأولى لم يكونوا ممن تعاطوا الكتابة بشكل مستمر. ولهذا فإنهم كتبوا كلمة (تغن) بدون حرف الياء في قوله تعالى «فما تغن النذر» في سورة القمر (٥٤/٥)، بينما أثبتوا الياء فيها عندما وردت في آية «وما تغني الآيت والنذر» في سورة يونس (١٠/١٠١). والسبب في ذلك قلة تجاربهم في مجال الكتابة وافتقارهم إلى الممارسة العملية[٤٠].

٢- كان ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) واحداً من الأسماء البارزة التي لفتت الأنظار في هذا الموضوع؛ فقد أشار إلى حجتين وهو يتحدث عن عدم وجود تناقض بين الحديث النبوي الذي يقول «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومَنْ كَتَب شيئاً من مثل ذلك فليمحه»[٤١] وبين الرواية التي تقول إن عبد الله بن عمرو بن العاص سأل النبي قائلاً: «يا رسول الله أأكتب ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضا والسخط قال نعم فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقاً»[٤٢]. ومن ذلك أن الحديث الأول قد ينسخ الثاني (أي يبطله)، والثاني هو ثقة النبي ﷺ في علم ومهارة عبد الله بن عمرو في موضوع القراءة والكتابة. ويقول ابن قتيبة إن عبد الله كان قادراً على قراءة النصوص القديمة، وقادراً على كتابة السريانية والعربية. أما بقية الصحابة فكانوا عدا نفر منهم أميين لا يجيدون الكتابة. ولعل هذا هو السبب الذي دفع النبي إلى أن يوجه إليهم تحذيره السابق، بينما يأذن لعبد الله في هذا دون غيره[٤٣]. وقد تحدث ابن قتيبة أيضاً وهو يتعرض للمسألة في مناسبة أخرى عن وجود أخطاء في إملاء المصاحف الأولى، وكرر رأيه القائل بأن هذه الأخطاء إنما هي من الكتبة[٤٤].

وليس حديثنا الآن عن إيضاح التناقض الذي قد يبدو بين الحديثين المذكورين ومدى صواب ذلك، فهو خارج عن الموضوع؛ وإنما الأهم هو رأي ابن قتيبة اللافت للنظر حول خبرة صحابة رسول الله في موضوع الخط والكتابة. فهو يقول إن عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة من الصحابة لا يتجاوز نفراً، والباقي أميون؛ والذين يستطيعون الكتابة منهم بالقدر الذي يمكن الوثوق فيه ويمكنهم التمييز بين الأحرف كانوا قلة لا تُذكر. وفي هذه الحالة لا يمكن الاعتماد على إملاء المصاحف التي كتبها هؤلاء الصحابة. والشاهد على ذلك أننا إذا نظرنا إلى الأمثلة التي عرضها ابن قتيبة فسوف نشهد العديد من الأخطاء الإملائية في تلك المصاحف.

---

٣٩ السيوطي، الإتقان، ٢/ ٢٧٠، وعن الجدل الذي دار حول الروايات الخاصة بوجود لحن في القرآن انظر: حمد، رسم المصحف، ص ٢١٢ – ٢٢٣.

٤٠ الفراء، معاني القرآن، ١/ ٤٣٩.

٤١ صحيح مسلم، ٤/ ٢٢٩٨ – ٢٢٩٩ (الزهد، ٧٢).

٤٢ احمد بن حنبل، المسند، ٢/ ٢٠٧.

٤٣ ابن قتيبة، تاويل مختلف الحديث، ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

٤٤ نفس المؤلف، تاويل مشكل القرآن، ص ٤٠ – ٤١.

٣- وتناول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) موضوع إملاء المصاحف، فنظر إلى الأمر من ناحية عدم كفاية الخط الذي كان مستعملاً آنذاك، وليس من ناحية عدم كفاءة الصحابة وقدراتهم على الكتابة. فهو يقول إن الخط العربي لم يكن ذا بنية سليمة حتى عهد ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) أحد وزراء العباسيين الذي اشتهر بجودة خطه. وهو وَضْعٌ ينسحب أكثر على عهد الصحابة. ولا ريب أن الصحابة كتبوا نصوص الوحي بالخط الذي كان مستخدماً بين الناس آنذاك، واستنسخوا المصاحف بنفس ذلك الخط. ولعدم الكفاية في هذا الخط يكون من الطبيعي أن تظهر بعض الفروق في الكتابة حتى وإن عدمت التأثير على اللفظ والمعنى في المصاحف[٤٥].

٤- نحن نعلم أن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) يذهب هو الآخر مذهباً يشبه مذهب ابن كثير؛ إذ يُذكّرنا أن الخط العربي في عهود الإسلام الأولى لم يكن قد تطور بعد بقدر الكفاية، ويتحدث عن ضرورة النظر إلى النصوص التي كتبها كُتّاب الوحي ودونتها الهيئة التي شكلها سيدنا عثمان بن عفان ﷺ تبعاً لذلك. ويقول إنه من الممكن مشاهدة عدم الكفاية هذه في كتابات ذلك العهد موجودة في المصاحف التي كتبها الصحابة. وجرى جيل التابعين بعد ذلك على استخدام تلك الإملاء تبركاً. ولا يجب في هذا الموضوع أن ينخدع أحد لمزاعم بعض الغافلين القائلة بمعرفة الصحابة لفن الخط بصورة جيدة؛ وعلى سبيل المثال فإن الحجج والبراهين على أن الألف الزائدة في كتابة قوله تعالى (لأ اذبحنه) (٢٧ / ٢١)، أو الياء الزائدة في كتابة (بأييد) (٥١ / ٤٧) إنما كتبت للتنبيه، فهي أمور لا تعني شيئاً على الإطلاق. والأمر الذي دفع هؤلاء الناس إلى مثل هذه التفسيرات إنما هو اعتقادهم في عصمة الصحابة من فعل شيئ ناقص أو خاطئ، ثم عواطفهم ومشاعرهم تجاه الصحابة. هذا في حين أن الخط صنعة، وعدم الكفاية في هذا المجال لا تعد انتقاصاً في حقهم. فلم يكن النبي نفسه يعرف القراءة والكتابة، فهل يُعد هذا نقصاً؟ والمعروف أن الفتوحات تطورت بعد ذلك، وحظي الخط بأهمية كبيرة لدى الدولة، حتى كانت النتيجة أن اهتموا بتعليم الخط على وجه الخصوص، وبلغ الخط في الكوفة والبصرة أرضية صحيحة[٤٦].

وقد قام محمد حسين أبو الفتوح بجمع آراء ابن خلدون هذه، وجعل منها مؤلفاً مستقلاً بعنوان (ابن خلدون ورسم المصحف)، لكنه انتقده في هذا الكتاب (انظر قائمة المصادر)؛ ولسوف نتعرض بإيجاز فيما يلي للأدلة التي ارتكن إليها في تلك الانتقادات ورأينا فيها.

٥- وكان علي عبد الواحد وافي واحداً من الكتّاب الذين قالوا إن الخط العربي لم يكن قد بلغ نضجه بعدُ أثناء كتابة المصاحف الأولى. وذكر أن الخط العربي مر بخمس مراحل، وتحققت أعظم الخطوات في هذا المجال خلال القرن الأول من هجرة الرسول ﷺ. فالواضح أن مسيرة الإصلاح إبان كتابة المصاحف الأولى لم تكن قد اكتملت بعد، أو أن الخط العربي بشكله المتطور لم يكن قد انتشر بعد في تلك المرحلة. والجدير بالذكر أيضاً أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف لم يكونوا على علم كافٍ بذلك التطور أو أنهم لم يستصوبوا تطبيق الإصلاحات - التي ظهرت - في كتابة المصاحف. ولعل ذلك هو السبب في ظهور المصاحف مع العديد من الأخطاء الإملائية. فالياء الزائدة في كلمة (بأييد)، والألف الزائدة في (لأاذبحنه)، وكتابة كلمات أخرى بغير ألف مثل كلمات (وهاجروا، يقاتلونكم، ميثاقكم، الرحمان)، وكتابة كلمات مثل (سنة، نعمة، رحمة) بالتاء

٤٥ ابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٧.

٤٦ مقدمة ابن خلدون، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

المفتوحة في بعض المواضع إنما هو بعض من الأمثلة على تلك الكتابة الخاطئة[٤٧].

٦- يمكن القول إن ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف هو على حد علمنا أكثر الكتاب المعاصرين راديكالية في تناولهم لموضوع إملاء المصاحف الأولى. فقد تعرض في كتابه (الفرقان) لبعض المسائل في علوم القرآن والقراءات، وأفسح أثناء ذلك مجالاً واسعاً لموضوع الإملاء في المصاحف الأولى. فقال إن المسلمين في العصر الأول من الإسلام كانوا أميين يعيشون حياة البداوة وبعيدين عن العلوم والفنون، ولهذا كانوا قليلي الخبرة في موضوع الكتابة والإملاء. ومن ثم جاءت المصاحف الأولى التي كتبوها محملة بأخطائهم الإملائية، ومنها أخطاء فاحشة. ولا شك أن الكتبة الذين كتبوها أناس مثلنا ينطبق عليهم ما ينطبق على الآخرين. فقد يقعون مثل غيرهم في الخطأ والغفلة والنسيان، لأن الله وحده هو المنزه عن الخطأ.

وقد حَذّر ابن الخطيب قراءه وهو يطرح تلك الأفكار من أن يفهموا من حديثه أنه يستخف بالصحابة ويستهين بفضلهم، ولكنه أكد على أنهم كانوا أميين حقاً. وقال إن الأمية وإن كانت تمثل قصوراً في حق الناس فإنها مجال للفخر بالنسبة للصحابة، ثم عرض أمثلة من إملاء تلك المصاحف التي نسخوها، وسعى للتدليل على صدق مذهبه. فذكر على سبيل المثال أن كلمة (يبدأ) في تلك المصاحف جاءت على شكل (يبدو)، وجاءت كلمة (لشئ) على شكل (لشاى)، وكلمة (لأذبحنه) على شكل (لاأذبحنه)، وكلمة (نُنْجي) على شكل (نُجي)... والأمثلة كثيرة على مثل هذه الكلمات التي تخالف قواعد الإملاء[٤٨]. وادعاء الكاتب بوجود أخطاء في تلك المصاحف لا يقتصر على الجانب الإملائي؛ وانطلاقاً من قبوله بصدق الروايات المنقولة عن عثمان بن عفان والسيدة عائشة (رضي الله عنهما) والمذكورة كدليل على وجود لحن في المصاحف فإنه يرى أن كتابة بعض الكلمات تخرج عن قواعد النحو والصرف. وبهذا الاعتبار يرى أن الإصرار على إملاء المصاحف الأولى أمر لا معنى له. وقد تعرض ابن الخطيب للنقد الشديد على تلك الآراء وعلى أسلوبه في تناول مسائل عديدة أخرى، ثم قامت هيئة من ثلاثة أشخاص شكلها شيخ الأزهر آنذاك بإعداد رد على تلك المزاعم في شهر يولية ١٩٤٨م ووقع في ٤١ صحيفة، سعياً من الهيئة لدحض آرائه. وفي خضم هذا الغضب الذي ثار في الأزهر جرى جمع كتاب ابن الخطيب من الأسواق، وإن كانت بعض النسخ منه قد وجدت سبيلها لأيدي الناس. كما نظر غانم قدوري حمد هو الآخر في آراء ابن الخطيب ووصفها بأنها «مثال على الجهل التام في رسم الخط والقراءات»، ودافع عن رأي الأزهر في هذا الموضوع. فقد رأى غانم أن تدخل الأزهر ليس حرباً على الفكر الحر الصحيح، وإنما يجب النظر إليه على أنه إحقاق للحق والحقيقة وإسكات للجهل والباطل[٤٩].

رابعاً: نظرتنا إلى الجدل حول الرسم العثماني

إذا كانت الإملاء في مصاحف سيدنا عثمانﷺ قد تقررت بالوحي حقاً فمن القطع أن اتباعها بعينها في كتابة المصاحف واجب لا مناص منه. فإذا لم يكن الأمر كذلك فمن السهل مناقشة الموضوع بعيداً عن مفهوم الواجب، وعندئذٍ قد تخرج الآراء والأفكار متباينة.

---

٤٧ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٤٨ ابن الخطيب، الفرقان، ص ٤٥- ٤٦، ٥٧ وما بعدها، ٩٠ - ٩١.

٤٩ حمد، رسم المصحف، ص ٢١٢.

١- كان ابن فارس ممن تناولوا الموضوع بمفهوم التوقيف؛ ويبدو أن المدافعين عن ضرورة اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف لم يعبأوا هم أيضاً برأيه، ولم يجدوا الأدلة التي طرحها شافية وكافية. والمعروف أن الحروف والألفاظ ثم الخطوط التي تتشكل منها إنما هي إشارات ورموز تعبر عن فكر الإنسان. والأمر الطبيعي أن تكون تلك الأمور من صنع الإنسان ومبتكراته. أما إذا كان العكس هو المقصود فمن الواجب أن يكون مرتكزاً على أدلة سليمة. كما أن تبعات طرح تلك الأدلة وإثبات البينة تقع على من ادعى.

ورغم أن ابن فارس قد فهم الآية القرآنية القائلة إن الله عَلّم آدم الأسماء كلها[٥٠] على أنها الأسماء اللازمة الخاصة بالأشياء حتى يتفاهموا فيما بينهم، وأن هذه الأسماء هي الأخرى أسماء عربية؛ ومن ثم ذهابه إلى أن اللغة العربية وكذلك الخط الخاص بها توقيفيان، فإن ضمير (هم) في قوله تعالى (ثم عرضهم) الوارد في نص الآية هو في نظر المفسرين الذين يرون أنه لا يؤدي إلى هذا الفهم، لا يرجع إلى الأسماء الخاصة بالأشياء، وإنما المقصود هو أسماء الملائكة أو أسماء بني آدم عليه السلام. وفي هذه الحالة فإن هذه الآية لا يمكن أن تكون دليلاً على توقيفية اللغة العربية، ومن ثم على توقيفية الإملاء في كتابة المصحف. كذلك فإن الأخبار التي أوردها ابن فارس بادئاً فيها حديثه بقوله: «يُروى أنّ...» لا تحمل صفة الدليل في مسألة مهمة مثل مسألة توقيفية الخط العربي، وبالتالي توقيفية الإملاء المستخدمة في المصاحف. ولا يمكننا أن نتصور أن النبي محمد ـ وهو النبي الأمي ـ طلب من كُتّاب الوحي مثلاً أن يكتبوا كلمة (ابرهيم) بدون الياء دائماً في سورة البقرة (ابرهم)، وأن يكتبوها بالياء في كافة السور الأخرى، فيقف عند تلك الأمثلة العديدة التي لا حصر لها، ويقول لهم: اكتبوا هذه بالألف واكتبوا هذه بالواو...

ومن ناحية أخرى فإن طريقة عمل مفصلة تقتضي تنبيه الكتبة وإيقاظهم في كل آية تقريباً لا يمكن لها أن تبقى خفية؛ ألم يكن من الواجب للمعلومات المستفيضة في ذلك والروايات التي حملت إلينا تلك المعلومات أن تملأ كتب علوم القرآن على الأقل وتصلنا من خلالها؟ والواقع أنه لا يوجد شئ من مثل ذلك. وحتى لو قبلنا بصحة الرواية الضعيفة، أو ربما الملفقة التي نقلها الديلمي، فإنه يبدو من غير الممكن وضع أساس لفهم توقيفي بهذه الرواية[٥١]. فالواقع أن الخلاف الذي وقع بين كتبة سيدنا عثمان بن عفان، وهم يكتبون كلمة (تابوت) في المصاحف، هل تكتب بالتاء المفتوحة أم المربوطة. والأمر الذي أمرهم به أنه «إذا اختلفتم في شئ فاكتبوه بلغة قريش...» إنما هو من الأمور التي تكشف بوضوح أن مفهوم التوقيف ليس موجوداً في إملاء المصحف، وهي أمور احتوتها كافة المصادر المعتبرة تقريباً. ومن الجوانب المهمة في هذا الموضوع أن علماء ومجتهدي العهد المبكر من أمثال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل لم يتحدثوا قط عن مسوغات التوقيف وهم يطرحون أفكارهم حول ضرورة اتباع الإملاء الواردة في المصاحف الأولى. وقد نظر صبحي صالح، أحد الكتاب المعاصرين في مسألة الرأي بأن إملاء المصاحف الأولى توقيفية على أنه تقديس للعمل الذي قام به سيدنا عثمان بن عفان، وقال إنه إفراط بعيد عن المنطق. ويقول صبحي صالح إنه لا توجد معلومات صحيحة عن النبي ﷺ تقول إن هذه الإملاء توقيفية، كما أن العمل الذي قامت به الهيئة التي شكلها الخليفة عثمان بن عفان لايتعدى كتابة تلك المصاحف

٥٠ سورة البقرة ٢ / ٣١.

٥١ حول هذه الرواية وما قيل فيها انظر: نهاية الفصل الأول.

بالشكل الذي يوافق التعليمات التي وجهها إليهم. أما مسألة احترام وتقدير العمل الذي قام به عثمان وتفضيل اتباع سبيله في كتابة المصاحف فهي شئ، والقول إن هذا العمل توقيفي شئ آخر مختلف[٥٢].

ولا ريب أن معاني القرآن العميقة هي جوهره وأساسه، وأن الشئ الذي يرسم ويُصور الألفاظ ويُبرز ذلك الجوهر، أي الخط، إنما هو القالب أو الوسيلة التي حملته إلينا وعن طريقها بلغتنا آياته. فعند النظر إلى القرآن من حيث كونه رسالة سوف يدرك أولوا الأفهام أنه أرسل إليهم حتى يتفكروا في خلق الله، وأن الهدف الأصلي منه هو ذلك. إذ تقول الآية الكريمة: «كتٰب أنزلنٰه إليك مبٰرك ليد ءايٰته وليتذكر أولوا الألبٰب»[٥٣]، والأساس هنا بالنسبة للمسلمين كما تؤكد الآية هو أن يتدبروا معاني القرآن قدر عقولهم، ويسعوا لفهمها بصورة صحيحة، والعمل بما جاءت به. وبصرف النظر عن القيمة الخاصة التي منحناها للخط باعتبار أنه عمل أنجزته أيدي الصحابة، وبصرف النظر عن أن مشاعر الاحترام والتقدير المتباينة جداً والتي نشعر بها تجاه إرث الصحابة وذكراهم أمر لا جدال فيه إلاّ أننا لا نجد سبباً واحداً لتقديس الشكل الذي عليه ذلك الخط وهو أداة مساعدة ـ بالقدر الذي تمكنت يد الانسان من انجازه ـ على توصيل تلك الرسالة إلى المكلفين بها.

٢ ـ أما الجهود التي بذلها ابن البنا المراكشي عندما حاول تقديم مسوغ لكل لفظ جرت كتابته مختلفاً في تلك المصاحف حتى يثبت أن الإملاء المستخدمة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ توقيفية فإننا إذا نظرنا إلى تلك المسألة على ضوء المعلومات التي قدمناها من بداية هذه الدراسة وحتى الآن فسوف يبدو بوضوح أن بعض المسوغات التي ذكرها الكاتب ـ حتى وإن بدت للوهلة الأولى منضبطة معقولة ـ هي في الواقع تعسفٌ لا ضرورة له، وخَاصّةً إذا نظرنا إلى الأمر في عمومه وكانت نظرتنا موضوعية. فلا يحتاج كلام الله بإعجازه إلى الدفاع عنه وتعريفه بمثل هذه التخريجات المتعسفة والتلفيقات التي لا أساس لها.

وعبارة (لأاذبحنه) الواردة في الآية الكريمة: «لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأاذبحنه»[٥٤] تضم ألفاً زائدة في مصاحف سيدنا عثمانﷺ. ويقول الكاتب إن السبب في ذلك هو أن الذبح عقاب أفدح من التعذيب، وإن التعبير عن ذلك تأتّى بالألف التي كتبت زائدةً[٥٥]. والواضح أن الإنسان العاقل لن يشعر بالحاجة قط إلى ألف كهذه حتى يدرك أن الذبح والنحر أشد فداحة من التعذيب. ونشهد كلمة (سَعَوْ) في الآية القرآنية «والذين سَعَوْ في ايتنا...»[٥٦] فنلاحظ أن الألف التي تأتي بعد واو الجماعة في الفعل لم تكتب. ويقول الكاتب إن السبب في ذلك هو أن «سعيهم معٰجزين» باطل، وإن بطلان هذا السعي وهذا السباق قد أريد شرحه باسقاط حرف الألف في كلمة (سَعَوْ)[٥٧]. فلو أن الألف لم تسقط هل سيكون من غير الممكن أن نفهم أن سعيهم لجعل آيات الله بغير حكم باطل؟ وهناك أمر آخر، إذ نرى ابن البنا وهو يضع مسوغاً لكتابة الكلمة بغير حرف الألف لا يتنبه في موضع آخر إلى كتابة الكلمة نفسها مع حرف الألف في آية «والذين سعوا في ءايتنا معٰجزين أولئك أصحٰب

٥٢ صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٥ - ٢٨٠.
٥٣ سورة صاد ٣٨/٢٩.
٥٤ سورة النمل ٢٧/٢١.
٥٥ المراكشي، عنوان الدليل، ص ٥٦، والزركشي، البرهان، ١/٣٨١.
٥٦ سورة سبا ٣٤/٥.
٥٧ المراكشي، عنوان الدليل، ص ٥٨ - ٥٩، والزركشي، البرهان، ١/٣٨٢.

الجحيم» (سورة الحج، آية ٤٩). فالرسالة نفس الرسالة، والسعي بالباطل واحد في كلتا الآيتين، ولكن حرف الألف لم يسقط هنا حتى نستدل من سقوطه على أن هذا السعي باطل، فقد كُتبت الكلمة بالألف.

وكلمة (يمح) الواردة في الآية الكريمة «يمح الله الباطل...»[٥٨] كان يجب أن تكتب بالواو لكنها جاءت بغير الواو، وقيل إن ذلك إشارة إلى أن محو الباطل سوف يكون سريعاً[٥٩]. ونرى نفس الكلمة في موضع آخر مكتوبة بالواو في الآية الكريمة «يمحوا الله ما يشاء...»[٦٠]، فإذا نظرنا إلى الأمر واضعين في الاعتبار منطق الكاتب فإن النتيجة أن الله لا يسرع إلا في محو الباطل، بينما لا يسرع في الأمور الأخرى التي يشاء محوها فيكون ذلك رويداً رويداً. وخلاصة القول إن التفسيرات التي وضعها ابن البنا المراكشي حول أسلوب الكتابة في المصاحف المذكورة هي نتاج تعسف لا معنى له. أما الأمر المبهم الذي يصعب علينا فهمه فهو أن عالماً مثل الزركشي يفرد الصفحات الطوال في كتابه لتفسيرات وتخريجات من هذا النوع.

٣– وهناك ابن المبارك الذي تناول الأمر من منظور باطني، ولا نجد الشئ الكثير الذي نقوله حول أفكاره التي نعتقد أنها لا تُلزم أحداً غيرَهُ وغير شيخه. لأن ابن المبارك يرى في كل مثال من أمثلة الإملاء التي تخالف قواعد الكتابة في الرسم العثماني سراً من الأسرار الإلهية، يقصر البشرُ عن فهمها. وفي هذه الحالة فليس أمامنا سوى السكوت في موضوع ليس لدينا صلاحية السعي لفهمه وتعلمه على حسب قول الكاتب. ولكن قد يكون من المفيد هنا أن نسعى للاقتراب من هذا الزعم ببعض الأسئلة على الأقل:

– هل اطلع الكاتب ولو على بعض تلك الأسرار حتى يمكنه الزعم بوجودها؟ لأنه ليس هناك شئ قط يمكن أن يكون سراً لمجرد أن شخصاً خرج علينا وقال إنه سر.

– إذا كانت تلك الأمور أسراراً كما يذهب الكاتب واطلع البعض ـ وخاصة من عبيد الله المقربين إليه مثل شيخ ابن المبارك ـ على جانب من تلك الأسرار، أفلا يجدر بهما أن يتقاسما جانباً منها على الأقل مع المريدين؟ أم أن هناك نقولاً صحيحة وروايات رويت عن الرسول ولا نعلمها في هذا الموضوع؟ إذا كان الجواب بنعم فما هي؟ والواضح أن هذه الأسئلة مطروحة في الساحة، لكنها بغير إجابة.

وبالنظر إلى الروايات التي وردت في بعض المصادر حول التحذيرات التي كان النبيﷺ يوجهها بين الحين والآخر لكتبة الوحي، سوف يكون من الصعب الخروج بنتيجة أن كتابة المصحف توقيفية، كما لا تتوفر من خلال تلك الروايات إمكانية التوصل إلى نتيجة مؤداها أن قواعد الكتابة قد وُضِعَتْ وجرى تعيينها وتحديدها. وقد كان الأمر الأهم بالنسبة للرسولﷺ أن يقرأ المسلمون القرآن بلفظه الصحيح ويفهموا معانيه بصورة صحيحة ثم يعملوا بما جاء في آياته. والشاهد على ذلك أنه كان يأمر كتّاب الوحي بقراءة ما كتبوه عليه ويضبطه لهم كما تبين من رواية زيد بن ثابت التي سبق ونقلناها. هل كتب الكاتب الآية النازلة بشكلها الصحيح؟ وهل ما كتبه يُقرأ صحيحاً ويُفهم؟ فإذا كانت الإجابة على تلك الأسئلة بنعم يكون القصد قد تم، وهو ما كان يحرص عليه الرسولﷺ. وإذا كانت هناك كلمة كتبت بألف زائدة في موضع من المصحف وبدون الألف في موضع آخر فإن ذلك ليس مهماً من ناحية الفهم

٥٨ سورة الشورى ٤٢/ ٢٤.

٥٩ المراكشي، عنوان الدليل، ص ٨٩.

٦٠ سورة الرعد ١٣/ ٣٣٩.

الصحيح للقرآن الكريم، ولم نشهد إلى اليوم أن أحداً تحدث عن محاذير لمثل هذه الأمثلة.

٤ـ إن كان سبب الثقة التي يشعر بها الناس تجاه العمل الذي قام به الصحابة هو ما لنشأتهم على يدي الرسولﷺ من أهمية كبيرة، وسمو المكانة التي يحظى بها كل صحابي فهذا أمر لا جدال فيه. ولا يرتاب أحد فيما تشعر به الأمة الإسلامية من تقدير واحترام عظيمين نحو ذلك الجيل المثالي. ولا ريب أنه كان من بينهم من تعلموا جيداً مبادئ دينهم وفاقوا الأجيال التي جاءت بعدهم. فقد كان منهم من يقرأ القرآن الكريم أجمل وأقرب إلى المقاصد الإلهية، ومن تعلم القرآن والسنة جيداً حتى فاق في فهمه لهما الأجيال التالية . لأن هؤلاء الصحابة كانوا يمثلون جيلاً مباركاً سعيداً تلقى كل ذلك من مصدره الأول والأصلي، وليس من المصدر الثاني أو الثالث أو الخامس. ولكن الموضوع الذي نناقشه الآن يختلف عن ذلك؛ فهو أن هذا الجيل ـ الذي وصفه النبي نفسه بأنه أميّ[٦١] ـ قد وضع نفسه أمام مسئولية تمثلت إلى جانب استظهار الآيات النازلة في تدوين تلك الآيات بالكتابة. والأمر الذي نشير إليه هنا ليس هو الدين، وإنما هو الخط الذي هو مهارة إنسانية وعمل بشري يقتضي ممن يريد تعلمه أن يأخذه عن شخص يحسنه ويتقنه. وبقدر ما يعنيه زعمنا أن الصحابة كانوا يفوقون الأجيال التالية في أمور الزراعة وتربية الحيوان والفلك والحساب والهندسة والصحة البشرية فإن معنى مقولة إنهم كانوا يجيدون الخط والكتابة أكثر من الأجيال التي خلفتهم تكون بنفس القدر. ولم يتعلم الصحابة الكتابة والخط من النبي أيضاً، لأن الرسول الكريم كان هو الآخر أمياً فلم يكن يقرأ أو يكتب. والشاهد على ذلك أن الآية القرآنية تقول: «وما كنت تتلوا من قبله من كتٰب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون»[٦٢]. وهناك اختلاف أيضاً حول مسألة أنه بسبب لقائه المستمر بكتبة الوحي كان قد تعلم الكتابة ولو قليلاً، فلا توجد معلومات صحيحة وقاطعة حولها. وفي هذه الحالة فإن تمتعهم بصفة جد رفيعة باعتبارهم الجيل المثالي الذي صاحَبَ الرسول أمرٌ لا يقتضي بالضرورة أن يكونوا ممن يجيدون الخط والكتابة بدرجة لا قصور فيها. فالواقع أن الإملاء التي استخدمها الصحابة لم تكن قد بلغت حد الانضباط الأدنى بحسب البحوث التي قام بها رجال العلم حول الموضوع. ولكن تجدر الإشارة بشكل واضح إلى الأمر التالي وهو أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف هم أحسن من كان يجيد كتابة العربية في ذلك الجيل، إذ لا يمكن أن نتصور أن النبيﷺ وسيدنا عثمانؓ من بعده لم يتصرفا بانتقائية في هذا الموضوع. والشاهد على ذلك أن سيدنا عثمانؓ وهو يشكل الجماعة التي ستكتب المصاحف قام بعمل البحث اللازم، وعلم من خلال ذلك أن أحسن من يكتب هو زيد بن ثابت، وأن أفصح من يتحدث هو سعيد بن العاص، والمعروف بعد ذلك أنه أصدر تعليماته بأن «يكتب زيد وأن يملي سعيدٌ عليه»[٦٣].

٥ـ لا يمكننا مشاركة ابن قتيبة الرأي عندما يقول عن الصحابة في أمر معرفتهم الكتابة «إن الصحابة كانوا أميين عدا عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يكونوا يعرفون الكتابة باستثناء نفر منهم». ويصعب علينا أن نفهم كيف توصل ابن قتيبة إلى هذا الرأي أمام العديد من الروايات التي تضمها المصادر وكتبة الوحي الذين تجاوز عددهم الأربعين وأمام حقيقة بعض الصحابة الذين كانوا يملكون مصاحف خاصة وشكلوا لأنفسهم مجموعات شخصية. ولا يوجد في الأصل من قال إن عدد الأشخاص العارفين بالخط والإملاء بين الصحابة كثيرة، وخاصة في

---

٦١ صحيح البخاري، ٢/ ٢٣٠ (الصوم، ١٣) وصحيح مسلم، ٢/ ٢٦١ (الصيام، ١٥).

٦٢ سورة العنكبوت ٢٩/ ٤٨.

٦٣ انظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ١/ ٢٤ وابن كثير، فضائل القرآن، ص ٢٤٤ (ويذكر ابن كثير أن سند الخبر صحيح).

السنوات الأولى من عمر الإسلام. ولكن المسألة ليست في صنعة الخط والخبرة في تحسينه، ولكنها في القدرة على الكتابة بالكفاية التي يمكن بها حمل الألفاظ ومعانيها. وعندما يصبح ذلك هو الهدف فليس هناك ما يمنع أن تكون أعداد الصحابة الذين فعلوا ذلك بنجاح وقاموا به بالفعل بالعشرات.

٦- يمكننا أن نشاطر الباقلاني الرأي الذي يمكن إيجازه بأنه «لا يوجد هناك أي سند للإصرار على إملاء معينة في كتابة المصحف، فقد كان هناك كتّابٌ يرون أن الأساس هو تلفظ الكلمة، وآخرون ركزوا على النحو والصرف ومعرفة الناس لبنية الكلمة فرأيناهم يحذفون حرفاً أو يثبتونه فظهرت الفروق في إملاء المصاحف الأولى...». ولكن إذا كان معنى هذا هو ترك النظام المقصود من تلك «الإملاء المعينة» في طباعة المصاحف، واتباع الإملاء المتطورة بشكل تام، فمن الجدير بنا أن نؤكد هنا أن لنا توجهات مختلفة في هذا الصدد سوف نتعرض لها وللحجج التي أتينا بها في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٧- لا يصعب علينا أيضاً أن نفهم ما قاله ابن خلدون حول عدم كفاية الصحابة في موضوع النظام الإملائي، وأن الخط العربي في ظروف ذلك العهد لم يكن قد بلغ بعد درجة الانضباط اللازمة. فالوقت الذي وصل فيه ذلك الخط إلى مكة معروف، كما أن مرحلة التكامل التي مر بها لا تخفى على أحد. ونعتقد أن المعلومات التي قدمناها باختصار في الفصل الأول من هذه الدراسة كافية لفهم ذلك.

والأمور المطروحة بقصد الرد على آراء ابن خلدون وإثبات أن الصحابة كانوا يتمتعون بالمهارات اللازمة في مجال الخط قد تدل على أن بعض الأشخاص في مكة ـ وإن كانوا قليلين في الوقت الذي بدأ فيه نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ ـ كانوا يعرفون الكتابة أو يقرأون بعض النصوص المدونة، إلاّ أنها لا ترقى دليلاً على أن الخط العربي في تلك الأثناء قد بلغ حد الانضباط اللازم في نظامه، وأن الصحابة والمسلمين الأوائل بوجه خاص كانوا يحيطون بتفاصيل ذلك النظام. وعلى سبيل المثال فإن محمد حسين أبو الفتوح أحد الكتّاب الذين انتقدوا ابن خلدون يتحدث عن وثيقتين يسوقهما لإثبات تطور الخط العربي، وتمتع الصحابة بالتجارب الكافية في موضوع الخط من ناحية أخرى وعدم صحة ما رآه ابن خلدون. ولكن الكاتب يرى قبل ذكره لهاتين الوثيقتين «أن سبب الفروق الموجودة في المصاحف الأولى هو عدم معرفة العرب للكتابة في ذلك العهد والأمية التي كانوا عليها»، وعندما يكون التعبير عن الرأي بهذا الشكل فإن من السهل دحضه. في حين أن القول إن العرب بوجه عام كانوا أميين في ذلك العهد لا يعني بالضرورة عدم وجود أحد منهم قط يعرف الكتابة. فالموضوع الذي نناقشه هو ليس هو وجود أو عدم وجود أناس منهم يعرفون القراءة والكتابة وإنما هو وجود أو عدم وجود تجارب كافية للكتبة من الصحابة في هذا الموضوع، وإلى أي درجة تطورت الخطوط التي كانوا يكتبونها قياساً على تلك المرحلة.

نعم، إن إحدى هاتين الوثيقتين اللتين ذكرهما الكاتب وثيقة تمثل سند دين قيل إنه محفوظ في خزانة كتب الخليفة المأمون وكتبه عبد المطلب جد الرسول ﷺ؛ أما الوثيقة الثانية فهي تحتوي نص سورة طه الذي كانت تقرأه أخت الخليفة عمر قبيل إسلامه هي وزوجها. فالواضح أن أبا الفتوح يرى أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف لا يمكن أن يقعوا في خطأ إملائي استناداً إلى أن عبد المطلب كان قادراً على كتابة سند استدانة وأن أخت عمر وزوجها كانا قادرين على قراءة نص مكتوب[٦٤]. وهاتان الوثيقتان تدلان في الواقع ـ وكما ذهب أبو الفتوح ـ على

٦٤ أبو الفتوح، ابن خلدون ورسم المصحف العثماني، ص ٣٣ - ٣٤. وحول النقد الموجه لآراء ابن خلدون انظر: أيضاً: حمد، رسم المصحف، ص ٢١٠-٢١١.

وجود أناس بين العرب في السنوات الأولى من عمر الإسلام كانوا يعرفون القراءة والكتابة. ولكن يصعب في نظرنا الادعاء استناداً لهاتين الوثيقتين بعدم وجود بعض الأخطاء الإملائية في النصوص التي سطرتها أقلام الصحابة، أو أن الخط الذي كان مستخدماً آنذاك كان سليم البنية. واعتقادنا أن كلتا الوثيقتين لا يمكن أن تنهضا دليلاً على الرأي المذكور، لأن أحداً لا يعلم شيئاً عن كفاية الخط في سند الاستدانة ـ الذي قيل إنه من خط عبد المطلب ـ من الناحية الإملائية، كما لا يوجد ما يدلنا على وصول ذلك السند إلى عصرنا الحاضر. أضف إلى ذلك أن هذا الوضع حتى وإن كانت الإملاء في نص الوثيقة ممتازة فإنه لا يقتضي بالضرورة أن يكون كل ما كتبه الكتّاب من الصحابة ممتازاً. وهذا الشئ ينطبق أيضاً على نص سورة طه الذي ورد بمناسبة اعتناق عمر بن الخطاب للإسلام وقيل إن أخته كانت تقرأه هي وزوجها.

٨ـ إن هناك سبباً أصلياً واضحاً وراء تفسير الفروق الظاهرة في إملاء الصحابة والتي صعب إيضاحها بالنظر على الأقل في بعض نماذجها وتوافقها مع قواعد الكتابة بالقول إنها توقيفية أو فيها سرٌّ أو حكمةٌ أو غيرها؛ وكذلك في الاستعانة بإيضاحات متعسفة لأجل تلك الأمثلة. وذلك السبب هو أنه إذا لم يتم فعل ذلك وتُفسر تلك الأمثلة بأسباب منها عدم كفاية التجارب الكتابية لدى الصحابة فإن هذا التوجه قد يؤدي إلى زعزعة الثقة في الصحابة؛ ويكون مدعاةً لطرح مزاعم بوجود تحريف أو نقص أو زيادة أو غير ذلك في نص القرآن الكريم. وهو أمر لا يمكن تصوره، لأنه يخالف قول المولى عز وجل في كتابه العزيز «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـٰفظون»[٦٥]. نعم إن هذا هو الهاجس وراء هذا التوجه، والشاهد على ذلك أن محمد طاهر الكردي يفسر ذلك «بحكمة لا نعلمها»، ويمكننا أن نستشعر ذلك الهاجس جلياً بين سطوره[٦٦]. ونحن نعتقد أن كتاب الله العزيز ليس في حاجة على الإطلاق لمثل هذا التوجه، أو بعبارة أخرى، ليس في حاجة للتغطية والأسرار والحكم وأساليب التمويه؛ لأننا نرى أنه ليس هناك تحريف ونقص أو زيادة أو غير ذلك من الأمور. فقد تكتب كلمة بألف زائدة أو ألف ناقصة، أو تكتب كلمة (تغن) في الآية الكريمة «فما تغن النذر»[٦٧] دون حرف الياء مثلاً باعتبار التلفظ هو الأساس في موضع من المواضع[٦٨]، وتأتي نفس الكلمة في موضع آخر محافظة على بنيتها الأصلية مع كتابة الياء في نهايتها كما هو الحال في الآية «وما تغني الآيٰت»[٦٩]؛ وفي اعتقادنا أن كتابة الكلمة وإملاءها بهذا الشكل لم يحدث خللاً قط بمسألة الحفاظ على القرآن الكريم.

وهاك بعض الأمثلة الأخرى:

ـ عبارة (لأذبحنه)[٧٠]، وقد أضيف إليها حرف ألف في إملاء كَتَبَةِ سيدنا عثمانﷺ فجاءت على شكل (لاأذبحنه). ومع ذلك فإن أحداً لم يطل حرف اللام ويحرك الألف في أول الفعل بالشكل الذي يجعل المعنى فيها بالنفي، ومن ثم لم يقع أي تغير في القراءة وفي المعنى.

٦٥ سورة الحجر ١٥/٩.

٦٦ محمد طاهر الكردي، تاريخ القرآن، ص ٦٤.

٦٧ سورة القمر ٥٤/٥.

٦٨ انظر: الداني، المقنع، ص ٣٣، ١٠١.

٦٩ سورة يونس ١٠/١٠١.

٧٠ سورة النمل ٢٧/٢١.

– كلمة (كتاب) التي وردت في القرآن الكريم بغير الألف[٧١] (كتب) إلاّ في أربعة أماكن جاءت فيها بالألف (كتاب) [٧٢]. ومع ذلك فإنها تُقرأ بالألف في كافة القراءات بما فيها الأماكن الأربعة المذكورة، ولم يحدث أن قرأها أحد مثلاً باعتبارها جمعاً، أي كُتُبٌ؛ لأن أحداً لا يتردد في مسألة الشكل الذي قرأه به النبي الأكرمﷺ، كما أن جمهور العلماء لا بد أنهم رأوا ـ عدا بعض الأشخاص الذين وقفوا عند مفهوم « التوقيف » في مسألة إملاء المصاحف الأولى، وسعوا لإيجاد الحجج لأجل مثل هذه الفروق ـ أنها نتيجة طبيعية لكتابة تصدر عن يد الإنسان، فلم يجعلوا منها مسألة تتطلب حلاً، ولم تر الغالبية منهم ضرورة لتوفيق هذه الأمور مع قواعد الإملاء العربية المتطورة، وآثروا المحافظة عليها كما هي في كتابة المصحف وفي طباعته.

– وردت كلمة (عَتَوْا) في القرآن الكريم أربع مرات[٧٣]، وكتبت في ثلاث منها بالألف، والرابعة بغير الألف في سورة الفرقان[٧٤]. وفي الوقت الذي تكتب فيه هذه الكلمة بغير الألف في سورة الفرقان نجد ـ وفي نفس السورة ـ كلمتي (أتَوْا) و (دَعَوْا) (الآيتان ١٣، ٤٠) قد جرت كتابتهما بالألف، وذلك أمر لا يمكن تفسيره إلاّ بإقرار أنه من عمل الإنسان.

– نلاحظ في المثال السابق وجود كلمة في صيغة الجمع وكان يلزم كتابتها بالألف تبعاً للقاعدة، وقد كتبت بغير ألف خلافاً لنظيراتها، بينما نرى في ثمانية مواضع من القرآن الكريم[٧٥] كلمة (يدعوا) في صيغة المفرد وكان يلزم كتابتها بغير الألف في كل مرة.

– هناك كلمتا (شئ) و (لِشَئ) جرت كتابتهما في كل موضع بغير ألف على هذا الشكل، ولكن قالبها (لِشَئ) الذي ورد في موضعين بكسر اللام نراه في موضع منهما[٧٦] يرد مكتوباً بغير ألف[٧٧]، وفي الآخر بحرف ألف على شكل (لِشَاى). أما في المصحف الخاص بعبد الله بن مسعود فقد ذُكر أن الكلمة وردت في كل المواضع بالألف على شكل (شاى)[٧٨].

– في قوله تعالى « قال ابن أم » في سورة الأعراف (الآية ١٥٠) جرت كتابة كلمتي ابن وأم منفصلتين؛ أما في سورة طه (الآية ٩٤) فقد وردتا على شكل (قال يبنوم) (مع تقدير وجود همزة فوق الواو)[٧٩].

– هناك ألفاظ مثل: ان لا ـ الا؛ عن ما ـ عما؛ في ما ـ فيما؛ اين ما ـ اينما؛ كل ما ـ كلما؛ لكي لا ـ لكيلا... قد كتبت متصلة في أماكن ومنفصلة في أماكن أخرى[٨٠].

---

٧١ الداني، المقنع، ص ٢٠.

٧٢ سورة الرعد ١٣/ ٣٨ وسورة الحجر ١٥/ ٤ وسورة الكهف ١٨/ ٢٧ وسورة النمل ٢٧/ ١.

٧٣ سورة الأعراف ٧/ ٧٧، ١٦٦ وسورة الفرقان ٢٥/ ٢١ وسورة الذاريات ٥١/ ٤٤.

٧٤ الداني، المقنع، ص ٨٧.

٧٥ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ٢٥٨.

٧٦ سورة النحل ١٦/ ٤٠.

٧٧ سورة الكهف ١٨/ ٢٣.

٧٨ الداني، المقنع، ص ٤٢.

٧٩ مهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص ٨٥ والداني: المقنع، ص ٧٦. ولم تكن مصاحف سيدنا عثمان تضم حركات التشكيل ولا إشارات التنقيط وغيرها، كما لم تكن تحتوي على همزات (ء). ومثل هذه الإشارات بما فيها الهمزة الموجودة في المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة لاتفاق الراي على توافقه مع إملاء هذه المصاحف ورمزنا إليه أثناء عملنا على النص القرآني بالحرف (ف) يجب ان نعلم انها اي هذه الإشارات قد ادخلت على النص في مرحلة متأخرة.

٨٠ الداني، المصدر السابق، ص ٦٨–٧٧.

ويمكننا إيراد المئات من هذه الأمثلة.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه على الرغم من وجود وحدة في إملاء العديد من الألفاظ في مصاحف سيدنا عثمان ﷺ، إلاّ أننا نلحظ فروقاً إملائية في كتابة بعض الكلمات الأخرى. وقسم من تلك الفروق الإملائية متعلق ببنية الكلمة، أو بزيادة حرف أو نقصانه في تلفظها، وجرى جمع المعلومات الخاصة بها في المصادر المعنية اعتماداً على روايات تدعم بعضها بعضاً[٨١]، ثم جرى تأييدها أيضاً بتلاوة أئمة القراءات اعتماداً على ما جاء عن الصحابة وبالتالي عن النبي ﷺ. وعلى سبيل المثال نرى في المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان ﷺ إلى البصرة والكوفة قوله تعالى «خيراً منها منقلباً»[٨٢]، وهو يرد في مصحفي الشام ومكة وكذلك في مصحف المدينة المنورة على شكل «خيراً منهما منقلبا» أي في صيغة التثنية للضمير؛ فكان قُرّاء مكة والمدينة والشام يقرأونها على شكل (منهما)، بينما يقرأها الآخرون على شكل (منها)[٨٣]. والواقع أن هذا النوع من الفروق الإملائية لم يكن مثاراً لغموض وإبهام.

وهناك تفسيرات شائعة لهذا النوع من الفروق كقولهم:

– إنها في إطار رخصة «الأحرف السبعة»[٨٤] التي وضعها الرسول ﷺ،

– وكانت عند كتابة المصاحف تنضوي في إطار تلك الرخصة؛ ونظراً لأن كتابة المصاحف كانت بغير تشكيل وتنقيط فقد تم الإبقاء على القراءة المختلفة التي تتيحها لتلاوتها؛

– إن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ إلى جانب تفضيله أن تكتب المصاحف بلهجة قريش كانت لديه معلومات قاطعة حول أن تلك القوالب المختلفة المتعلقة بالتلفظ كانت قائمة ضمن نفس الإطار، ومن ثم كان يؤمن بضرورة الحفاظ عليها؛

– لكن هذه القراءات المختلفة القليلة العدد التي لا يمكن التعبير عنها برسم إملائي واحد، كان التفضيل لكتابة قسم منها في بعض تلك المصاحف الأولى والقسم الثاني للنسخ الأخرى، وذلك بدلاً من كتابتها في نسخة واحدة أو كتابتها مكررة بين السطور مثلاً...[٨٥].

وكما توجد فروق إملائية في داخل المصحف الواحد من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ (كتاب – كتب) فإن هذه الفروق موجودة أيضاً فيما بين المصاحف نفسها. وها هي بعض الأمثلة:

– هناك كلمة (ابنؤا) الواردة في قوله تعالى (نحن ابنؤا الله)[٨٦]؛ وقد كتبت في بعض تلك المصاحف بالألف على شكل (ابناء)، وفي البعض الآخر بالواو؛ وهناك أيضاً كلمة (دائرة) في قوله تعالى (أن تصيبنا دائرة)[٨٧]، وقد كتبت في بعض المصاحف بالألف، وفي البعض الآخر بدونها.

---

٨١ انظر: على سبيل المثال: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ٣٩ – ٤٩ والداني، المصدر السابق، ص ١٠٢ – ١١٣.

٨٢ سورة الكهف ١٨/ ٣٦.

٨٣ الداني، التيسير، ص ١٤٣.

٨٤ حول الأحرف السبعة انظر: أبو شامة المقدسي، المرشد الوجيز، ص ٧٧ – ١٤٥، وانظر أيضاً:
Suat Yıldırım, «el-Ahrufü's-seb'a», *DİA*, II, 175-177.

٨٥ الداني، المقنع، ص ١١٥ والأحرف السبعة، ص ٦٣ وابن الجزري، منجد المقرئين، ص ٢٢ والمرجاني، الفوائد المهمة، ص ١٣.

٨٦ سورة المائدة ٥/ ١٨.

٨٧ سورة المائدة ٥/ ٥٢.

– هناك كلمة (ولأوضعوا)[٨٨]، وقد كتبت في بعض المصاحف على هذا النحو، بينما كتبت في البعض الآخر على شكل (ولاأوضعوا)[٨٩].

– هناك كلمة (سبحان) التي ترد بغير ألف إلاّ في موضع واحد[٩٠]، كما ترد في بعض نسخ المصاحف بالألف، وفي البعض الآخر بغيرها[٩١].

– هناك كلمة (تكذبان) التي ترد في الآية الكريمة (فبأي آلاء ربكما تكذبان)[٩٢]، وقد كتبت بالألف على هذا النحو في بعض المصاحف، بينما كتبت في بعضها الآخر بغير ألف على شكل (تكذبن)[٩٣].

ويبدو من تلك الأمثلة المقدمة أن ليس هناك ما يدعو للبحث عن حجج أو أسرار أو حكم من أجل الألفات التي كتبت زائدة أو ناقصة أو لفروق الكتابة الأخرى. فالحجج واضحة: وهي أن الفروق المذكورة ناشئة عن عدم كفاية القواعد في كتابة ذلك العهد على الأقل، وبالتالي عن طريقة الإملاء الحرة بالقياس إلى عصرنا الحاضر. ولم يكن هناك أي محذور قد يسببه ذلك الوضع. ولأجل هذا فلا تأثر كتاب الله العزيز، ولا تأثرت بذلك عملية فهمه. فهو بين أيدينا بصفائه الذي نزل به. ولا زلنا قادرين على تلاوته بالفروق التي قُرئ بها قبل أربعة عشر قرناً بالشكل الذي عَلّمه به الرسول الكريم، وفي إطار فروق القراءات التي سمح بها، ولا زلنا قادرين على فهم ما نقرأ وقادرين على أن نعيشه بالصفاء والنقاء الذي خرج به من ينبوع النبوة.

٩– كم لغة في العالم يمكننا القول حتى في العصر الحاضر إن نظامها الإملائي استقر مائة في المائة، أو كم أمة يمكننا القول إنها حققت نظاماً خطياً يجمع عليه كل كتابها؟ فإذا شئنا أن ننظر إلى الموضوع من زاوية الإملاء في اللغة التركية مثلاً فهل يمكننا القول إن قواعد الإملاء التي وضعها مجمع اللغة التركية قد جمعت العلماء والكتّاب عند نقطة واحدة؟ فالبعض منا يقول: أكتبُ كتاباً فيجعل كلمة كتاب [kitap] منتهية بباء ثقيلة، والبعض يقول: كتاباً بحرف الباء الخفيفة [kitab]؛ ونقول: أحمد، محمد [Ahmet, Mehmet] فنجعلهما منتهيين بحرف التاء، ويقول البعض الآخر: أحمد ومحمد بحرف الدال [Ahmed, Mehmed]؛ ويقول بعضنا: دفتر وقلم [defterle kalem]، بينما يقول البعض الآخر: دفتر وقلم بشكل آخر [defter ile kalem]؛ ويقول بعضنا: [bazen] أي أحياناً بهذا الشكل، والبعض الآخر على شكل [bazan]... أليس هناك من الكتاب من يجري على طريقتين إملائيتين في آن واحد؟ فقد لاحظت وأنا أطالع إحدى المواد في الموسوعة الإسلامية الخاصة بوقف الديانة التركي لأحد الكتّاب البارزين أنه استخدم شكلين إملائيين لكلمة واحدة في نفس النص، بل وفي جملة واحدة طويلة، إذ قال في أول الجملة (kendini) أي «نَفْسَهُ:»، ثم لم يلبث بعد سطرين أن قالها على شكل (kendisini) بنفس هذا المعنى.

نعم، مَنْ مِنَ الكتّاب يمكننا تبرأته في نص صدر عنه لا يتضمن سهواً إملائياً أو فروقاً في الكتابة؟ واليوم في

٨٨ سورة التوبة ٩/٤٧.

٨٩ الداني، المقنع، ص ٩٤.

٩٠ سورة الإسراء ١٧/٩٣.

٩١ الداني، المقنع، ص ١٧.

٩٢ سورة الرحمن ٥٥/١٣ وغيرها.

٩٣ لهذه الأمثلة وغيرها انظر: الداني، المقنع، ص ٩٢ – ٩٩.

العالم العربي أيضاً هل يمكننا الحديث عن توحيد إملائي مائة في المائة؟ فحيثما يكون هناك حديث عن تطور وتغير مستمرين يكون من الطبيعي أن ينقسم الناس بين مؤيد ومعارض. وكان بعض كتّاب العرب حتى عهد قريب يكتبون في البسملة كلمة (الرحمن) مثلاً بغير ألف، ثم رأينا في الآونة الأخيرة من يكتبها بالألف على شكل (الرحمان). وكانوا على مدى القرون الفائتة يكتبون كلمة (مائة) بالألف، ونرى بعضهم في السنوات الأخيرة يكتبونها بغير الألف (مئة). وقد تصادفنا في المقالة الواحدة أو الكتاب الواحد كلمة واحدة كتبت بأشكال متباينة.

فإذا كنا نشهد تلك الأمثلة في عصرنا الحاضر، فلا يكون من الصعب علينا أن نفهم لماذا وردت كلمة (كتاب) بالألف في موضع وبغير الألف في موضع آخر مثلاً، فيما كتبه الصحابة وهم يستخدمون خطاً كان قد دخل ديارهم حديثاً ولم يتطور بعد في مجتمع أمي، حتى ولو كانت تلك الكلمة قد خضعت لرقابة الرسول ﷺ من ناحية توافقها مع اللفظ ودلالتها عليه. وذلك هو الأمر الطبيعي، أما غير الطبيعي فهو أن تنعدم مثل هذه الفروق في المصاحف المذكورة، ولا نعثر حتى على بعض أمثلة للخروج على القاعدة ولكن بالقدر الذي لا يؤثر على القراءة في نصوص جرت بخطّها يد الإنسان. ونشهد في العبارة التي كتبها العالم القازاني شهاب الدين المرجاني (ت ١٨٨٩م) عبارة في نهاية عمله لتصحيح خط المصحف الذي قام به بعد نحو ١٢٥٠ سنة من عهد الصحابة حتى يتوافق مع الرسم العثماني يقول فيها بعد إشارته إلى أنه بذل ما في وسعه من دقة وعناية لانجاز هذا العمل: «لا يخلو من بعض الأشياء التي لا مناص للعبد من الوقوع فيها»[٩٤]، وهذا هو المعنى المقصود من وراء ذلك.

فإذا كانت الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى ليست توقيفية، وهي كذلك بحسب رأي الجمهور، ولا يوجد دليل سليم قط يقدمه أصحاب الرأي بالتوقيف، فإن الأمر الطبيعي هو وجود بعض فروق الكتابة في تلك المصاحف، ووجود بعض الأخطاء الإملائية التي لا تؤثر على قراءة النص القرآني. وقناعتنا هي أن القرآن الكريم أصلي وعظيم بهذه الخصائص؛ وإلاّ فإن عمليات التقييم التي تناقض العقل حول إملاء ذلك النص الإلهي الذي يخاطب العقل سوف يكون معناها التغافل عن الأهمية التي خَصَّ بها العقلَ البشري.

٩٤ المرجاني، الفوائد المهمة، ص ٣.

الفصل الثالث

ما هي الإملاء اللازم اتباعها في كتابة المصاحف وطباعتها ؟

أولاً : هل يمكن أن يظل الرسم العثماني على هذا إلى الأبد ؟

١- إن المهم في كافة الجهود والفعاليات المعنية بالقرآن الكريم هو أن تصل بيسر وسهولة إلى كل الناس وتساعدهم على تلاوته الصحيحة واستيعاب معانيه . وعندما يكون هذا هو الهدف فإننا نعتقد أنه لا محاذير على الإطلاق في استخدام الإملاء المتطورة الجاري استخدامها في النصوص العربية لأَنْ تستخدم في كتابة المصاحف وطباعتها حتى وإن كنا لا نفضل ذلك . فإن منحىً على هذا النحو لا ينطوي على جانب يتناقض مع مبدأ المحافظة على الذكر الحكيم، أو مع فكرة المحافظة على الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى . لأن مسألة المحافظة على الإملاء الموجودة في المصاحف الأولى قد تحققت . وعلى الرغم من أن مصاحف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ لم تنتقل إلينا وكان ذلك مثاراً لحزن كبير عَصَرَ قلوب المسلمين فإننا نشهد في بعض المؤلفات التي وضعها ثقاة العلماء في تخصصاتهم قبل قرون ووصلتنا في العصر الحاضر قواعد عامة حول الإملاء في تلك المصاحف، ونماذج لخطوط خاصة تشذ على القاعدة ذكرها هؤلاء العلماء استناداً على ما نقلوه من روايات مختلفة .

٢- هناك كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٩م)، وهجاء مصاحف الأمصار لأبي العباس أحمد بن عمّار المهدي (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨/ ٤٩ [؟])، والمقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٣م)، والتبيين لهجاء التنزيل و مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م)، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسي؛ وهي بعض من كتبٍ وصلتنا وحملتْ إلينا الخصائص الإملائية في تلك المصاحف[١] . وتوجد اليوم في أيدي الملايين من المسلمين نسخ المصاحف التي كتبت على ضوء تلك المؤلفات . ولكن يصعب علينا القول إن إملاء المصاحف المطبوعة في شتى البلدان موافقةً للرسم العثماني تنطبق تماماً مع أي واحد من المصاحف الأولى .

---

١ ومن تلك الكتب المطبوعة كلها عدا التبيين لأبي داود فإن كتاب «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود أيضاً قد تم تسجيله في الموسوعة الإسلامية لوقف الديانة التركي تحت اسم «التنزيل في هجاء المصاحف»، ولأن الكتاب لم يكن مطبوعاً في سنة ١٩٩٤م التي نشر فيها مجلد الموسوعة الذي يضم هذا الموضوع فقد جرت الإشارة إلى النسخ المخطوطة منه (انظر: Abdurrahman Çetin, «Ebû Dâvûd Süleyman b. Necâh», *DİA*, X, 119)

ويمكننا تدقيق عدد من المصاحف هي بقدر ما توصلنا إليه أقدم الأمثلة المطبوعة، إذ جرى تصحيحها أولاً من قبل «مجلس تفتيش المصاحف الشريفة» وطبعت في استانبول سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤ – ١٨٩٥م) في مطبعة المعارف، ثم أُدرجت في نهاياتها مقالات مقتضبة للتعريف بها مطبوعة في مطبعة هاشم أفندي باستانبول أيضاً ١٣٤٠هـ (١٩٢١ – ١٩٢٢م)، وجرى تصحيح تلك المقالات من قبل «مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات الشرعية»، وجاء فيها أن المصاحف توافق الرسم العثماني[٢]. كما أن المصاحف المطبوعة في مصر خلال أعوام ١٣٣٧، ١٣٤٢هـ، ١٣٥٤هـ، ١٣٥٧هـ، (١٩١٨ – ١٩١٩، ١٩٢٣ – ١٩٢٤، ١٩٣٥، ١٩٣٨م)، والمصحف المطبوع في عَمّان بمناسبة مدخل القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية في سنة ١٩٨٢م و«مصحف المدينة النبوية» الذي يجري طبعه في المدينة المنورة برعاية الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية اعتباراً من سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ – ١٩٨٥م) هي جميعاً من المصاحف التي استطعنا تدقيقها، واطلعنا على الإيضاحات الملحقة في نهاياتها والتي تتشابه كلها تقريباً في نصها، وتبين لنا أن القول إن كل عنصر من عناصر الإملاء المستخدمة يوافق تماماً إملاء أي من المصاحف الأولى أمر غير ممكن، وبعبارة أخرى فالواضح هو وجود بعض الأمور المبهمة والعناصر المختلف عليها في موضوع التوافق التام مع المصاحف الأولى. وعلى سبيل المثال فإن المصحف الذي طبع للمرة الأولى في سنة ١٣٣٧هـ ثم أعيد طبعه في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) باسم «التنزيل الرباني بالرسم العثماني» (انظر قائمة المصادر)[٣] قد جاء في المقال الملحق بنهايته ما يلي:

> **«وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها سيدنا عثمان بن عفان إلى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله لأهل المدينة والمصحف الذي اختص به نفسه وعن المصاحف المنتسخة منها. أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية تلك المصاحف فاتبع فيها الهجاء الغالب[٤] مع مراعاة قراءة القارئ الذي يكتب المصحفُ لبيان قراءته ومراعاة القواعد التي استنبطها علماء الرسم من الأهجية المختلفة على حسب ما رواه الشيخان: أبو عمرو الداني[٥] وأبو داود سليمان بن نجاح[٦] مع ترجيح الثاني عند الاختلاف. وعلى الجملة كل حرف من حروف هذا المصحف موافق نظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرها».**

وهذا القول مع أنه يؤيد ما أسلفنا قبل قليل إلاّ أنه يدفعنا إلى القول بوجود تناقض. فعلى الرغم مما قيل بوجود بعض الاختلافات ونقاط الغموض في المعايير والروايات التي روعيت في إملاء ذلك المصحف، وتمت

---

٢ نسخ هذه المصاحف ليست موجودة لدى بائعي الكتب، ولكن هناك نسختين منها في مكتبة السليمانية (حاجي محمود افندي نمرة ٤ ودوكوملي بابا نمرة ١/م.٦٠).

٣ لا نعتقد ان هذا المصحف يمكن العثور عليه لدى بائعي الكتب، وهناك نسخة منه في مكتبة بكير طوپال اوغلي تحت رقم ١٥٤١.

٤ لعل المقصود بعبارة «الهجاء الغالب» هو إملاء مصحف الكوفة التي هي مرجع قراءة عاصم بن بهدلة برواية حفص. إذ المعروف ان نحو ٩٠٪ من مسلمي عالم اليوم يفضلون رواية حفص، ويبدو من تدقيقنا اثناء هذه الدراسة في مواضع الخلاف بين مصاحف عثمان أن إملاء مصحف الكوفة كانت هي المفضلة سواء أكان في طبعة القاهرة المذكورة أم كان في المصحف المطبوع في المدينة. ولكن حفصاً خالف هذا المصحف في موضعين (**وما عملت**) الواردة في سورة يس ٣٦/٣٥، و: **ما تشتهي** الواردة في سورة الزخرف ٤٣/٧١)، فقد قرأ الأولى على شكل (وما عملته) بحسب الإملاء التي اتفقت عليها المصاحف الاخرى، بينما قرأ الثانية على شكل (ما تشتهيه) (انظر: ابن الجزري، النشر، ٢/٣٥٣، ٣٧٠). ولوحظ في الطبعات المذكورة أيضاً أنهما وردتا بهذين الشكلين (وما عملته – ما تشتهيه) استناداً على قراءة حفص.

٥ حول سيرته انظر: Abdurrahman Çetin, «Dânî», *DİA*, VIII, 459-460

٦ حول سيرته انظر: Abdurrahman Çetin, «Ebû Dâvûd Süleyman b. Necâh», *DİA*, X, 119

الاستفادة من القواعد التي وضعها علماء الرسم في تلك المواضع المختلف فيها، ثم تقرير بعض الترجيحات لأجل هذا، إلاّ أن الجملة الأخيرة تقول إن كل حرف من حروف هذا المصحف موافق نظيره في مصحف من مصاحف سيدنا عثمان بن عفانﷺ . وإذا كانت هناك اختلافات بين الروايات في موضع بعينه فلا بد من ظهور احتمالات في مسألة أي تلك الروايات هو الأصح. أما ترجيح أحد تلك الاحتمالات فلا ينفي صحة الاحتمالات الأخرى. وفي هذه الحالة فلا يمكن أن يصح القول في الموضع الذي توجد حوله الاختلافات والترجيحات إن كل عنصر في المصاحف يطابق تماماً نظيراً له من مصاحف سيدنا عثمانﷺ . وإذا كانت كلمة نظير هنا ليست مطابقة تماماً لمثلها وأن المقصود هو كلمة أخرى أو أكثر من نفس القالب والبنية فإنه أمر يمكن فهمه، وفي هذه الحالة لا يمكننا الحديث قطعاً عن تناقض وتعارض بين هذه النتيجة والفكرة التي أردنا طرحها في هذا الصدد.

وفي المصحف المطبوع في عمان سنة ١٩٨٢م نشهد نفس الأقوال بعينها مما ذُكر قبل قليل إلاّ تغييراً في عدة ألفاظ لا تؤثر في النتيجة. ويتكرر نفس هذا النص أيضاً في مصحف بين أيدينا طبعته في الكويت وزارة الأوقاف والشئون الدينية سنة ١٤١٣هـ(١٩٩٢م).

أما في المصحف الذي تتوالى طباعته في المملكة العربية السعودية فقد حُذفت منه العبارة التي جاءت في نص التعريف الوارد في نهاية المصحف المطبوع في مصر والتي تقول «أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية تلك المصاحف فاتبع فيها الهجاءُ الغالب مع مراعاة قراءة القارئ الذي يكتب المصحفُ لبيان قراءته ومراعاة القواعد التي استنبطها علماءُ الرسم من الأهجية المختلفة على حسب ما رواه الشيخان»، واكتفوا بدلاً من ذلك بعبارة «وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان». ويصعب علينا هنا أن نجد تفسيراً لحذف تلك العبارة من قبل السعوديين، بينما هي تعني قبول حقيقة تاريخية حول طبيعة الرسم العثماني والاعتراف بها.

وجاء في كتابات التعريف الملحقة بالمصاحف المطبوعة في القاهرة وعَمّان والمدينة المنورة والكويت أنهم رجحوا روايات أبي داود في المواضع المختلف فيها، ولكنهم لم يذكروا لماذا فضّلوا روايات أبي داود الذي هو تلميذ أبي عمرو، أي روايات التلميذ على الأستاذ. وفي رأينا أن سبب هذا هو أن كتاب داود أكثر منهجية وأكثر شمولاً بالمقارنة مع أعمال أستاذه، كما أنه استفاد أيضاً في كتابه هذا من النتائج التي توصل إليها الداني.

٣– هناك أمر مهم يجدر بنا الوقوف عنده، وهو أن هذين الشيخين وهما يحددان ملامح الرسم العثماني قد اعتمدا على مصاحف أخرى وليس على الروايات المتعلقة بإملاء مصاحف سيدنا عثمانﷺ من أجل كل عنصر من عناصر الأملاء، أما في الخطوط المختلفة بين تلك المصاحف فقد اعتمدا على ماعنّ لهما من أفكارهما الخاصة. نعم، إن هذين الشيخين قد أوردا في كتابيهما الروايات التي أصبحت مداراً لتثبيت الرسم العثماني، وساعدانا في التعرف على الكيفية التي كتبت بها كلمات عديدة في مصاحف سيدنا عثمان بن عفانﷺ، ولكن لا يمكننا القول إن ذلك ينطبق على كل ألفاظ القرآن الكريم. لأنه يبدو أن هذين الشيخين وهما يتحدثان عن الفروق الإملائية فيما بين المصاحف من ناحية ويسعيان لتحديد أيها أقرب إلى الأصل قد طرحا عدداً من الأمثلة الموجودة في المصاحف قد تكون مستنسخة من مصاحف سيدنا عثمانﷺ، وطرحا أفكارهما الخاصة في المواضع التي فيها فروق بين تلك الأمثلة في إملاء بعض الألفاظ وليس الروايات المتعلقة بالإملاء في مصاحف سيدنا عثمانﷺ. والشاهد على ذلك أن:

أ)– أبا عمرو الداني سعى هو الآخر لجمع الاختلافات الإملائية الموجودة بين المصاحف تحت عنوان خاص واجتهد في درسها وتدقيقها[٧]، وقد ذكر على سبيل المثال أن:

– قوله تعالى (ولا كذبا) في سورة النبأ (٧٨/٣٥) قد كتب بغير ألف، بينما ذكر محمد بن عيسى الإصبهاني (ت ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م) في مناسبة أخرى في كتابه هجاء المصاحف أن هناك معلومات تقول إن الكلمة كتبت بالألف (ولا كذابا)[٨].

– هناك كلمة (لننظر) في قوله تعالى «لننظر كيف تعملون» (سورة يونس ١٠/١٤)، إذ كتبت على شكل (لنظر) بنون واحدة، بل وروي أنها أمليت على هذا النحو في المصحف الإمام الذي اختص به سيدنا عثمان بن عفان ﷺ نفسه، ولكن هناك رواية أخرى حول أنها كتبت بنونين في المصاحف القديمة والحديثة، وجُعلت أساساً في كتابة المصحف فيما بعد[٩].

ب)– يمكننا أيضاً عند الاطلاع على كتاب أبي داود أن نشهد العديد من تلك الأمثلة في مواضع عديدة. ومنها مثلاً:

– ذكر أبو داود أن كلمة (صراط) في سورة الفاتحة جاءت في بعض المصاحف بالألف (صراط) وفي البعض الآخر بغير ألف (صرط)، وقال إن كلا الخطين حسن، وإنه يفضل كتابتها بغير الألف[١٠].

– وقال وهو بصدد إملاء كلمة (يعلمن) الواردة في سورة البقرة (٢/١٠٢) إنها جاءت في المصاحف بالألف وبغير الألف، أي على شكل (يعلمن) و (يعلمان)، وذكر أنه يفضل كتابتها بالألف[١١].

– وعن قوله تعالى (فلا يخاف) في سورة طه (٢٠/١١٢) لا توجد رواية حول الكيفية التي تكتب بها، ورغم أن كلمة (يخاف) قرأها عبد الله بن كثير إمام القراءات في مكة بجزم الفاء وبغير ألف، أي أن كتابتها بغير ألف مثلما هو الحال في (ملك) في سورة الفاتحة، وان ذلك كان الأنسب عند ابن كثير وغيره من أئمة القراءات الآخرين، إلاّ أنها كتبت بالألف. ونظرة أبي داود إلى هذا الموضوع ورأيه فيه هو «ينبغي كتابة هذه الكلمة بغير ألف حسب قراءة ابن كثير. أما في قراءات أهل المدينة والعراق والشام فمن المحتمل أنها كتبت بالألف... ولا توجد بين أيدينا رواية قط حول الشكل الذي رسمت به في المصاحف. ولكن مع القياس لا بد من القول إن الكلمة كتبت بغير ألف في مصاحف مكة»[١٢].

– هناك كلمة (جعل) الواردة في قوله تعالى «وجعل الّيل سكنا» (سورة الأنعام ٦/٩٦)، وقد قُرأت على شكل الفعل كما هي، وقُرأت أيضاً على شكل اسم فاعل (جاعل)[١٣]. ولكن ليست هناك رواية تكشف الأمر

---

٧ الداني، المقنع، ص ٩٢ – ٩٩.

٨ نفسه، ص ١٤، ٢٣.

٩ نفسه، ص ٩٠.

١٠ انظر: مختصر التبيين، ٢/ ٥٥– ٥٦.

١١ انظر: نفس المصدر ٢/١٨٨.

١٢ انظر: الداني، التيسير، ص ١٥٣ وابو داود، مختصر التبيين، ٨٥٣/٤. وَيُلاَحَظ ان الكلمة كتبت بالألف في المصاحف المطبوعة من منظور توافقها مع الرسم العثماني.

١٣ انظر: الداني، التيسير، ص ١٠٥.

حول كتابتها بألف أو بغير ألف في مصاحف سيدنا عثمانﷺ، فالأمر مبهم هنا. وإزاء هذا الإبهام صرح أبو داود بأنه يفضل كتابتها بغير الألف وأن كتابتها بالألف أيضاً حسنة[١٤].

– وقال أبو داود إنه لم يعثر على شئ قط في المصادر حول كلمة (اجتبيه) الواردة في سورة النحل (١٦/ ١٢١)، هل تكتب بعد حرف الباء بالياء أم بالألف، ثم قال: «لقد دققت المصاحف القديمة ورأيت أن الكلمة مكتوبة بغير الألف ومكتوبة أحياناً بالألف وهو الأكثر. فإذا كتبها كاتب بالألف فهي صحيحة، وإذا كتبها بغير الألف فهي صحيحة أيضاً. وإذا كتبت بالياء كذلك فهي صحيحة أيضاً»[١٥].

– هناك غموض أيضاً حول كتابة كلمة (الرياح) الواردة في سورة الروم (٣٠/ ٤٥) هل تكتب بالألف أم بغيرها. وقد رأى أبو داود أن الكاتب مخير في ذلك، وله أن يختار ما يراه[١٦].

ج)– وكان العالم القازاني شهاب الدين المرجاني ـ الذي يدافع عن الرسم العثماني في كتابة وطباعة المصاحف ـ قد ذكر المصادر التي استعان بها في موضوع الإملاء عند عمله لتصحيح المصحف، ثم قال بعدها إنه في المواضع المتعلقة بحذف الألف وغير المذكورة في تلك المصادر[١٧] مثل: محريب وكوعب وكوكب وأسطير وتمثيل، قد راعى الاتجاهات العامة في نفس تلك المصادر رغم تدعيمها من قبل آخرين لا يثق فيهم بشكل تام[١٨].

وفي هذه الحالة فالمقطوع به هو وجود بعض مواضع غموض وإبهام حتى ولو أمكن إلى حد كبير وضع الرسم العثماني بروايات نقلها أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح وتمت الاستفادة منها في إملاء المصاحف. وبدلاً من الوضوح الذي هو الأمر المطلوب في تلفظ ألفاظ القرآن وفي قراءته مع كل اختلافاتها فإن هناك غموضاً في إملاء تلك الألفاظ أو على الأقل في قسم منها. ولا يوجد اليوم بين أيدينا واحد من تلك المصاحف. وسواء أكان المصحف الذي قيل إنه لسيدنا عثمانﷺ ويُحفظ في متحف سراي طوپقاپى [باستانبول] ونحاول تقديمه للباحثين مع هذه الدراسة، أم كان المصحف المحفوظ في طشقند في متحف الآثار القديمة وقيل إنه كان هو الآخر لسيدنا عثمانﷺ فإن كلا المصحفين ليسا له كما سنذكر فيما بعد. وعندما يصبح الأمر على هذا النحو فالواضح في موضوع الإملاء التي لا تعد أساس العمل أنه لا تصح معارضة كتابة وطباعة المصحف بالإملاء المتطورة ـ وإن لم يكن ذلك اختيارنا ـ قائلين: «لا يجوز». فالموضوع في رأينا ليس الجواز وعدم الجواز، وإنما الأنسب هو مناقشة فعله وتطبيقه، ثم عرض الاختيار الذي يتم الاتفاق عليه.

٤ـ لا علاقة لما نقوله هنا بالفروق المتعلقة ببنية الكلمة بين مصاحف سيدنا عثمانﷺ أو بنقص وزيادة في حرف يتم تلفظه أو في كلمة. فالمعلومات الخاصة بمثل هذه الفروق قد ورد ذكرها في المصادر اعتماداً على الروايات التي تؤيد بعضها بعضاً، كما أن أساليب أئمة القراءات تؤيدها. وقد رأينا قبل ذلك على سبيل المثال

١٤ ابو داود، مختصر التبيين، ٣/ ٥٠٦.

١٥ نفسه ٣/ ٧٨١ – ٧٨٢.

١٦ نفسه ٤/ ٩٨٨.

١٧ ومن الأمثلة المذكورة هنا فقد ذكر أبو داود مثلاً كلمتي محريب و تمثيل، وقال إنهما تكتبان بالألف (٤/ ١٠١٠)، ويبدو أن المرجاني لم يتنبه لذلك.

١٨ المرجاني، الفوائد المهمة، ص ١٤.

ورود قوله تعالى « خيراً منها » بهذا الشكل في المصاحف التي أرسلها سيدنا عثمان ﷺ إلى البصرة والكوفة[19]، بينما جاء على شكل « خيراً منهما » بضمير التثنية في مصحفي الشام ومكة وفي المصحف الذي جعله للمدينة، وهذا يعني أن قُرّاء مكة والمدينة والشام قرأوها على شكل (منهما)، بينما قرأها الآخرون على شكل (منها)[20]. كما لا يوجد هنا محل لغموض وإبهام في مثل هذه الفروق من ناحية الإملاء.

ثانياً: اقتراح نظامين للإملاء في كتابة وطباعة المصحف

هناك مطلب من بعض رجال العلم خلاصته « أن تجري بعد ذلك كتابة المصحف بالإملاء المتطورة حتى يقدر الناس على قراءته، بينما تكتب المصاحف المخصصة لذوي الاختصاص بالإملاء الأصلية، وعلى هذا النحو تتيسر للناس تلاوة المصحف وتظل الإملاء الأصلية محفوظة ». وهنا علينا أن نعيد القول إن هذه الإملاء التي قبلنا بأنها الأصلية دون تحفظ لا تحتاج إلى حماية. لأن النسخ الأصلية من المصحف لم تُحفظ، ولكن الإملاء التي كتبت بها تلك النسخ ظلت محفوظة بالقدر الذي رأيناه، وهناك ملايين النسخ التي ظهرت عن طريق الاستفادة من تلك المعلومات والروايات المنقولة إلينا من أمهات المصادر، ويستعين بها المسلمون في كافة أرجاء الدنيا. ونحن نعتقد أنه ليس هناك أهمية كبيرة أيضاً عند عرض فكرة كتابة وطباعة المصحف بالإملاء المتطورة لأن يكون عرضها حجة لفكرة « حتى يستطيع الناس قراءته بسهولة ». لأن المصاحف تطبع بحركات التشكيل، والذين يعرفون القراءة والكتابة بالعربية يمكنهم مع الالتزام بتلك الحركات أن يقرأوه صحيحاً وبسهولة. أما الذين لا يعرفون العربية فإن عليهم أن يتلقوا تعليماً خاصاً، ولكن بمساعدة تلك الحركات إلى حد بعيد أيضاً واتباعاً لها، وبالكيفية التي تعلموها تكون طريقة قراءتهم. وسبب تعثر البعض في قراءة المصحف المكتوب بالإملاء الأصلية ليس هو الإملاء ولكنها عملية التشكيل بطريقة تختلف عن الطريقة المعتادة، ثم تشوش الأذهان ببعض الإشارات التي لا ضرورة لها في اعتقادنا، حتى تتحقق التلاوة تطبيقاً لقواعد التجويد. وفي اعتقادنا أيضاً أن إملاء المصاحف التي تطبع تطبيقاً لحركات التشكيل المعتادة سوف يمكن قراءتها دون صعوبة مهما كانت تلك الإملاء.

وقد يكون من الأجدى التذكير بمثال ذكرناه من قبل في مناسبة أخرى وهو: قوله تعالى «قَالَ ابْنَ أُمَّ..»[21] الذي وردت فيه كلمتا (ابن) و (أم) غير متصلتين في المصاحف الأولى، ولكنهما وردتا في موضع آخر[22] متصلتين على شكل (قَالَ يَبْنَؤُمَّ) وليس على شكل (قَالَ يَابْنَ أُمَّ). وهذا الشكل المختلف في كلتا الآيتين قد ظل موجوداً إلى الآن في الدول التي تطبع المصحف بما يناسب الإملاء الأصلية، ويطبع في تركيا وتُصَدِّق عليه هيئة تدقيق المصاحف في رئاسة الشئون الدينية، فاي منا يا تُرى أدرك ذلك الأمر وتنبه له؟ لا بد من الاعتراف أن الغالبية ممن ختموا القرآن منا مئات المرات لم يتنبهوا لذلك، ولكنهم بفضل التزامهم بحركات التشكيل استطاعوا أن يتعلموا الأسلوبين الإملائيين معاً والتلاوة الصحيحة دون أن يتنبهوا للفروق الموجودة. وكاتب هذه

١٩ سورة الكهف ١٨/ ٣٦.

٢٠ انظر: الداني، التيسير، ص ١٤٣.

٢١ سورة الأعراف ٧/ ١٥٠.

٢٢ سورة طه ٢٠/ ٩٤.

السطور أيضاً قد تنبّه بهذه المناسبة إلى اختلاف شكل الإملاء في هاتين الكلمتين في الموضعين المذكورين. وفي هذه الحالة إذا كان المطلوب هو طباعة المصاحف بالإملاء المتطورة، أي إذا كان الاختيار هو هذا، وهو ليس مما نسعى إليه أو نفضّله، فلا غبار على ذلك، ولسوف يجري عمل اللازم لتحقيق هذا.

ثالثاً: منهج هيئة تدقيق المصاحف في تركيا ورأينا فيه

نعتقد أن مسألة الإملاء التي استخدمت في المصاحف الأولى واستخدامها كما هي وبالقدر الذي كانت عليه في كتابة وطباعة المصاحف حالياً هي مسألة تحوز في العصر الحاضر أهمية تفوق ما كانت عليه من ذي قبل. وعلينا الاعتراف بأن عالَم اليوم قد أصبح قرية صغيرة، والأحداث التي تقع في أي مكان منها يعرفها الناس في وقتها، من الشوارع ومن داخل البيوت نفسها، فالشعوب تتأثر ببعضها، والهيئات والمؤسسات تتأثر ببعضها، والناس يتأثرون بغيرهم ممن يعيشون في المجتمعات الأخرى. والقرآن الكريم قيمة مشتركة بين كافة المسلمين، وهم لا يشغلون إلاّ شارعاً واحداً في تلك القرية الصغيرة، وضمان وحدة الإملاء في كتابهم المقدس قضية ذات أهمية تفوق ما كانت عليه من قبل. ويفضل تسعون في المائة من بلدان العالم الإسلامي تقريباً رواية حفص لقراءة الإمام عاصم بن بهدلة أحد أئمة القراءات السبعة المشهورين[٢٣]، بينما تفضل الدول الرئيسية فيها استخدام الإملاء المستخدمة في المصاحف الأولى لطباعة مصاحفها أي الرسم العثماني، كما أن هناك بعض الدول ومنها تركيا تسلك في ذلك طريقاً وسطاً بالمحافظة على جانب من تلك الإملاء[٢٤]. ولا توجد لدينا معلومات حول وجود بلد يطبع المصحف بالإملاء الحديثة تماماً. وبسبب تلك الطرق المتباينة تُمنع المصاحف المطبوعة في تركيا مثلاً من الدخول إلى بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، كما لا يُسمح للمصاحف المطبوعة في تلك الدول أيضاً بالدخول إلى تركيا. ولا زلت أذكر في ثمانينيات القرن الماضي أنه كانت إحدى دور النشر العاملة في استانبول وتُدعى دار النشر الإسلامية (İslami Kitabevi) قد تلقت طلباً من إحدى الشركات أو الجهات الحكومية في الكويت لطباعة مائة ألف نسخة من المصحف، وطبعتها تلك الدار بالإملاء المستخدمة في تركيا، فكانت النتيجة أن رفض جمرك الكويت تسلم شحنة المصاحف بدعوى أن «الإملاء خاطئة» وعادت (الطرود) إلى جمرك مدينة بورصة، وظلت هناك شهوراً حتى أتت الرطوبة في المخازن على جزء منها.

ولا زالت هيئة تدقيق المصاحف [في تركيا] تواصل بعناية فائقة تطبيق تلك الطريقة الإملائية المختلطة التي لا سند لها. وليس في وسعنا هنا أن نقلل من قيمة تلك العناية الموجهة لكتاب الله العزيز، بل على العكس نُقدر لهم ذلك ونحترمه. ولكن لا يمكننا أن نتغافل هنا أمراً لا بد من نقده، وهو التوجه الذي تمثل تلك العناية

---

٢٣ ابو بكر عاصم بن بهدلة الكوفي كان واحداً من ائمة القراءات السبع المشهورين من قراء جيل التابعين. وكان كفيف البصر، وتوفي سنة ١٢٧هـ (٧٤٥م) (انظر: حول سيرته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٢٠٤ – ٢١٠ وابن الجزري، النشر، ١/١٤٦ – ١٥٨). اما ابو عمر حفص بن سليمان الكوفي فهو ابن عاصم بن بهدلة بالتبني، وكان احد راويَيْن مشهورَيْن لقراءة عاصم، وتوفي سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م) (للتعرف على سيرته انظر: الذهبي، المصدر السابق، ١/١٥٦).

٢٤ كنا قد قمنا بعملية فحص وتدقيق محدودة على عدة صفحات من مصحف مفسّر بالتركمانية مطبوع في كراتشي سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وتبين لنا من خلالها ان عشوائية الإملاء المستخدمة في المصاحف المطبوعة في تركيا قد انتقلت ايضاً إلى باكستان. حتى إن الالفاظ التي تتطلب الكتابة بغير الالف مثل (ملك – صرط) على سبيل المثال في الرسم العثماني (الفاتحة ١/٦ – ٧) جرت كتابتهما بالالف مثل لفظهما (مالك – صراط)، كما كتبت كل من (هروت ومروت) (البقرة ٢/١٠٢) بالالف أيضاً (هاروت وماروت)، وجرى التغاضي أيضاً عن مبدأ التوافق مع القراءات المعروفة، وكتبت كلمتا (الفسقون – الكفرين) (سورة البقرة ٢/١٩، ٢٤، ٩٩) بغير الالف حفاظاً على الرسم العثماني.

سنداً له، وليس العناية نفسها. وهذا التوجه إذا كان لأجل المحافظة على الرسم العثماني المستخدم في بعض الدول الإسلامية فهو أمر يمكننا قبوله، وإذا كان المقصود هو المحافظة على الرسم العثماني فمن الممكن أيضاً أن نتفهم ذلك. وأيضاً إذا كان يجري إبرازه بقصد الحيلولة دون وقوع أي خطأ أو تحريف في المصاحف القادمة من خارج تركيا فليس من العسير علينا أن نتفهم هذا أيضاً. ولكن هذه الدقة إذا كانت تُبذل من أجل إملاء المصحف المسمى (بخط علي القاري) الذي كتبه علي القاري (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) أحد متأخري علماء الأحناف والخطاط في الوقت نفسه وراعى فيه بعض الخطوط الخاصة[٢٥] المتعلقة بالرسم العثماني، بل وغيّر كثيراً من العناصر ربما لأجل التيسير على القارئ (مثل: الظلمين، الصبرين، العلمين فأضاف إليها الألف لتصبح: الظالمين، الصابرين، العالمين؛ وكذلك كلمات: يايها، ينوح، ياخت فأضاف إليها الألف بعد ياء النداء لتصبح: يا أيها، يا نوح، يا اخت)؛ وإذا كانت الدقة أيضاً من أجل خط المصحف الذي كتبه الخطاط العثماني المشهور حسن رضا أفندي (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) معتمداً فيه على إملاء علي القاري أساساً، أي بإملاء مختلطة لاهي تتبع الإملاء المتطورة ولا هي تتبع الرسم العثماني فإن هذا الأمر ليس فيه ما يجعلنا ندافع عنه، فالواضح أن هناك شيئاً من عدم الانضباط.

ويكون من المفيد هنا أن نذكر بعض الأمثلة التي تدلل على أن الإملاء التي تمسكتْ بها هيئة تدقيق المصاحف إملاء مختلطة وغير منضبطة.

أ)– أولاً الأمثلة المتفقة مع الرسم العثماني والمحافظة عليه:

– مثال ذُكر قبل ذلك، وهو قوله تعالى (قال ابن أم)[٢٦]، إذ جاءت الكلمتان (ام و ابن) هنا منفصلتين، ثم وردتا في موضع آخر[٢٧] متصلتين على شكل (قال يبنؤم) وليس (قال يا ابن ام). وهذا الخط المختلف في كلتا الآيتين لا زال متبعاً في البلدان التي تطبع المصاحف تمسكاً منها بمبدأ التوافق مع الإملاء الأصلية، وتتمسك بها أيضاً هيئة تدقيق المصاحف التابعة لرئاسة الشئون الدينية في تركيا، فالمصحف الذي لا يتبعها لا يجري التصديق عليه أو يوضع خاتم الهيئة على طبعاته.

– ترد كلمة (أيها) في الغالب بالألف كما نرى في الرسم العثماني، ومع ذلك فقد كتبت في ثلاثة مواضع[٢٨] بغير ألف وجاءت على شكل (أيه)[٢٩]. وتتمسك هيئة تدقيق المصاحف بهذه الأمثلة أيضاً. ولما سئل علماء الهيئة عن هذا الموضوع قالوا عن هذه الكلمة إن هناك قراءة لها بضم الهاء على شكل (أيُّهُ)، ولعل ذلك هو السبب الذي دفع علياً القاري للمحافظة عليها. صحيحٌ أن هاءات عبد الله بن عامر اليَحْصُبي وهو من أئمة القراءت السبعة

---

٢٥ حول المواضع التي حافظ فيها علي القاري على الإملاء المطابقة للرسم العثماني انظر: داماد زاده سليمان، الكلمات الموسومة المستخرجة من مصحف علي القاري (وكان طورخان بايجان عضو هيئة تدقيق المصاحف قد قام – بعد مناقشات مطولة اجريناها معاً حول الموضوع – بدراسة تتطلب حقاً الصبر والأناة على نسخة من مصحف طبع طبقاً لخط علي القاري المقبول مرجعاً في تدقيق الهيئة، واستطاع التوصل إلى نتيجة مؤداها ان هذا الخط يختلف عن نسخ المصاحف المتفق على توافقها مع الرسم العثماني في ٤٧٠٤ كلمات ويتفق معها في ٢٣٧٠ كلمة. والقائمة التي أعدها طورخان بايجان حول ذلك موجودة بين أيدينا).

٢٦ سورة الأعراف ٧/ ١٥٠.

٢٧ سورة طه ٢٠/ ٩٤.

٢٨ سورة النور ٢٤/ ٣١ و سورة الزخرف ٤٣/ ٤٩ وسورة الرحمن ٥٥/ ٣١.

٢٩ انظر: الداني، المقنع، ص ٢٠.

المشهورين (ت ١١٨هـ/ ٧٣٦م) جاءت بالضم في المواضع الثلاثة[٣٠]، ولكن ليس هناك ما يُلزم بكتابة الهاء بغير الألف حتى تتوافق مع قراءة ابن عامر. والشاهد على ذلك أنه يمكن أداء قراءات متباينة تخالف الإملاء في مواضع عديدة، وعلى سبيل المثال فإن عبد الله بن كثير أحد الأئمة السبعة في القراءات قد قرأ كلمة (يخاف) في قوله تعالى (فلا يخاف..) (٢٠/ ١١٢) بجزم الفاء وبغير ألف لتصبح على شكل (يَخَفْ)[٣١]، أي كما هو الحال في كلمة (ملك) في سورة الفاتحة، فإن كتابتها بغير الألف توافق قراءة ابن كثير وغيره من أئمة القراءات على حدٍ سواء، ومع ذلك فإن الكلمة كتبت بالألف. ومن الضروري أيضاً لحصولها على موافقة الهيئة أن تكتب بهذا الشكل. أضف إلى ذلك أن الرسم العثماني قد تمت المحافظة عليه على الرغم من وجود فروق في القراءات كما في المثال السابق (قال يبنؤم) وغيره من الأماكن العديدة الأخرى، وبالتالي يصبح طرح عامل القراءة برهاناً على ذلك أمراً ليس معقولاً.

– هناك كلمة الربا التي ترد في القرآن الكريم في سبعة مواضع[٣٢]، فتكتب بالواو والألف بحسب الرسم العثماني (الربوا)، وتتمسك بها هيئة تدقيق المصاحف على هذا الشكل بعينه. وهذا النوع من الأمثلة التي لا توافق الإملاء العربية المتطورة قد استمرت المحافظة عليها ليس إلاّ من منطلق أن تكون المصاحف مطابقةً للرسم العثماني، وتوجد نماذج عديدة على أنها استمرت بعينها في المصاحف المطبوعة في تركيا.

ب)- عدة أمثلة لا تراعي الرسم العثماني:

– هناك كلمة (بأييد) الواردة بالرسم العثماني في قوله تعالى (والسماء بنيناها بأييد..)[٣٣]، وكلمة (بأييكم) الواردة في قوله تعالى (بأييكم المفتون)[٣٤]، وكلتاهما كتبتا بيائَيْن معا[٣٥]، ومع ذلك فإن هناك مصاحف كتبتْ فيها بألف واحدة، وصَدّقت عليها هيئة تدقيق المصاحف. وفي هذين الموضعين أيضاً قام حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ/ ٧٧٣م) وهو أحد أئمة القراءات السبعة المشهورين بابدال الهمزة إلى الياء وقرأها على هذا النحو[٣٦]. فإذا كان عامل القراءة هو الحجة للحفاظ على الإملاء الأصلية فالواضح هنا أن هذا الأمر لا يمكن تغافله.

– المعروف أن الألف الواردة بعد ياء النداء لم تكتب في أي مكان من قبيل الاختصار بحسب الرسم العثماني، وجرت على ذلك دول إسلامية عدة (مثل: يأرض ابلعي، يأدم، يأيها الناس...)، ومع ذلك فقد تُركتْ هذه القاعدة في تلك المصاحف، وظهرت ألف حرف النداء فيها: يا أرض ابلعي، يا ادم، يا أيها الناس..

– هناك عبارة (سأوريكم) في الرسم العثماني[٣٧]، وقد كتبت في تلك المصاحف على شكل (سأريكم) أي تُرك حرف الواو.

---

٣٠ انظر: الداني، التيسير، ص ١٦١ – ١٦٢.

٣١ نفسه ص ١٥٣.

٣٢ انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص ٣٠٠.

٣٣ سورة الذاريات ٥١/ ٤٧.

٣٤ سورة القلم ٦٨/ ٦.

٣٥ انظر: الداني، المقنع، ص ٤٧.

٣٦ ابن البناء، اتحاف فضلاء البشر، ٢/ ٤٩٣، ٥٥٣.

٣٧ سورة الاعراف ٧/ ١٤٥ و سورة الأنبياء ٢١/ ٣٧ وانظر: الداني، المقنع، ص ٥٣.

– كلمة (ملك) المكتوبة بغير ألف في الرسم العثماني[٣٨] جرت كتابتها بالألف على شكل (مالك)، كما أن كلمتي (فتعلي، تعلى) جرت كتابتهما بغير ألف في كل موضع جاءتا فيه[٣٩]، بينما جرت كتابتهما بالألف في هذه المصاحف (فتعالى، تعالى). ويجري الحديث في هذا النوع من الأمثلة بوجه عام عن حجة « تيسير التلاوة »، بينما نرى في عبارة (ولا تلون)[٤٠] مثلاً أنهم لم يراعوا مسألة التيسير فيها، فلم يكتبوها بواو أخرى إلى جانب الواو الموجودة لكي تُقرأ ممدودة بعد الألف الأولى بحسب الرسم العثماني. وهناك أمثلة كثيرة يمكننا عرض المئات منها.

– نرى من المفيد هنا التذكير بمثال كنا ذكرناها قبل ذلك في موضع آخر، وهو عبارة (ولأوضعوا)[٤١] التي وردت بهذا الشكل في بعض مصاحف سيدنا عثمانﷺ، ووردت في بعضها الآخر بإضافة حرف الألف (ولأاوضعوا)، أي أن كلا الشكلين جاء بحسب الرسم العثماني. ولكننا لا نعلم ما هو المصحف الذي وردت فيه، وإلى أي جهة أرسله سيدنا عثمان بن عفانﷺ. غير أن هناك رواية تقول إن الكلمة مكتوبة بإضافة الألف في نسخة عثمان المعروفة « بالمصحف الإمام »[٤٢]. ولهذا السبب فقد كتبت هذه الكلمة بغير الألف المذكورة (ولأوضعوا) انطلاقاً من مبدأ التوافق مع الرسم العثماني، سواء كان ذلك في المصاحف التي طبعت في مصر سنة ١٩٣٥م وفي المدينة المنورة خلال تسعينيات القرن الماضي برواية حفص على قراءة عاصم بن بهدلة ثم تكررت طباعة تلك المصاحف في السنوات التالية، وسواء في المصحف الذي جرى التصديق عليه من السلطات المسئولة في مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية برواية ورش[٤٣] على قراءة نافع بن عبد الرحمن (ت ١٦٩هـ/٧٨٥م) ثم طبع انطلاقاً من نفس المبدأ في الشام عام ١٩٩٩م. ولكن الكلمة مكتوبة بالألف على شكل (ولأاوضعوا) في الإملاء المعدلة جزئياً من قبل هيئة تدقيق المصاحف [في تركيا] بقصد التيسير على القراء. لماذا؟ وهل يمكننا الحديث عن تيسير جاءت به تلك الألف؟ الأمر الذي يقال هنا باختصار هو أن الإملاء المستخدمة في المصاحف المصدقة من قبل هيئة تدقيق المصاحف لا ترتكز ـ في اعتقادنا ـ على قاعدة يمكن الدفاع عنها. وعلى المجلس الأعلى للشئون الدينية التابع لرئاسة الشئون الدينية أن يبادر ودون تأخير إلى فتح باب المناقشة في هذا الموضوع بطريقة علمية، وعليه اختيار أحد السبيلين: الأول أن يكون الرسم العثماني هو الأساس كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية، والثاني أن يجري استخدام الإملاء المتطورة المستخدمة اليوم في النصوص العربية لكي تكتب بها المصاحف، وهو ما يوافق رأي بعض العلماء أيضاً. وخيارنا في هذا الموضوع هو اتباع الرسم العثماني كما هو الحال في الدول الإسلامية الرئيسية، وضمان الوحدة في العالم الإسلامي باستخدام قراءة واحدة. وهذه الوحدة لا تبدو ممكنة بخيار آخر يمكن طرحه عدا هذا.

---

٣٨ سورة الفاتحة ١/٤ وسورة آل عمران ٣/٢٦ وانظر: الداني، المقنع، ص ٨٣.

٣٩ انظر: الداني، المقنع، ص ١٨.

٤٠ سورة آل عمران ٣/١٥٣.

٤١ سورة التوبة ٩/٤٧.

٤٢ انظر: الداني، المقنع، ص ٤٥.

٤٣ ابو رُوَيْم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم هو واحد من أئمة القراءات السبع المشهورين، واخذ علم القراءات عن جيل التابعين، وقام بتدريسه في المدينة المنورة اكثر من سبعين عاماً، وتوفي سنة ١٦٩هـ (٧٨٥م) (حول سيرته انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٢٤١ – ٢٤٧ وابن الجزري، النشر، ١/٩٩ – ١١٥). اما ابو سعيد عثمان بن سعيد القبطي المعروف بورش فكان تلميذاً لنافع واحد راويين مشهورين لقراءته، وكان افريقي الاصل، وتوجه إلى المدينة المنورة وهناك في سنة ١٥٥هـ (٧٧٢م) ختم القرآن على نافع اربع مرات، واخذ عنه القراءات. وتوفي في مصر سنة ١٩٧هـ (٨١٣م) (انظر: حول سيرته: الذهبي، المصدر السابق، ١/٣٢٣ – ٣٢٦ وابن الجزري، النشر، ١/١١٣).

ومن البديهي أن تجري طباعة مصاحف أخرى أساسها الرسم العثماني أيضاً لأجل الدول التي تستخدم قراءات أخرى مختلفة. ولكن لن تظهر فروق كبيرة إملائية في هذه المصاحف إلا فروق التشكيل والتنقيط. والشاهد على ذلك أننا نعلم أن أكثر القراءات تفضيلاً اليوم بعد تلاوة حفص الكوفي هي برواية ورش عن نافع بن عبدالرحمن، وهو المدني من أئمة القراءات السبعة المشهورين وبرواية قالون جزئياً عن نفس الإمام، وأنه بسبب قراءة تلك الروايات وخاصة في بعض دول الشمال الأفريقي جرت مراعاة الإملاء الخاصة بمصحف المدينة الذي هو مصحف سيدنا عثمانﷺ في طباعة المصاحف، وأن عملية التشكيل والتنقيط قد جرت تبعاً لتلاوات ورش وقالون.

وتوجد ـ على حد علمنا ـ اختلافات في عشرين موضعاً من الناحية الإملائية بين مصحف المدينة الذي هو المرجع المدون لتلاوات ورش وقالون ومصحف الكوفة الذي يشكل المرجع المكتوب لتلاوة حفص. وفي أربعة من تلك المواضع تبتعد تلاوة حفص عن مصحف الكوفة[٤٤]، وأولها يناسب الشكل المكتوب في كل المصاحف الأخرى، وثانيها يناسب نسختي المدينة والشام، أما ثالثها ورابعها فهما يناسبان كل النسخ الأخرى أيضاً، وبعبارة أخرى فإنها تتفق في تلك المواضع الأربعة ومصحف المدينة الذي يشكل أساس تلاوة ورش، ولهذا فإن الفرق بين تلاوتي حفص وورش ينخفض إلى ستة عشر فرقاً يتعلق بالإملاء[٤٥]. وعندما لا يُراعى التنقيط والتشكيل تبعاً لهذه الحالة يمكن الحديث عن الاختلاف الإملائي في ستة عشر موضعاً فقط، وليس المئات بين المصاحف التي ستجري طباعتها تبعاً لتلاوتي حفص وورش لسد حاجة الدول التي سَتُقرأ فيها. أما عن تلك الفروق فلها أسس ترتكز عليها، وهي نسخ مصاحف سيدنا عثمانﷺ الأصلية.

واليوم فإن المعروف هو أن القراءة التي تأتي في الدرجة الثالثة في العالم الإسلامي هي قراءة أبي عمرو بن

---

٤٤ قوله تعالى (وما عملت) في سورة يس ٣٦/ ٣٥ والذي كتب بهذا الشكل في مصحف الكوفة قد جاء على شكل (وما عملته) في مصاحف مكة والمدينة والبصرة والشام، وقراءة حفص توافق تلك النسخ. والموضع الثاني الذي يختلف عن نسخة الكوفة هو قوله (ما تشتهي) في سورة الزخرف (٤٣/ ٧١). وهنا أيضاً قراه حفص على شكل (ما تشتهيه) متفقاً مع خطوط مصحفي المدينة المنورة والشام. والموضعان الثالث والرابع اللذان اختلف فيهما مع خط الكوفة وقراه متفقاً مع المصاحف الاخرى هما قوله (قال كم لبثتم) و (قال إن لبثتم) في سورة المؤمنون (٢٣/ ١١٢، ١١٤). وعلى الرغم من ان الفعل (قال) في الموضعين قد كتب على شكل (قل) في مصحف الكوفة فقد قراه حفص بالالف متفقاً مع الإملاء المستخدمة في المصاحف الأخرى (انظر: النشر، ٢/ ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٧٠).

٤٥ تلك المواضع الستة عشر هي:

١- البقرة ٢/ ١٣٢: وأوصى - ووصى.

٢- آل عمران ٣/ ١٣٣: وسارعوا - سارعوا.

٣- المائدة ٥/ ٥٣: ويقول الذين - يقول الذين.

٤- المائدة ٥/ ٥٤: من يرتدد - من يرتد.

٥- الانعام ٦/ ٦٣: انجيتنا - انجينا.

٦- التوبة ٩/ ١٠٧: الذين اتخذوا - والذين اتخذوا.

٧- الكهف ١٨/ ٣٦: خيراً منهما - خيراً منها.

٨- الأنبياء ٢١/ ٤: قل ربي - قال ربي.

٩- الشعراء ٢٦/ ٢١٧: فتوكل - وتوكل.

١٠- غافر ٤٠/ ٢٦: وان يظهر - او ان يظهر.

١١- الشورى ٤٢/ ٣٠: بما كسبت - فبما كسبت.

١٢- الزخرف ٤٣/ ٦٨: يعبادى - يعباد.

١٣- الاحقاف ٤٦/ ١٥: حسنا - احسانا.

١٤- الحديد ٥٧/ ٢٤: هو الغني - الغني.

١٥- الجن ٧٢/ ٢٠: قل - قال.

١٦- الشمس ٩١/ ١٥: فلا يخاف - ولا يخاف.

(انظر: لهذه المواضع: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٣٩ - ٤٩ والداني، المقنع، ص ١٠٢ - ١١٣).

علاء البصري أحد أئمة القراءات السبعة المشهورين[٤٦]، وأن هذه القراءة هي المفضلة في بعض الدول الإفريقية كالسودان ونيجيريا. وما استطعنا الوصول إليه من فروق إملائية بين مصحف البصرة الذي ترتكز عليه تلك القراءة وبين مصحف الكوفة الذي ترتكز عليه تلاوة حفص هي في تسعة مواضع فقط. وفي أربعة منها تنفصل تلاوة حفص عن مصحف الكوفة، وتتفق مع مصحف المدينة، ولهذا يتوازى مصحف البصرة أيضاً مع مصحف المدينة، فتظهر الفروق الإملائية بين تلاوة أبي عمرو في خمسة مواضع فقط[٤٧].

وعلى ضوء هذه الإيضاحات يمكننا القول إنه لا نزاع ولا خلاف حول المصاحف التي كتبت وطبعت متوافقةً مع إملاء أي من مصاحف سيدنا عثمانﷺ أو راعت تلاوة بنيت على أساسها لأحد أئمة القراءات المشهورين، كما أن المصاحف التي ستجري كتابتها وطباعتها بما يتفق ورواية حفص عن قراءة عاصم بن بهدلة المرتكزة على مصحف الكوفة والمفضلة لدى ٩٠٪ تقريباً من بلدان العالم الإسلامي سوف تضمن الوحدة أيضاً بين أهم تلك الدول. ولن يحدث أيضاً لمصحفٍ كتب وطبع بعد تشكيله وتنقيطه تبعاً لأي من القراءات الأخرى أن يُحْظَر دخوله إلى أي بلد إسلامي شريطة المحافظة على الإملاء في الرسم العثماني.

وفي حالة التحرك المنضبط في طباعة المصاحف، أي عندما تتحقق الطباعة مُراعيةً للتشكيل والتنقيط المرتكزين على تلاوة حفص أو ورش أو غيرهما من أئمة القراءات، وتكون في الوقت نفسه خاضعة للإملاء التي هي الأساس في تلاواتهم فإننا لن نرى في المستقبل طروداً مليئة بالمصاحف المطبوعة ترفضها الجمارك في دولة من الدول. والشاهد على ذلك أن بين أيدينا مصحفاً من طباعة الشام كان الأساس فيه إملاء مصحف المدينة أحد مصاحف سيدنا عثمانﷺ وتلاوة ورش، ومع ذلك فقد تم التصديق عليه من المؤسسات الدينية المعنية في سوريا والمملكة العربية السعودية ومصر والأردن على الرغم من عدم شيوع تلاوة ورش في أي من تلك الدول.

ويكون من البديهي جداً أن تتخذ الهيئات والمؤسسات الدينية في الدول الإسلامية بعض التدابير للتصدي لطبعات المصحف التي لا تعتمد أي أساس أو تتمسك بأي مبدأ، وتبذل كل ما في وسعها لمنع ظهور مثل تلك المصاحف[٤٨]. ولكن توجد اليوم دول لها مصاحف طبعتها وتلك المصاحف ممنوعة من دخول بعض الدول الإسلامية الأخرى. ونرى من الفائدة أن يسارع المسئولون في كل تلك الدول بتناول هذا الموضوع في أقرب الآجال، فهذا هو ما نأمله ونتمناه[٤٩].

---

٤٦ أخذ أبو عمرو زَبّان بن العلاء البصري علم القراءات عن قراء الحجاز، وأمضى الشطر الأعظم من حياته في البصرة. وهو واحد من أئمة القراءات السبعة المشهورين، وتوفي في سنة ١٥٤هـ (٧٧١م) في الكوفة (للمزيد من المعلومات عن سيرته انظر: Tayyar Altıkulaç, «Ebû Amr b. Alâ», *DİA*, X, 94-96.).

٤٧ المواضع الخمسة هي: ١) سورة الأنعام ٦/٦٣: انجينا – انجيتنا ٢) سورة الأنبياء ٢١/٤: قل ربي – قال ربي ٣) سورة غافر ٤٠/٢٦: وإن يظهر – أو أن يظهر ٤) سورة الأحقاف ٤٦/١٥: حسناً – إحساناً ٥) سورة الجن ٧٢/٢٠: قل – قال (وانظر: لهذه المواضع ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص ٣٩ – ٤٩، والداني، المقنع، ص ١٠٢ – ١١٣).

٤٨ لا شك أن إملاء المصاحف حظيت بعناية المسلمين كافة في كل مراحل التاريخ الإسلامي، واتخذت حكوماتهم بعض التدابير للحفاظ عليه من التحريف. ولعل المثال الملموس على ذلك ما فعله الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/٧١٤م)؛ فقد كلّف هيئة بتدقيق المصاحف تضم عاصم الجحْدَري وناجية بن رُمح وعلياً بن أصْمع. وكانت التعليمات الصادرة إليهم واضحةً جليّة وهي: أن يدققوا المصاحف التي يعثرون عليها، فيقومون بإمحاء المصحف الذي لا يوافق مصحف سيدنا عثمان. وحتى لا يقع ظلم على أصحاب المصاحف التي يتقرر إمحاؤها يصرف لكل واحد منهم ستون درهماً (انظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٣٧).

٤٩ كنت قد تدارست هذا الموضوع مع زملائي في العمل عندما كنت رئيساً للشؤون الدينية، وقمنا عندئذ باستكتاب مصحف جديد لأحد الخطاطين الأتراك يلتزم الإملاء الأصلية وقراءة حفص، ثم طبعنا منه على سبيل التجربة ثلاثين ألف نسخة في سنة ١٩٨٥م وقدمناه للناس. غير أننا لم ننجح في تحويل هذه الطريقة إلى نهج مؤسسي وقرار ثابت خلال مدة خدمتنا.

الفصل الرابع

نُسَخُ المصاحفِ موضوعُ هذه الدراسة

أولاً: مصحف طشقند

هو مصحف محفوظ الآن داخل صندوق معدني في متحف الآثار العتيقة في مدينة طشقند، ويعتقد الناس هناك أنه واحد من مصاحف سيدنا عثمان بن عفانﷺ، بل إن هناك اعتقاداً شائعاً بين الناس أنه النسخة التي كانت بين يديه عندما استشهد. وسنحاول هنا من خلال الوقوف عند بعض الأمثلة على الإملاء المستخدمة فيه أن نثبت أنه ليس واحداً من مصاحف سيدنا عثمانﷺ، ولا هو النسخة الخاصة به، وذلك بدلاً من الرجوع إلى المعطيات التاريخية المتناقضة والتي ليست واضحة بالقدر الكافي وإطلاق الأحكام على عواهنها للبحث في تاريخ ذلك المصحف وإثبات نَسَبِه.

والجدير بالذكر أن انشغالنا بهذا المصحف يمتد حتى ثمانينيات القرن الماضي، فقد لجأتُ عدة مرات لبعض المترددين على أوزبكستان حتى أحصل على ميكروفيلم للمصحف، ولكن دون جدوى، إلى أن سافرتُ إلى طشقند بدعوة رسمية في أكتوبر سنة ١٩٨٥م من مفتي آسيا الوسطى وقزاخستان المرحوم ضياء الدين باباخانوف، فحظيتُ بنسخة فوتوغرافية من المصحف. وقد ظلتّ تلك النسخة محفوظة في غرفتي داخل رئاسة الشئون الدينية [في أنقرة] مدة من الزمن، ثم جرى إهداؤها بعد ذلك إلى مكتبة السليمانية في استانبول، ولا زالت هناك إلى اليوم.

ولا بد أن أعترف هنا أن دراستنا لمصحف طشقند ـ بخلاف الرجوع إليه بين حين وآخر لبعض المجادلات الإملائية ـ لم تكن ممكنة إلاّ بمناسبة العمل على نشر مصحف طوپقاپى؛ وكنا نتوقع حتى تلك اللحظة أن يكون هذا المصحف واحداً من مصاحف سيدنا عثمانﷺ. وأهم سبب كان وراء تعزيز هذا الاحتمال هو السطور التالية التي ذكرها أستاذنا الدكتور محمد حميد الله الذي طالما استفدنا من بحوثه واستعنا بها في العديد من المناسبات رغم أنها تخالف آراء بعض الكتاب، إذ يقول:

«إن المصاحف التي بعث بها سيدنا عثمان بن عفانﷺ إلى الأمصار قد ضاعت في العصور التالية واحداً تلو الآخر. ولا يوجد اليوم منها إلاّ مصحف طوپقاپى في استانبول وهو مصحف تام، ثم المصحف المحفوظ في مكتبة الدائرة الهندية في انجلترا، وهو مأخوذ من مكتبة الإمبراطور المغولي في دلهي؛

ويوجد مصحف ثالث في مدينة طشقند تنقصه عدة أوراق. وكانت الحكومة الروسية في زمن القيصرية قد عملت طبعة طبق الأصل من هذا المصحف. وقد رأينا من خلال دراستنا له أن نصه لا يختلف في شئ قط عن المصاحف المستخدمة حالياً في الأماكن الأخرى. ونفس هذه الصحة تنطبق أيضاً على نصوص القرآن المخطوطة الأخرى الباقية من القرن الأول والقرون التالية في شكل تام أو أجزاء»[1].

كان الطالب سميح جيهان أحد تلامذة الدكتوراه في مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي والذي أقام مدة في لندن قد قام بناءً على طلب منا بالبحث عن النسخة التي تحدث محمد حميد الله عن وجودها في انجلترا، لكن موظفي المكتبات قالوا له بعدم وجود مصحف على هذا النحو. ومع ذلك فإن هناك مصحفاً محفوظاً في المكتبة البريطانية (تحت رقم ٢١٦٥)، وهو مصحف تنقصه بعض الأوراق ويقال إنه كتب في القرن الهجري الأول. والسور والآيات الباقية فيه هي على النحو التالي:

الأعراف ٧ / ٤٢ – التوبة ٩ / ٩٥ (الأوراق 14 1)؛

سورة يونس ١٠ / ٩ – الزمر ٣٩ / ٤٧ (الأوراق 113-15)؛

سورة غافر ٤٠ / ٦١ – الزخرف ٤٣ / ٧١ (الأوراق 121 114).

وهو على هذه الحالة يقع في ١٢١ ورقة، وقد قامت المكتبة البريطانية بطبع الأوراق 61 1 صورة طبق الأصل (Faksimile) في لندن سنة ٢٠٠١م، وذكرت المكتبة في نفس الوقت أنها ستقوم بطباعة الأوراق 121 62 [2]. وعند النظر في الأوراق المطبوعة وغير المطبوعة من هذا المصحف يتبين لنا بعملية حسابية أنه لا يضم إلاّ الربع تقريباً من نص القرآن الكريم.

كما نعلم عدا هذا أن هناك نسخة ناقصةً من مصحف قديم محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس (nr. Arabe 328/a) ويُعتقد أنه يرجع إلى القرن الأول الهجري، وقام (ف. ديروش) و (س. ن. نوزيدا) بنشرها (انظر: قائمة المصادر). ويمكننا من خلال عملية حسابية لعدد الأوراق المطبوعة من هذا المصحف أيضاً وعدد الأوراق التي وصلتنا منه (٥٦ ورقة فقط) أن نتوقع أنه كان يقع في ٢٢٥ ورقة تقريباً. أما عن مصحف طشقند الذي قال محمد حميد الله إنه « لا تنقصه إلاّ عدة أوراق » فهو لا يمثل إلاّ الثلث من نص القرآن الكريم كما سنوضح فيما يلي.

وقد قام الأستاذ محمد حميد الله بعد ذلك بنشر ذلك المصحف [مصحف طشقند] مع مقدمة مقتضبة بالانجليزية تحت عنوان: « القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان ﷺ عكوس نسخة سمرقند » (انظر قائمة المصادر).

وكنا قد ذكرنا قبل ذلك أيضاً أن لاسماعيل مخدوم رسالة كتبها حول أن هذا المصحف واحد من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ (انظر قائمة المصادر).

وقد قمنا نحن من جانبنا بعمل دراسة لهذا المصحف من أوله إلى آخره، واستطعنا التوصل في النهاية إلى النتائج التالية:

---

١ انظر: Muhammed Hamidullah, *İslâm'a Giriş*, s. 36-37.

٢ Dutton, "Some Notes on the British Library's 'Oldest Qur'an Manuscript' (Or. 2165)", p. 43-44, 65-66.

١ – أ) – إن المصحف المحفوظ اليوم في متحف الآثار العتيقة بمدينة طشقند كان محفوظاً قبل ذلك في المدرسة المعروفة باسم (آق مدرسه) المجاورة لجدار مسجد (خوجه أحرار السمرقندي) المقام في سمرقند باسم خوجه عبيد الله بن محمود بن شهاب الأحرار (ت ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م)[٣]. وبعد الاحتلال الروسي لسمرقند في سنة ١٢٨٥هـ(١٨٦٨م) جرى نقله إلى المكتبة العامة في بترسبورغ في ٢٤ أكتوبر ١٨٦٩م بموافقة السلطات الدينية في سمرقند آنذاك . وقام المستشرق الروسي أ. شبونين A. Shebunin بكتابة مقالة في سنة ١٨٩١م عَرّفَ فيها بالمصحف؛ وصرّح أنها سوف تنشر من قبل معهد الآثار القديمة (اركيولوجى) في بترسبورغ. ثم قام بعدها مستشرق روسي آخر هو پيساريف S. Pissaref في سنة ١٩٠٥م بتمرير القلم على المواضع غير الواضحة القراءة في النسخة الأصلية قبل طباعتها طبعة طبق الأصل، وسعى لإيجاد نسخة مقروءة منه . غير أنه وقع ـ وهو يفعل ذلك ـ في أخطاء عديدة دون قصد منه[٤].

وجاء فيما نقله اسماعيل مخدوم أنه جرى أولاً في سنة ١٨٩٥م نشر صحيفة من سورة الأعراف في ألفي نسخة، ووُزِّعَتْ على بلدان العالم الإسلامي . ثم أعقب ذلك طبع سورة ياسين في سنة ١٩٠٥م بتصحيح قام به إلياس ميرزا القرمي[٥]. وفي نفس السنة جرى عمل طبعة طبق الأصل في خمسين نسخة للمصحف بتمامه عقب الدراسة التي قام بها پيساريف وذكرناها قبل قليل، وبيع من هذا العدد ٢٥ نسخة مقابل خمسمائة روبلة لكل نسخة[٦].

وبعد الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧م اجتمع مجلس الشورى الإسلامي في أوفا (Ufa)، وتقرر من خلاله كتابة خطاب إلى الزعيم لينين طالبوا فيه بإعادة ذلك المصحف إلى المسلمين، وتحقق الطلب بتعليمات وأوامر الزعيم الروسي . وبعد أن بقي المصحف مدة في أوفا تم تسليمه بعد إصرار التركمان وأهل طشقند إلى الإدارة الدينية في مدينة طشقند سنة ١٩٢٤م . أما في سنة ١٩٢٦م فقد تم نقله إلى متحف الآثار العتيقة في المدينة نفسها .

ب)– يتضمن المصحف عدداً من الأخطاء التي يمكن اعتبارها من الوهلة الأولى سهواً من الكاتب . ولكن الواضح أن قسماً كبيراً من تلك الأخطاء وقع أثناء التدخل الذي قام به المستشرق پيساريف قبيل الطبعة العينية المطابقة (Faximile)، وفسدت الإملاء الأصلية مع ذلك التدخل . والجدير بالذكر أيضاً أن بعض الأخطاء كانت من سهو الكاتب، أي كانت موجودة من الأصل في المصحف . ونعتقد أن ذكر بعض الأخطاء التي نظن أنها من أصل مصحف طشقند وسَرْدِها هنا قد يكون مفيداً للقارئ ليعرف طبيعة ذلك المصحف :

– آية : « إن الله يرزق من يشا بغير حساب » في سورة آل عمران (٣ / ٣٧) لا تضم عبارة « إن الله » .

– آية : « هذا صرط مستقيم » في سورة آل عمران(٣ / ٥١) لا تضم ضمير الإشارة (هذا) .

– آية : « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » في سورة آل عمران (٣ /٧٨) تنقصها كتابة عبارة « وما هو من عند الله » .

٣ حول الروايات المتعلقة بتاريخ مصحف طشقند قبل مدرسة (آق مدرسه) انظر : اسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند، ص ٢٢ – ٤١ والمنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٠ – ٥٢، وانظر ايضاً:
.Mustafa Altundağ «İstanbul Topkapı Mushafı Hz. Osman'a mı aittir?», Marife, s. 68-70

٤ .A. Jeffery- I-Mendelsohn, «The Othography of The Samarqand Codex», p. 177

٥ بما ان سورة يس تنقصها من البداية ١١ آية كما سيظهر من تدقيق القائمة التالية، وتبدأ تلك السورة بقوله تعالى (إنا نحن نحي الموتى) في الآية الثانية عشرة فإن طباعة السورة لا بد أنها جرت بشكلها الناقص هذا.

٦ اسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند، ص ٢٤.

– آية: «وإن هم إلا يخرصون» في سورة الأنعام (٦/ ١١٦) كتبت بغير الضمير «هم».

وفي اعتقادنا أن نسبة الأخطاء في هذه الأمثلة إلى المستشرق پيساريف ليست صحيحة، فالواضح أن هذه النسخة لم تخضع لمراجعة دقيقة بعد كتابتها، ولم ينظر فيها أحد من علماء القراءات. وهذا أيضاً أمر طبيعي. أضف إلى ذلك أن هذا الوضع إنما يدلنا على أن هذا المصحف ليس واحداً من المصاحف التي دقق فيها الصحابة وحظيت برضاهم ثم جرى إرسالها من قبل سيدنا عثمان بن عفان ﷺ إلى الأمصار.

ج)– مقاس هذه النسخة: ٥٣x٦٨ سم، وتقع في ٣٥٣ ورقة، وتضم كل صحيفة ١٢ سطراً[٧].

د)– تنقص النسخة أوراق كثيرة في مواضع متعددة، إذ يبلغ عدد الأوراق الناقصة طبقاً لحساباتنا التقريبية ٤٢٠ ورقة. كما أن مجموعة السور التي تبدأ بالآية الحادية عشرة من سورة الزخرف حتى نهاية القرآن الكريم (حوالي ١٧٠ ورقة) ناقصة. وعلى ذلك يمكننا أن نتوقع أن تمام هذا المصحف إنما هو في ٩٥٠ ورقة تقريباً (٣٥٣+٤٢٠+١٧٠ = ٩٤٣). ولسوف يظهر بعد تفحص القائمة التالية أن هناك سورتين فقط تامتان هما الأنعام وطه، بينما لا توجد آية واحدة من ٨٩ سورة أغلبها من السور القصيرة وعلى رأسها الفاتحة. أي أنه لا يوجد إلا آيات من ٢٥ سورة فقط، ومن تلك السور ما يضم عدداً كبيراً من الآيات، وسور أخرى تضم عدداً قليلاً من الآيات. وبحساب آخر قمنا به على مصحف طشقند فإنه يضم ٢٫١٧٢ آية، أي أن القسم المفقود منه نحو ثلثيه. وهذه النسبة تساوي عدد الورق تقريباً. وكان المسئولون عند زيارتي لطشقند في أكتوبر ١٩٨٥م قد أخبروني أن المصحف قبل نقله إلى بترسبورغ عام ١٨٦٩م كان معروضاً لرؤية الزوّار في العهود التي كان موضوعاً فيها تحت رقابة وحماية الأجهزة الدينية الإسلامية، ويبدو أن بعض الزوّار كانوا يقدمون أثناء ذلك على انتزاع ورقة أو أكثر منه، فكانت النتيجة هو هذا الوضع الذي عليه المصحف[٨].

وما حكاه طه الولي في هذا الموضوع جد طريف: إذ يقول إن عبد الباري عيسايبيف مفتي مسلمي الجزء الأوربي وسيبيريا من الاتحاد السوفيتي كان قد دعاه ليطلعه على ورقة مصحف يحتفظون بها في الإدارة الدينية أثناء وجوده في أوفا. وهذه الورقة كانت محفوظة داخل علبة قيمة مكسوة من الخارج بكسوة خضراء، وكان يجري فتح تلك العلبة في المناسبات المهمة والليالي الدينية وعند زيارة إحدى الشخصيات البارزة للإدارة الدينية ليطلع الزائر على الورقة تبركاً بها. وكان المسلمون في أوفا يعتقدون أنه في حالة حرمان المدينة التي يعيشون فيها من شئ عظيم كهذا قد يُعَرِّضُ المدينة لنكبة كبيرة وضيق عظيم، فتم سراً انتزاع تلك الورقة من هذا المصحف المعروف بمصحف طشقند قبل نقله من أوفا إلى طشقند، وتقرر أن تحفظ تلك الورقة في الإدارة الدينية[٩].

وبعد كل هذا يمكننا القول: إنه لا يوجد هناك مصحف يُعرف باسم مصحف طشقند، بل إن الموجود هو عدد من الأوراق من مصحف طشقند.

---

٧ نفس المصدر والموضع. وهي النسخة الفوتوغرافية التي جئنا بها من طشقند في أكتوبر سنة ١٩٨٥، ثم أهديناها بعد ذلك إلى مكتبة السليمانية، وهي بالمقاس الذي عملناه لها ٤٥ X ٥٦٫٥ سم، ويوجد على الغلاف عبارة تقول:

هذا المصحف العثماني الكوفي نسخة فوتوغرافية عن الأصل المحفوظ في المتحف التاريخي في طشقند أخذت بإشراف الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقزاخستان ١٣٩٤ طشقند ١٩٧٤.

٨ المعلومات التي قدمها اسماعيل مخدوم أيضاً تؤيد هذا (انظر: المصدر السابق، ص ٢٤، ٢٩، ٣١).

٩ طه الولي، القرآن الكريم في بلاد الروسيا، مجلة المورد، ٩/ ٤، ص ٣٥.

وهاهي قائمة السور والآيات الموجودة من مصحف طشقند :

اسم السورة	رقمها والآيات الموجودة منها[١٠]
– الفاتحة	(١) لا يوجد (– سبع آيات)
– البقرة	(٢) ٥ – ١٧٧ ، ١٧٩–١٨٦ ، ٢١٣–٢١٧ ، ٢٣١ – ٢٣٣ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ – ٢٨٦ (– ٧٤ آية).
– آل عمران	(٣) ٣٦ – ٩٢ ، ٩٧–١٠٢ ، ١٠٥ – ١٤٨ ، ١٥٤ – ٢٠٠ (– ٤٦ آية).
– النساء	(٤) ١ – ٢٩ ، ٣٣–٤٣ ، ٧٢–٧٧ ، ٨١ – ٩٠ ، ٩٢ – ١٤٥ (– ٦٦ آية).
– المائدة	(٥) ٨٥ – ١٢٠ (– ٨٤ آية).
– الانعام	(٦) ١ – ١٦٥ (تامة).
– الاعراف	(٧) ١ – ١٠٦ (– ١٠٠ آية).
– الانفال	(٨) لا يوجد (– ٧٥ آية).
– التوبة	(٩) لا يوجد (– ١٢٩ آية).
– يونس	(١٠) لا يوجد (– ١٠٩ آيات).
– هود	(١١) ٤٧ – ١٢١ (– ٤٨ آية).
– يوسف	(١٢) ١٩ – ٢٣ (– ١٠٦ آيات).
– الرعد	(١٣) لايوجد (– ٤٣ آية).
– ابراهيم	(١٤) ٣٩ – ٤٤ (– ٤٦ آية).
– الحجر	(١٥) ٧ – ٨٦ (– ١٩ آية).
– النحل	(١٦) ٧ – ١٠١ ، ١١٤ – ١١٨ (– ٢٨ آية).
– الإسراء	(١٧) ١ – ٤٨ ، ٥٦ – ١١١ (– ٧ آيات).
– الكهف	(١٨) ١ – ٧٧ ، ٨٢ – ١٠٥ (– ٩ آيات).
– مريم	(١٩) ٣ – ٤٤ ، ٥٢ – ٩٨ (– ٩ آيات).
– طه	(٢٠) ١ – ١٥٣ (تامة).
– الأنبياء	(٢١) لا يوجد (– ١١٢ آية).
– الحج	(٢٢) لا يوجد (– ٧٨ آية).
– المؤمنون	(٢٣) لا يوجد (– ١١٨ آية).
– النور	(٢٤) لا يوجد (– ٦٤ آية).
– الفرقان	(٢٥) لا يوجد (– ٧٧ آية).
– الشعراء	(٢٦) ٦٣ – ١١٧ ، ١٣٠ – ١٤٢ ، ١٥٥ – ٢٠١ (– ١١٢ آية).
– النمل	(٢٧) ١ – ٢٢ ، ٢٨ – ٣٤ ، ٤٤ – ٨٠ (– ٢٧ آية).
– القصاص	(٢٨) لا يوجد (– ٨٨ آية).
– العنكبوت	(٢٩) لا يوجد (– ٦٩ آية).
– الروم	(٣٠) لا يوجد (– ٦٠ آية).
– لقمان	(٣١) لا يوجد (– ٣٤ آية).
– السجدة	(٣٢) لا يوجد (– ٣٠ آية).
– الاحزاب	(٣٣) لا يوجد (– ٧٣ آية).
– سبا	(٣٤) لا يوجد (– ٥٤ آية).
– فاطر	(٣٥) لا يوجد (– ٤٥ آية).
– يس	(٣٦) ١٢ – ٨٣ (– ١١ آية).
– الصافات	(٣٧) ١ – ٧٥ ، ٩١ – ١٨٢ (– ١٥ آية).
– ص	(٣٨) ١ – ٢٩ (– ٥٩ آية).
– الزمر	(٣٩) ٦ – ٨ (– ٧٢ آية).

١٠ الارقام المذكورة بإشارة ناقص بين قوسين ( ) تدل على عدد الآيات الناقصة . وعلى هذا يمكننا القول مثلاً إن سورة البقرة تنقصها ٧٤ آية وسورة آل عمران تنقصها ٤٦ آية .

– غافر	(٤٠) ٤ – ٧، ٥١ – ٥٧، ٦٧ – ٨٣ (– ٥٧ آية).
– فصلت	(٤١) ٥ – ٣٩ (– ١٩ آية).
– الشورى	(٤٢) ٢١ – ٥٣ (– ٢٠ آية).
– الزخرف	(٤٣) ١ – ١١ (– ٧٨ آية).
– الدخان – الناس	(٤٤ – ١١٤) لا يوجد (– ١٧٩٥ آية).

ولا يفوتنا أيضاً ونحن ننظر في هذه القائمة أن نذكر أن هناك نقصاً في كثير من الآيات المذكورة في بداية الترقيم وفي نهايته ضمن الآيات التي قلنا إنها موجودة في السور، وعلى سبيل المثال فقد ذُكر أن الموجود من سورة البقرة هو الآيات (٥ – ١٧٧)، ومع ذلك فإن صدر الآية الخامسة أو ربما القسم الأكبر منها قد يكون ناقصاً، وكذلك الآية (١٧٧) ينقصها جزء مهم.

هـ) النسخة مكتوبة على الرق بالخط الكوفي، وليس عليها علامات التشكيل، ومع ذلك يبدو أن هناك نقاطاً وضعت وإن كانت بصورة قليلة جداً على بعض الأحرف للتفريق بين المتشابه منها[١١].

و) الكلمات التي جاءت في أواخر السطور جرى تقطيعها في كثير من المواضع، فرأينا حرفاً منها أو أكثر في أوائل السطور التالية. وعلى سبيل المثال فإن كلمة (عذاب) في سورة الأعراف (٧/ ٦٤) وقع مجيئها في نهاية السطر فضاق بها المكان، ولم يُكتب منها في ذلك السطر إلا (عذا)، بينما كتب حرف الباء في أول السطر التالي[١٢]. كما يحدث أحياناً أن يُكتب الحرف الأول فقط من الكلمة في نهاية السطر، بينما تأتي بقية الأحرف في أول السطر التالي. ويمكننا أن نشهد العديد من تلك الأمثلة في كل صحيفة تقريباً. ويبدو أن مصاحف سيدنا عثمان بن عفان ﷺ كانت تحتوي هي الأخرى أمثلة من هذا القبيل. والشاهد على ذلك أن أبي عبيد قاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) قال إنه شهد المصحف الإمام الذي كان يستخدمه سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وذكر أن كلمة (لات) في قوله تعالى «ولات حين مناص» في الآية الثالثة من سورة صاد كتبت على سطرين فجاءت (لا) في نهاية سطر و (ت) في بداية السطر التالي، بل وكتبت متصلة بلفظ (حين)[١٣].

---

١١ لبعض الأمثلة التي وجدناها فوق حرف النون فقط في بعض الأوراق انظر: القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان، ص ١٤٢، سطر ٣، ١٥؛ ٢٥٣، سطر ٢٤؛ ٣٩٤، سطر ٥، ١٣.

١٢ انظر نفس المصدر ص ٣٤١، سطر ١.

١٣ يقول العالم القازاني شهاب الدين المرجاني (ت ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) إنه قام بتدقيق هذا المصحف عندما كان في طشقند، وبناء على قرائن تحقق منها استطاع التوصل إلى أنه ليس المصحف الإمام الذي كان لسيدنا عثمان. ويبدو مما ذكره المرجاني أن أبا عبيد قاسم بن سلام رأى المصحف الإمام، وذكر أن حرفي اللام والألف (لا) في الآية الثالثة من سورة صاد (٣٨ / ٣) (ولات حين مناص) قد جاءت في نهاية السطر، وأن التاء المكملة لها قد اشتبكت مع كلمة (حين) في بداية السطر التالي (تحين). هذا في حين أن الأمر في مصحف طشقند ليس على هذا النحو، فلا اللام الف (لا) في نهاية السطر، ولا حرف التاء مشتبك مع لفظ (حين) في بداية السطر. وفي هذه الحالة فإن هذا المصحف لا يمكن أن يكون المصحف الإمام الخاص بسيدنا عثمان (انظر: الفوائد المهمة، ص ٢١ – ٢٢ والداني، المقنع ص ٧٦ واسماعيل مخدوم، تاريخ المصحف العثماني في طشقند، ص ٣٤). ويجدر بنا القول إن هذه النتيجة من المرجاني ليست صحيحة؛ إذ نشهد في النسخة المطبوعة التي نشرها محمد حميد الله وفي النسخة المصورة التي حملناها من طشقند هديةً إلى مكتبة السليمانية على السواء أن حرف اللام الف (لا) جاء حقاً في نهاية السطر كما ذكر ابو عبيد، اما حرف التاء وكلمة (حين) فقد جاءا على شكل (ت حين) في بداية السطر التالي، ولكن دون ان يتم شبكهما (انظر: القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه عكوس نسخة سمرقند، ص ٦٦٦). ونفهم من كلام الداني ان حرف التاء لم يكتب من الاصل متصلاً بلفظ (حين) في المصاحف الرئيسية. وإزاء هذا الزعم من المرجاني فقد يرد على الخاطر ان المستشرق الروسي بيساريف ربما يكون قد أفسد الوضع الأصلي لتلك الآية عندما قام بتمرير قلم الحبر على المواضع غير المقروءة في النسخة قبل قيامه بطبعها صورة طبق الاصل عام ١٩٠٥م؛ فلعله مثلاً نقل اللام الف (لا) الموجودة في أول السطر إلى آخر السطر السابق، وقام ايضاً بفصل حرف التاء المشبك في الاصل مع لفظ (حين). لكننا نعود ونذكر ان المرجاني قام بتدقيق هذا المصحف قبل نقله إلى بترسبورغ، وتوفي قبل سنوات عدة من قيام بيساريف بهذا العمل.

ز) كان المستشرق الروسي أ. شبونين هو أول من درس مصحف طشقند ونشر دراساته عنه، ويرى أن هذه النسخة ليست من مصاحف سيدنا عثمانﷺ؛ ولعلها كتبتْ في أواخر القرن الهجري الأول أو في أوائل القرن الثاني. أما الكاتبان أ. جيفري وإي مندلسون فقد نقلا عن شبونين رأيه هذا، ثم ذهبا إلى أن النسخة قد تكون كتبت في أوائل القرن الهجري الثالث في الكوفة، وذلك لما تحويه من بعض الخصائص الإملائية[١٤].

٢- إن النسخة التي نحن بصددها ونسعى لشرح تفاصيلها بعد قليل ليست من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ، ومع ذلك فقد يكون من المفيد في اعتقادنا أن نبحث عن إجابة لسؤال حول أي من تلك المصاحف جرى استنساخها، أو أي من المصاحف المستنسخة من تلك المصاحف جرى استنساخها. فعلى الرغم من أنه يكون من الطبيعي وجود فوارق إملائية عديدة بين نسخ المصاحف إلاّ أنه يصعب قول ذلك عن الفروق المتعلقة ببنية الكلمة وتلفظها، وعدد هذه الفروق محدود كما سبق وذكرنا في مواضع سابقة، إذ تزيد قليلاً عن الأربعين. وبالنظر إلى تلك الفروق بين مصاحف سيدنا عثمانﷺ يمكننا أن نذكر بعض الأمور التقريبية حول نسب مصحف طشقند. إذ يمكننا - من خلال الدراسة التي قمنا بها حول الفروق الموجودة بين مصاحف سيدنا عثمانﷺ سواء أكان من ناحية بنية الكلمة أم كان من ناحية زيادة الأحرف أو الكلمات أو نقصهما - القول إن مصحف طشقند يقرب من النسخة التي أرسلها عثمان إلى الكوفة، وقد يكون مستنسخاً منها أو من نسخة مستنسخة منها. ورغم أن هذا المصحف ليس تاماً فإنه يمكن العثور في الأوراق الموجودة منه اليوم في أيدينا على ستة عشر موضعاً من ٤٤ موضعاً التي قمنا بتدقيقها من ناحية الفروق المشار إليها. وعدا واحد من تلك المواضع الستة عشر فإن مصحف طشقند يتطابق تماماً مع مصحف الكوفة في الخمسة عشر موضعاً المختلفة[١٥].

٣- هناك من ادعى أن مصحف طشقند واحد من مصاحف سيدنا عثمانﷺ، بل إنه المصحف الذي كان يتلو فيه القرآن عندما استشهد. وكان اسماعيل مخدوم نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقزاخستان قد كتب رسالة في هذا الموضوع سماها «تاريخ المصحف العثماني في طشقند» (انظر قائمة المصادر)، كما قام محمد حميد الله بنشر ذلك المصحف مع مقدمة قصيرة بالانجليزية وتحت عنوان «القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه». وذهب بعض العلماء مذهباً معاكساً ومنهم شهاب الدين المرجاني (ت ١٨٨٩م) وموسى جار الله (ت ١٩٥٢م)، ومع ذلك فإن الحجج التي ساقوها في مواجهة الأحكام المسبقة التي استقرت في أذهان المسلمين وسيطرت على عواطفهم بأن تلك النسخة هي نسخة سيدنا عثمان بن عفانﷺ لم تكن كافية لتغيير شئ من ذلك، فكانت تلك هي القناعة العامة، واستمر الناس في القول بأن النسخة هي نسخة سيدنا عثمان ﷺ. ونأمل مع تناولنا للموضوع هنا والتعرض لخصائصه الإملائية والأمثلة التي سنعرضها أن تؤدي إلى تصحيح الخطأ، وذلك على النحو التالي، ففي مصحف طشقند نرى:

---

١٤ A. Jeffery- I-Mendelsohn, «The Othography of The Samarqand Codex», p. 95.
وانظر أيضاً: طه الولي، القرآن الكريم في بلاد الروسيا، مجلة المورد ٩ / ٤، ص ٢٩.

١٥ هذا الموضع المختلف موجود في الآية الثالثة من سورة الأعراف، والكلمة التي هي مكتوبة على شكل (تذكرون) في مصحف الكوفة وفي المصاحف الأخرى عدا مصحف الشام على حد سواء قد وردت في مصحف طشقند على شكل (يتذكرون) (انظر: الداني، المقنع، ص ١٠٣ وابن الجزري، النشر، ص ٢ / ٢٦٧)، واتفق هنا مع مصحف الشام. وفي مقابل خلافه في هذا الموضع فقط مع مصحف الكوفة فإن مصحف طشقند يختلف بأوراقه الموجودة مع مصحف المدينة في تسعة مواضع، ومع مصحف مكة في سبعة مواضع، ومع مصحف البصرة في ثلاثة مواضع، ومع مصحف الشام في اربعة عشر موضعاً، وذلك كما سيظهر من الجدول الملحق بنهاية هذه الدراسة.

أ) أن حرف الجر (على) قد كتب بالياء بشكل عام، وإن كان يرد أحياناً بالألف وعلى شكل (علا)[١٦]. وهذه الحالة تدلنا على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي موحد، وثبت لنا أنه ليس من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ. فقد كُتب حرف الجر هذا في تلك المصاحف بالياء دائماً[١٧].

ب) كلمة (شئ) تأتي في الغالب بهذا الشكل، لكنها جاءت في السور والآيات الموجودة في أيدينا اليوم من ذلك المصحف على شكل (شاى) في أحد عشر موضعاً[١٨]. وهذا المثال يدل هو الآخر على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي موحد، وأنه ليس من مصاحف سيدنا عثمان ﷺ. فقد كُتبتْ هذه الكلمة في الرسم العثماني في موضع واحد فقط بالألف (سورة الكهف ١٨ / ٢٣)، بينما كُتبَت بغير الألف في المواضع الأخرى[١٩].

ج) كُتب لفظ (حتى) في مصاحف عثمان على هذا الشكل بالياء[٢٠]، أما في هذا المصحف فقد ورد بالألف في عدة مواضع على شكل (حتا)[٢١].

د) يبدو أن المصحف ــ وكما سلف عند الحديث عن أخطاء الكاتب ــ لم يخضع لمراجعة دقيقة عقب كتابته، ولم يستخدمه أحد من علماء القراءات. فالمعروف أن تلاوة أئمة القراءات المشهورين كانت تعتمد بالدرجة الأولى على واحد من مصاحف عثمان. كما لا يمكننا القول عند النظر إلى الأمثلة الواردة على الأخطاء المشار إليها إن أياً من الشيوخ القُرّاء قد اعتمد على إملائه.

هـ) النظام الإملائي الموحد معدوم تقريباً، ويبدو أن كاتبه لم يمارس الكتابة من قبل. فالكلمة قد ترد في آية بشكل، ثم ترد في آية تالية بشكل آخر، والأمثلة على ذلك عديدة. والألفاظ التي ذكرناها سالفاً (على ــ علا، شئ ــ شاى، حتى ــ حتا) تصادفنا كثيراً بشكلين مختلفين، وهناك كلمات مشابهة تعرضتْ لنفس التغيير.

و) لقد وضعت إشارات التوقيف في نهاية الآيات وإشارات التعشير عند نهاية كل عشر آيات، أما فواصل السور فقد جاءت في أشكال مستطيلة بطول سطر تام أو نصف سطر. ويبدو من الفراغات المخصصة لهذه الإشارات والأشكال أنها لم توضع بعد عملية الكتابة وإنما وضعت أثناءها. وتدلنا المعلومات الموجودة في كافة المصادر المعنية بهذا الموضوع أن مصاحف عثمان لم تكن تحتوي على شئ من تلك الإشارات.

والخلاصة أن مصحف طشقند ليس هو المصحف الإمام الذي كان الخليفة عثمان بن عفان يتلو فيه القرآن عندما استشهد، كما أنه ليس واحداً من المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار (مكة والكوفة والبصرة والشام ومن المحتمل البحرين واليمن)، ولا هو المصحف الذي تركه في المدينة المنورة لكي يستخدمه أهلها.

---

١٦ انظر: على سبيل المثال: سورة آل عمران ٢ / ١٦٠، ١٧٩ وسورة النساء ٤ / ١٧، ٨٥ وسورة الكهف ١٨ / ١٥.

١٧ انظر: مهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص ٨٩ والداني، المقنع، ص ٦٥ وأبو داود، مختصر التبيين، ٢ / ٧٥ وابن وثيق، الجامع، ٥٧ – ٥٨.

١٨ تلك المواضع هي: سورة النساء ٤ / ٤، وسورة الأنعام ٦ / ٣٨، ٩١، ٩٣ وسورة هود ١١ / ٥٧، ١٠١ وسورة الحجر ١٥ / ٢١ وسورة النحل ١٦ / ٣٥، ٨٩ وسورة الكهف ١٨ / ٢٣ وسورة طه ٢٠ / ٥٠.

١٩ انظر: مهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص ٩٧ والداني، المقنع، ص ٤٢ وابن وثيق، الجامع، ص ٥٤.

٢٠ انظر: الداني، المقنع، ص ٦٥ وأبو داود، مختصر التبيين، ٢ / ٧٧ وابن وثيق، الجامع، ص ٥٨.

٢١ تلك المواضع هي: سورة النساء ٤ / ١٥، ١٨ وسورة الأعراف ٧ / ٣٨، ٤٠ وسورة الإسراء ١٧ / ٣٤ وسورة الكهف ١٨ / ٦٠، ٧٠، ٩٣، ٩٦ وسورة الشعراء ٢٦ / ٢٠١ وسورة النمل ٢٧ / ١٨، ٣٢ وسورة يس ٣٦ / ٣٩ وسورة فصلت ٤١ / ٢٠.

ثانياً: مصحف طوپ قاپي

إن ما نعلمه عن مصحف طوپقاپي يقل كثيراً عما نعلمه عن مصحف طشقند. فهناك عدد من الكتّاب كتبوا كتباً ومقالات حول هذا المصحف، وناقشوا مسألة هل هو واحد من مصاحف عثمان أم لا، وذكروا روايات مختلفة أثناء ذلك حول التاريخ الذي أتى فيه إلى طشقند ومن أين أتى، وقام عالمان بنشره (هم: س. پيساريف ومحمد حميد الله) على الرغم من ضياع ثلثي أوراقه. والخلاصة أن مصحف طشقند لم يزل موضوعاً لبحث العلماء منذ مدة تقرب من مائة وخمسين عاماً. أما مصحف طوپقاپي فإن المعلومات التي قدمها كل من تعرض له في كتاب أو مقالة لا تتعدى عدة سطور، وباستثناء مقالة كتبت في الماضي القريب جداً[٢٢] لم يخرج علينا رأي جاد يعتمد على دراسة تتحرى المزاعم القائلة بأنه مصحف عثمان الخاص أو أحد المصاحف التي استكتبها.

وقد جرّبنا العمل في البداية على النسخة المصورة (فوتوكوبي) التي أعددناها عن ميكروفيلم محفوظ في مكتبة السليمانية لهذا المصحف الذي طالما عُنينا به منذ زمن. لأن النسخة نفسها قد تأثرت من الظروف المناخية والجوية المختلفة على مدى القرون، وأصابها الكثير من الضرر، حتى تعثرت قراءة العديد من صفحاتها، بل إن هناك مواضع لا يمكن قراءتها قط في بعض الصفحات. وهذه الحالة تبرهن على ضرورة الحاجة إلى تقنيات تصوير متقدمة، فإذا حدث وتحقق ذلك فإنه يمكن عندئذٍ طباعة نسخة طبق الأصل من المصحف.

وقد بدأ العمل بموجب بروتوكول وقّعنا عليه في ١١/٣/٢٠٠٢ مع السيدة/ فيليز چاغمان مديرة متحف طوپقاپي سراي. وفي إطار الموافقة الخاصة التي مَنَحَنا إياها وزير الثقافة في ذلك الوقت السيد/ استميخان طالاي، فقد جرى أولاً تصوير النسخة بكاميرا رقمية، ثم قمنا بعدها بنقل النسخة إلى الكمبيوتر بإملائها الأصلية، وفي الكلمات والآيات التي تعثرت قراءتها رغم التكبير والإضاءة للصفحات وما قدمته لنا الإمكانيات التقنية الحديثة، فقد تم وضع نقطة بدل كل حرف في تلك الكلمات والآيات.

وظهر لنا في نهاية العمل الذي قمنا به على النسخة أن:

١/أ) هناك قبل الورقة الأولى من المصحف مقالة بالعثمانية للتعريف به. وتدلنا المعلومات الواردة في تلك المقالة المكتوبة في ٢٠ جمادى الأولى ١٢٢٦هـ (١٢ يونيه ١٨١١م) أن المصحف:

– قد تمتْ كتابته على يدي سيدنا عثمان نفسه.

– كان محفوظاً في القاهرة منذ زمن طويل.

– قام محمد علي باشا والي مصر بإرساله هديةً إلى السلطان محمود الثاني (ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) في عام ١٢٢٦هـ (١٨١١م)، واستقر الرأي على حفظه في دائرة البردة الشريفة بردة النبي محمدﷺ داخل سراي طوپقاپي.

ولا تحتوي مقالة التعريف المشار إليها معلوماتٍ حول التاريخ الذي جاء فيه المصحف إلى القاهرة، ومن أي

---

٢٢ كاتب المقالة المستثناة هنا هو الدكتور مصطفى آلتين داغ عضو هيئة التدريس في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة باستانبول. وكنا ونحن نحاول الوصول إلى نص أكثر وضوحاً بآلة التصوير الرقمية، ونسعى لقراءة المصحف بكامله ونقله إلى الكمبيوتر خلال مسيرة عمل بطيئة نتيجة للمسئوليات المتعددة التي توليناها اعتباراً من نفس تلك الأيام بوجه خاص كان هذا الباحث الشاب قد قام بدراسة سريعة على النسخة المصورة (فوتوكوبي) التي تركناها أمانةً لدى مكتبة مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، واستطاع بالمقالة التي حررها أن يضع أول بحث جاد في هذا الموضوع (انظر: قائمة المصادر).

مكان وَصْلِها. وعلى الرغم من عدم وجود مانع يمنعنا من القبول بصدق المعلومة القائلة بأن محمد علي باشا هو الذي أرسله إلى استانبول فإننا لا نقبل بأنه النسخة التي كتبها سيدنا عثمان بن عفان. وبصرف النظر عن مسألة الصحة في المعلومات الواردة في المصادر حول أن عثمان بن عفان لم يكتب أياً من المصاحف فإن هذه النسخة ـ وكما سيظهر فيما بعد ـ ليست المصحف الإمام الخاص بعثمان بن عفان، كما أنها ليست أيضاً واحداً من المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار المختلفة.

وكان المصحف كما ذكرنا محفوظاً في دائرة البردة الشريفة داخل سراي طوبقابي، ويُعرض في شهر رمضان من كل عام لمشاهدة الزوّار حتى تم إرساله إلى مكتبة السليمانية في ١٩ / ٤ / ١٩٨٤ كي يجري ترميمه هناك، فلما انتهت أعمال الترميم والإصلاح أُعيد إلى إدارة متحف سراي طوبقابي في ٩ / ١١ / ١٩٨٧م، ولا يزال محفوظاً هناك حتى الوقت الراهن (تحت رقم ٤٤ / ٣٢).

ولما قرأنا في المضبطة الخاصة بترميم وإصلاح المصحف أنه استغرق ثلاثة أعوام وخمسة أشهر وعشرين يوماً تبادر إلى الذهن سؤال عن طول المدة التي استغرقها ذلك العمل، ثم تبين بعد قراءة التقرير الذي أعده المسئولون في هذا الموضوع أن الاهتمام الذي حظي به المصحف والجهد الذي بُذل فيه يفوقان كل تقدير. وقد رأينا من الفائدة للقراء أن ندرج هنا هذه المضبطة وذلك التقرير لما لهما من قيمة وأهمية تاريخية بدلاً من بقائهما بين الأضابير حتى يطلعوا عليهما آخذين في الاعتبار أيضاً أهميتهما في التعريف بنسخة المصحف. وها هما المضبطة والتقرير:

• مضبطة

إن المصحف الذي جرى تسلمه لأجل الترميم في تاريخ ١٩ / ٤ / ٨٤ والمقيد في قوائم الرصيد في متحف سراي طويقابي برقم ٤٤ / ٣٢ والمجلد بجلد غزال والمنسوب لعثمان بن عفان وأضيفت إلى نهايته ثلاث أوراق من مقامات مختلفة فيها آيات من القرآن الكريم قد تم ترميمه وإصلاحه في قسم التجليد والباثولوجيا في مكتبة السليمانية. والأوراق الثلاث المضافة إلى نهايته وهي ليست منه قد تم إخراجها وترميمها ولم تُربط بالمجلد حتى تحفظ منفصلة عنه. أما الآيات التي ورد في المضبطة المؤرخة في ١٩ / ٤ / ١٩٨٤م أنها ناقصة فقد تم استبدالها بأوراق فارغة. وقيل في قائمة الرصيد أن المصحف يقع في ٤١٠ ورقات، ولكن تبين بعد الترقيم الصحيح أنه يقع في ٤٠٨ ورقات، كذلك فإن الأوراق التي جرى تجليدها بالخطأ قد وضعت في ترتيبها، واعيد ترقيمها من جديد، ثم نُسجتْ بعد ذلك حبكة كعبه. وقد تم تسليم المصحف بعد تجليده إلى العاملين في إدارة متحف سراي طويقابي، وتم من جانبنا تنظيم هذه المضبطة والتوقيع عليها، في ٩ / ١٠ / ١٩٨٧م.

تسلم	تسليم
فيليز چاغمان مديرة مكتبة متحف طويقابي سرايي (توقيع)	**إسلام سجن** امين مكتبة ـ خبير اول (توقيع)
كامل آي يلديز مسئول الرصيد في متحف طويقابي سرايي (توقيع)	**سعادت غازي** مهندسة كيماوية ـ مسئولة قسم الجلد والباثولوجيا (توقيع)

• تقرير

كان قد تم تسلم المصحف الشريف رقم ٤٤/٣٢ في قائمة رصيد متحف سراي طوبقابي بتاريخ ١٩/٤/١٩٨٤م للقيام بعملية ترميمه وإصلاحه. وبعد الفحص الذي قامت به لجنة متخصصة والمقارنة مع نسخ أخرى من المصاحف تم عمل التصليحات اللازمة (المضبطة المرفقة). وكانت الحالة التي وُجِدَ عليها المصحفُ قبل عملية الترميم والإصلاح على النحو التالي: ١) وجود نقص كبير في الأجزاء الموجودة في بداية المصحف ونهايته؛ ولوحظ ان تلك الأجزاء جرى ترميمها بالورق بشكل يضر ببعض المواضع. ٢) - يلاحظ ان الصفحتين الاولى والاخيرة من المصحف قد تم لصقهما على جلد غليظ جداً وليس مصنعاً. ولأن هذه العملية جرت دون التفكير في اتجاه الأنسجة والألياف فقد ادت مع الرطوبة ومرور الوقت إلى حدوث تجاعيد وانثناءات. ٣) - أضيف إلى المصحف من كافة حواشيه وجوانبه تقريباً قطع من الورق؛ ولأن اتجاهها ليس مع اتجاه ورق المصحف فقد حدث مع الوقت نوع من التَّجَعُّد volant. ٤) - نتيجة لفتح الصفحات بغرض القراءة (مواضع لمس الأصابع) او الغبار المتراكم على الصفحات المفتوحة لمدة طويلة بقصد العرض فقد امتزج الغبار مع الرطوبة في الجو وشكل طبقة فوق الورق. ٥)- مع فتح صفحات المصحف وغلقها دون عناية تكونت تجاعيد في بعض الصفحات؛ والتوى بعضها. ٦)- نتيجة للفحص الذي جرى للحبر ظهر أن القسم الأكبر منه حمضياً وازدادت بسبب هذه المادة قتامة اللون على الخط ووقعت التشققات والتجاعيد والخروم، وهذه الأجزاء تم ترقيعها بقطع من الورق من مقاسات مختلفة؛ ولكن الزوائد الساقطة من هنا أدت إلى تراكمات سوداء في الأجزاء القريبة من كعب الكتاب وشكلت طبقة غير نظيفة. ٧)- كان الحبر سيالاً في بعض الصفحات وفي النقاط الحمراء ويمكن ذوبانه في الماء. ٨)- الغلاف جلد من اللون الأحمر (بوردو) وفي وسطه شمسة بزخارف ذهبية، ولسان دفة الغلاف اليسرى منزوع بجزئيه؛ والكل مغلف بقماش حريري أخضر.

وبعد إثبات الحالة التي كان عليها المصحف قبل الترميم تم الانتقال إلى عمليات الإصلاح والترميم المزمع تنفيذها فجرى: ١)- التحقق اولاً من أنواع الورق والنشاء المستخدمة في الرقع القديمة على الصفحات، وتم البحث في كيفية نزعها دون الإضرار بالمصحف. ولم تكن هناك إمكانية لاستخدام المياه نظراً لأن الكتاب من الرق. وعلى ذلك وبواسطة النشاء الذي نستخدمه في الترميم وعُملت قبل ذلك فحوص كيمائية وبيولوجية عنه وثبت عدم وجود اضرار جانبية له تم الإنتقال إلى عملية نزع الرقع واحدة واحدة وفضلات النشاء القديمة اللاصقة تحتها. وقد استغرقت تلك العملية في بعض الصفحات مدة تقرب من خمسة عشر يوما. ٢)- وبعد إزالة ما علق بتلك الصفحات من الورق وفضلات النشاء وضعت تحت العناية، إذ تم تنظيف ما عليها من أوساخ وبقع وتراكمات بالقرب من كعب الكتاب وحواشيه وتمت إزالتها بالنشاء والسكين واحدة بعد أخرى. ٣)- وبعد كل ذلك تمت عملية التنقية من الميكروبات. أما الاجزاء المجعدة المتكسرة في الورق فقد تم استخدام الكحول الاثيلي لها وجرت تسويتها بواسطة ألواح الرخام، حتى تحولت إلى النظافة والاستواء. ٤)- بعد انتهاء عملية التنظيف والصيانة تم نقل الاوراق إلى قسم الترميم، وكانت البداية ان القطع المقطوعة والمنزوعة هنا وهناك من الاجزاء التي زالت تماماً مواضع الكتابة فيها بسبب الحبر الحمضي قد جرى لصقها بورق ياباني بنفس اللون والسمك ومن مادة السليولوز مائة في المائة، ثم وضع النشاء عليها بحيث لا يختلط بالأطراف، ورتقت بطبقة ثانية من الورق الياباني. والمواضع التي وضع عليها النشاء من تلك الصفحات المجففة في المكبس قد تم تنظيف الزوائد على أطرافها واغلقت الفراغات كلها. ويتميز الورق الياباني بأنه شديد التحمل ويكون انطباقه مع الكتاب أمراً يسيراً بسبب طول الألياف فيه. ٥)- وتم الانتقال بعد ذلك إلى عملية إصلاح الجلد بالجلد. فكانت البداية أن أخذت ملزمة سليمة بمقاسات اصلية وجرى قياسها على ورق مقوى من الخارج إلى الداخل، ثم جرى ترقيمها. وبالترتيب تم التحقق من بُعد المسافة بين بدايات ونهايات الكتابة وبين الحواشي والكعب. وعلى هذا النحو تحقق وضع الأجزاء الناقصة حتى أصبحت كتابات الصحيفتين المتقابلتين متحاذيتين وصارت الأجزاء الفارغة من الأطراف أيضاً متساوية. أما قطع الجلد الجديدة التي جرى قبل ذلك تحديد وجهها وظهرها واتجاهها فقد تم وضعها تحت الصفحات الأصلية وتم تحديد الأجزاء الناقصة وتعيينها بالقلم الرصاص. وجرى ترقيق الحواف ولصق البوزيتيف والنيجاتيف فوق بعضها بعضاً بطريقة الترقيع. ٦)- وعلى هذا النحو تم وضع الصفحات في ملازم بعد اكتمالها. واخيراً تم عمل عجينة من الورق والنشاء لسد الثقوب الصغيرة الموجودة في الصفحات. ٧)- وبعد تحويل المصحف إلى ملازم جرت عملية الخياطة بخيط يتناسب وثقل وزن المصحف ثم نسجت حبكة ذيل الكعب، وتم تغليظ الغلاف الأصلي بحيث يمكنه حمل هذا الثقل، وإصلاح الجلد باستخدام قطع من نفس اللون والسمك، وأصلح لسان دفة الغلاف الايسر حتى اكتمل التجليد.

المواد المستخدمة: ٢٠ جلد غزال، ٢٥٠ فرخ ورق ياباني من نوع ٣٨J، و ٥٠ فرخ ورق ياباني برقم ٢٥٥٠٢، و ٤ علب من مادة غلوتولين كلوستر (سيلولوز متيل)، و ٥ لترات كحول أثيلي».

القائمون على الترميم والإصلاح:

المهندسة الكيمياوية	البائولوج	البائولوج
سعادت غازي (توقيع)	**بيلگي گونگور** (توقيع)	**گولخان دانقي** (توقيع)

الخياطة ونسج الحبكة والتجليد: خبير أول قسم التجليد / **إسلام سچن (توقيع)**

ب) – هناك في المصحف بعض الأخطاء التي يمكن اعتبارها سهواً من الكاتب .

– وهناك كلمة (كلوا) في سورة البقرة (٢ / ٥٧)، فقد جاءت في نهاية الورقة (5a)، ومع ذلك تكرر ورودها في أول الورقة التالية (5b) كأول كلمة فيها .

– كلمة (إذا) في سورة الأنعام (٦ / ١٥٢) جاءت على شكل (إذ) .

– كلمة (ولا) في سورة الأعراف (٧ / ١٩٢) جاءت على شكل (وولا) .

– قوله (إني أخاف) في سورة الأنفال (٨ / ٤٨) جاء على شكل (إني أأخاف) بألف زائدة .

– وكلمة (صديد) في سورة ابراهيم (١٤ / ١٦) وردت على شكل (صدد) .

– في قوله (أولا الألبب) في سورة الزمر (٣٩ / ١٨) سقطت اللام ألف الثانية .

– في سورة فصلت (٤١ / ١٩) نسي حرف الألف في نهاية كلمة (اعدا) .

– وقوله (ياولى) في سورة الحشر (٥٩ / ٢، ١٣) جاء على شكل (يالاولى)، وقوله (لأنتم) جاء على شكل (لا أنتم) .

ج) – المصحف بمقاس ٤٦X٤١ (٤٠X٣٢) سم، وسمكه ١١ سم، ويقع في ٤٠٨ ورقات، وبشكل عام تضم كل صحيفة ١٨ سطراً، إلا الأوراق الأولى التي تبين أنها كتبت في وقت لاحق يتفاوت عدد سطورها بين ١٦ – ١٩ سطراً (انظر الأوراق: 1b, 2 ab, 4 ab, 6b, 11b)، وعندما نصل إلى قصار السور نرى أعداد السطور تتراوح بين ١٣ – ١٧ سطراً. ولكن بسبب الأشكال المستطيلة التي تفصل السور بعضها عن بعض فإن عدد الأسطر في هذه الصفحات أيضاً يبلغ ١٧ سطراً بوجه عام (انظر على سبيل المثال : 128a, 137a, 146b, 159b) . ولكن السورتين اللتين صادف وجودهما في الورقتين المذكورتين اللتين استكملتا في وقت لاحق لهما استثناء من ذلك؛ إذ يبدو – بالقدر الذي يمكن قراءته منهما – أن أول سورة الفاتحة تتصدره عبارة أن السورة مكية، وفي السورة الثانية عبارة عدد الآيات وأن السورة مدنية، وذلك مكتوب بالمداد الأحمر. وكما جاء في المضبطة والتقرير السابقين فإن النسخة تنقصها ورقتان، إحداهما تضم الآيات ٣ – ٨ من سورة المائدة (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم... كونوا قوّامين)، وتضم الثانية الآيات ١٧ – ٣٣ من سورة الإسراء (خبيراً بصيراً... تقتلوا النفس التي حرم الله). ولعل هذا النقص ناجم عن الأعمال التي جرت أثناء عمليات الصيانة والترميم والإصلاح المختلفة وتجديد التجليد على مدى الأيام[٢٣]. والواضح مما توصلنا إليه أن مصحف طوپقاپي يمكن اعتباره نسخة تامة قياساً على بعض المصاحف التي تنقصها أوراق عديدة. ولكن يجدر بنا الإشارة إلى أن آخر عملية للصيانة والترميم قد جرت قبل ١٨ سنة، ومع ذلك فإن هناك أوراقاً عديدة تصعب قراءتها أو تستحيل تماماً بسبب الظروف المناخية وغيرها من العوامل التي تعرض لها المصحف على مدى العصور، فقد رأينا مواضع

٢٣ يقول فهمي قراطاي إن المصحف يقع في ٤١٠+٣ ورقات، وإن الأوراق الثلاث الأخيرة منه تضم آيات من سورة النجم والأنبياء والأنفال (*Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Kataloğu*, I, no: 1.)، لكن هذه المعلومات ترجع إلى ما قبل إرسال المصحف إلى مكتبة السليمانية للترميم والصيانة في تاريخ (١٩ / ٤ / ١٩٨٤م). فهذه الأوراق – كما يظهر من التقرير المتعلق بالصيانة والترميم – قد جرى نزعها أثناء ذلك. كما ورد في نفس التقرير أن الرقم ٤١٠ ليس رقماً صحيحاً، وانه جرى من جديد ترقيم اوراق النسخة، مع وضع أوراق فارغة بدلاً من الأوراق الناقصة ولم توضع في الحسبان أثناء الترقيم. وفي هذه الحالة يكون المصحف واقعاً في ٤٠٨ ورقات وليس ٤١٠ ورقات.

أفسد فيها الحبر في صفحةٍ ما يقابلها من كتابة في الصفحة المقابلة بسبب عوامل الرطوبة، وظهرت الثقوب هنا وهناك[٢٤].

د)– كُتبت النُسخة بالخط الكوفي على الرق، ويُلاحظ أن الأوراق الست الأولى (1-6) وكذلك الورقة الحادية عشرة قام بكتابتها كاتبٌ آخر. ولعل نُسَخها الأصلية قد تعرضت لضرر أو فُقِدتْ، وتوقع الأستاذ الدكتور محي الدين سرين لها بعد أن قام بدراسته عليها أن يكون استكمالها قد جرى على مدى نصف قرن تقريباً (انظر فيما يلي).

هـ)– ونلاحظ في هذا المصحف أيضاً ـ مثلما هو الحال في مصحف طشقند ـ أن الكلمات الواردة في أواخر الأسطر قد تم تقسيمها أحياناً كثيرة فكتب حرف منها أو أكثر في بداية السطر التالي، فنشهد الكلمة في مواضع كثيرة قد كتب الحرف الأول منها فقط في آخر السطر، بينما كتبت بقية الأحرف في بداية السطر الذي يليه. ففي سورة البقرة مثلاً (٢ / ٢٦ الورقة 3a ، السطر ٧ – ٨) نشهد كلمة (ربهم) وقد كتب الحرف الأول منها فقط (ر) في نهاية السطر السابع، بينما كتب لفظ (بهم) في بداية السطر الثامن. ويمكننا العثور على العديد من الأمثلة على ذلك في كل صحيفة تقريباً.

و)– كلمة (ملئكة، للملئكة، الملئك) قد مرت بهذا الشكل دون حرف الألف، فلما صادف ورودها في نهاية السطر واضطر الكاتب لتقسيمها على سطرين كتب لفظ (الملا) في نهاية السطر، ثم كتب لفظ (ئكة) في بداية السطر التالي مثبتاً حرف الألف فيها. ونشهد أمثلة كثيرة لكلمات كُتبت بغير الألف في حال عدم تقسيمها، فلما جاءت في نهاية السطر واضطر الكاتب لتقسيمها أثبت حرف الألف فيها (مثل: الظلمين ـ الظالمين).

٢– ورغم أن هذه النسخة ـ كما سنشرح الأمر بالأمثلة بعد قليل ـ ليست من مصاحف عثمان، إلاّ أننا نرى من المفيد ـ كما فعلنا مع مصحف طشقند ـ الإجابة على السؤال: من أي مصحف من مصاحف عثمان جرى استنساخها أو من أي نسخة مستنسخة من تلك المصاحف.

أ)– رغم أن الأمر طبيعي أن توجد فروق إملائية بين نسخ المصاحف فقد يحدث إذا قمنا بدراسة الموضوع من زاوية المواضع التي تضم فروقاً في بنية الكلمة والزيادة أو النقص في الحروف مما يؤدي إلى إحداث تغيير في القراءة أن نتمكن من الخروج بشئ تقريبي حول نَسَب مصحف طوپقاپي. إذ يمكننا القول إن هذا المصحف يقرب من النسخة التي جعلها الخليفة عثمان للمدينة المنورة، بل قد يكون مستنسخاً منها أو من نسخة مستنسخة منها. وقد توصلنا ـ في نهاية المقارنة التي قمنا بها بين ٤٤ فرقاً من الفروق الخاصة بالتلفظ والخاصة ببنية الكلمة بين مصاحف سيدنا عثمان ـ إلى أن مصحف طوپقاپي يتطابق مع مصحف المدينة في ٣٩ موضعاً من تلك المواضع[٢٥]. وفي موضعين من المواضع الخمسة الباقية أضيف حرف الواو في كل منهما بتدخل جرى من بعد بقلم مختلف[٢٦]. أي أنه يمكننا القول إن مصحف طوپقاپي في هذين الموضعين أيضاً في أصل النسخة يكشف عن تطابق مع مصحف المدينة الخاص بسيدنا عثمان. أما في أحد المواضع الثلاثة الأخرى فهو وإن لم يكن متوافقاً مع مصحف المدينة فإنه يتفق وقراءة الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد قراء المدينة وأحد أئمة

---

٢٤ انظر: مثلاً الأوراق 1b, 2a, 8a, 17a, 25a.

٢٥ للتعرف على هذه الفروق والمقارنات المعقودة انظر: الجدول المدرج في نهاية هذه الدراسة.

٢٦ تلك المواضع هي: سورة آل عمران ٣ / ١٣٣، الورقة 46a ، سطر ٧ (سارعوا – وسارعوا) وسورة المائدة ٥ / ٥٣، الورقة 72a سطر ١٥ (يقول الذين – ويقول الذين).

القراءات الاثنى عشر المشهورين. وبتعبير آخر فإن في إملاء هذا المصحف تأثيراً لقراءة كانت جارية في المدينة، أو أن لهذه الإملاء انعكاساً على القراءة المذكورة وتأثيراً فيها. وعن الموضعين الأخيرين من المواضع الخمسة المذكورة[٢٧] فليس من الممكن التعليق بشئ في هذا الموضوع، كما لا نعلم أحداً من أئمة قراءات المدينة كانت له قراءة توافق الإملاء في هذين الموضعين. ورغم كل هذا فإن مصحف طوپقاپى يقرب من مصحف المدينة الخاص بسيدنا عثمانﷺ، وتأثر في إملائه بهذا المصحف وتأثر بقُرّاء المدينة حتى وإن كان نسبياً.

وعندما نقول إن مصحف طوپقاپى يقرب من مصحف المدينة فإنه يكون من المفيد أيضاً أن نضع نصب أعيننا علاقته بمصاحف أخرى لسيدنا عثمانﷺ. وعند دراسة الموضوع انطلاقاً من الـ ٤٤ كلمة المختلفة التي وضعناها في الحسبان ونحن نناقش مسألة نَسَب مصحف طشقند نلاحظ أن هذا المصحف يختلف عن مصحف مكة في خمسة عشر موضعاً. فإذا أضفنا إلى هذا العدد موضعين جرت كتابتهما بقلم مختلف من بعد لحرف الواو في مصحف طوپقاپى فإن هذا الفرق سوف يرتفع إلى ١٧. وظهر لنا عندما قمنا بعمل مقارنة مشابهة مع المصاحف الأخرى أن عدد المواضع التي يختلف مصحفنا عنها هي مع مصحف الكوفة ٢١ موضعاً، ومع مصحف البصرة ١٥ موضعاً، ومع مصحف الشام ١٨ موضعاً[٢٨].

ب)- توجد في مصحف طوپقاپى - كما سنذكر فيما يلي - إشارات التحريك والتنقيط. والدراسة التي سنقوم بها للإجابة على سؤال ما هي القراءة المشهورة التي اعتمدتْ لوضع تلك الإشارات سوف تساعدنا للخروج برأي حول العهد الذي كُتب فيه وكذلك حول المنطقة التي اختص بها.

- فكلمة (نَغْفِرْ) الواردة في سورة البقرة (٢ /٥٨ الورقة 5b ، سطر ٦) قد قرأها على هذا الشكل كلٌّ من إمام القراءات المكي وأحد الأئمة العشرة المشهورين عبد الله بن كثير، وإمام القراءات الكوفي عاصم بن بهدلة وحمزة بن حبيب الزيات وخَلَف بن هشام والبصري أبو عمرو بن العلاء، بينما قرأها على شكل (يُغْفَرْ) كلٌّ من المدني نافع بن عبد الرحمن وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، أما عبد الله بن عامر إمام القراءة الشامي فقد قرأها على شكل (تُغْفَرْ)[٢٩]. وعند التدقيق في هذا المثال في مصحف طوپقاپى نرى أن حرف الفاء جاء بالكسر، وهذه الحركة توافق قراءة أئمة القراءات في مكة والكوفة والبصرة، بينما لا تسمح بها قراءة المدينة والشام.

- قوله تعالى (لاَ يَتَّبِعُوكُمْ) في سورة الأعراف (٧ /١٩٣ الورقة 108a ، سطر ١٢) قد قرأه أئمة القراءات على هذا النحو إلا الإمام المدني نافع بن عبد الرحمن، فقد قرأه على شكل (لاَ يَتْبَعُوكُمْ). ويتكرر نفس الموقف مع قوله تعالى (يَتَّبِعُهُمْ) في سورة الشعراء (٢٦ / ٢٢٤ الورقة 240a ، سطر ١٠)، أي أن الإمام نافع وحده هو الذي يقرؤه بفتح الباء، بينما يقرؤه بقية علماء القراءات بتشديد التاء وكسر الباء[٣٠]. وعند التدقيق في أوراق مصحف طوپقاپى التي أشرنا إليها سالفاً لاحظنا أن حرف الباء في المثال الأول من تلك الأمثلة قد تم تشكيله

---

٢٧ تلك المواضع هي: سورة الكهف ١٨ / ٩٥، الورقة 190b، سطر ١١ (ما مكني - ما مكنني) وسورة الشمس ٩١ / ١٥، الورقة 202a ، سطر ١١ (فلا يخاف - ولا يخاف) ونلاحظ في أول تلك الأمثلة ان مصحف طوپقاپى قد وافق مصحف مكة وكتب الكلمة بنونين، اما في المثال الثاني فقد كتب (ولا) بدلاً من (فلا) متوافقاً مع مصاحف مكة والكوفة والبصرة (انظر: ابن الجزري، النشر ١ /٣٠١؛ ٢ /٣١٥، ٤٠١).

٢٨ لأجل هذه الفروق والمقارنات انظر: الجدول الملحق بآخر هذه الدراسة.

٢٩ الداني، التيسير، ص ٧٣ وابن الجزري، النشر، ٢ /٢١٥.

٣٠ الداني، نفس المصدر، ص ١١٥ وابن الجزري، نفس المصدر، ٢ /٢٧٣ - ٢٧٤.

بالفتح، ولهذا فهو يتفق وقراءة الإمام المدني نافع، بينما جرى تشكيل حرف الباء بالكسر في المثال الثاني توافقاً مع قراءات الأئمة الآخرين.

– وفي قوله تعالى (إن نَعْفُ عن طائفةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائفةً) في سورة التوبة (٩/٦٦ ورقة 121b، سطر ١٢) فقد قرأه الكوفي عاصم بن بهدلة أحد الأئمة المذكورين كما ورد هنا، بينما قرأه الأئمة التسعة الآخرون على شكل (إنْ يُعْفَ عن طائفةٍ مِنْكُمْ تُعَذَّبُ طائفة)[٣١]. وعند التدقيق في إشارات التشكيل والتنقيط (هناك نقاط بدل الحركات وخطوط قصيرة ذات ميل خفيف بدل النقاط) في مصحف طوبقاپي نرى أنها تتوافق مع قراءة الأئمة التسعة، إلاّ عاصم بن بهدلة.

– كلمة (الكفر) الواردة في سورة الرعد (١٣/٤٢ ورقة 159b، سطر ١) قد كتبت في مصاحف عثمان بشكل يسمح بقراءتها على الإفراد والجمع[٣٢]، بينما جاءت في مصحف طوبقاپي مكتوبة بالألف (الكافر). وهذا الشكل الإملائي رغم توافقه وقراءات أئمة المدينة ومكة والبصرة إلاّ أنه لا يسمح بالقراءة على الجمع مثلما قرأهُ قُرّاءُ الكوفة والشام[٣٣].

– في كلمة (نَسْياً) الواردة في سورة مريم (١٩/٢٣ الورقة 192b، سطر ١٣) نلاحظ أن حرف النون جاء بالفتح بحسب إحدى تلاوات عاصم (اعتماداً على رواية حفص بن سليمان) وقراءة حمزة بن حبيب الزيات، بينما قرأها الأئمة الآخرون بكسر حرف النون[٣٤]. أما في مصحف طوبقاپي فقد وضعت كسرة تحت الحرف المذكور، أي أن التشكيل هنا يوافق قراءات المدينة ومكة والبصرة والشام.

– وقوله تعالى (وَلَمْ يَقْتُرُوا) في سورة الفرقان (٢٥/٦٧ الورقة 233a، سطر ١) قرأه أئمة الكوفة بهذا الشكل، بينما قرأه أئمة المدينة والشام بضم الياء وكسر التاء (ولم يُقتِروا)، أما المكيون والبصريون فقد قرأوه بفتح الياء وكسر التاء (ولم يَقْتِرُوا)[٣٥]. وجاء في مصحف طوبقاپي بفتح الياء وكسر التاء، مما يعني أنه يتفق هنا مع تلاوة المكيين والبصريين.

– وكلمة (يُنَشَّؤُا) في سورة الزخرف (٤٣/١٨ الورقة 320b، سطر ١٢) قرأها قراء الكوفة بهذا الشكل في صيغة المبني للمجهول، بينما قرأها قُرّاء مكة والمدينة والبصرة والشام على شكل (يَنْشَؤُا)[٣٦]. أما في مصحف طوبقاپي فقد وضعت حركة الفتح فوق حرفي النون والشين مما يعني أن قراءتها لا تتيسر إلاّ اتباعاً لقراء الكوفة دون غيرهم.

وعند النظر إلى الأمثلة الثمانية التي اخترناها عَيِّنات وعرضناها هنا في سبع فقرات وما أخذته من حركات التشكيل توافقاً مع القراءات المشهورة سوف نلحظ أن ذلك التشكيل قد وافق قراءة مكة في ستة من تلك المواضع الثمانية، ووافق قراءة المدينة في أربعة منها، بينما وافق قراءة البصرة في ستة، ووافق قراءة الشام في ثلاثة. أما التوافق مع قراءة الكوفة فقد وقع في ثلاثة مواضع، كما توجد أيضاً مواضع تتفق مع بعض أئمة الكوفة في مكانين.

٣١ الداني، المصدر السابق، ص ١١٨ – ١١٩ وابن الجزري، المصدر السابق، ٢/٢٨٠.

٣٢ الداني، المقنع، ص ١٢؛ ١٥؛ ١٦.

٣٣ الداني، التيسير، ص ١٣٤ وابن الجزري، المصدر السابق، ٢/٢٩٨.

٣٤ الداني، المصدر السابق، ص ١٤٨ وابن الجزري، المصدر السابق، ٢/٣١٨.

٣٥ الداني، المصدر السابق، ص ١٦٤ وابن الجزري، المصدر السابق، ٢/٣٣٤.

٣٦ الداني، المصدر السابق، ص ١٩٦ وابن الجزري، المصدر السابق، ٢/٣٦٨.

وهذه الأمثلة تدلنا على أن إشارات التشكيل والتنقيط في مصحف طوپقاپي لا تتفق بكاملها مع أي من القراءات السبع أو العشر المشهورة واحدةً بواحدة. ولوحظ في المواضع القليلة أيضاً التي جرى تدقيقها عدا تلك الأمثلة أن الوضع لا يختلف كثيراً عن ذلك. وعلى هذا فإنه على الرغم من أن أعمال التشكيل والتنقيط التي جرت على هذا المصحف ليست خارج نطاق القراءات الموصوفة بالصحيحة في الأدبيات الدينية فإن هذه العملية لا تدع لنا الفرصة للقول إنها أجريت (في هذا المصحف) اتباعاً لقراءة هذا أو ذلك من أئمة القراءات المشهورين.

وهناك نتيجة أخرى نخرج بها من تدقيق تلك الأمثلة وغيرها تقول: إن المعروف هو أن أغلب أئمة القراءات المشهورين عاشوا فيما بين النصف الثاني من القرن الهجري الأول والنصف الأول من القرن الهجري الثاني(٣٧). ولكن أبا بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) هو أول من وضع كتاباً (كتاب السبعة ـ نشر: شوقي ضيف، القاهرة ١٩٧٢م) دَوَّن فيه القواعد المتعلقة بقراءات السبعة من هؤلاء وذكر فيه كيف تُتْلى الكلمات، ومنذ ذلك شرع المعنيون بكتابة المصاحف وقراءتها في البلدان الإسلامية المختلفة في تكثيف جهودهم حول قراءات هؤلاء الأئمة السبعة، وراح ينتشر عمل آخر رافق ذلك في تشكيل وتنقيط المصاحف.

والواضح أن مصحف طوپقاپي قد جرى استنساخه قبل زمن طويل يسبق تحويل الفروق الموجودة في القراءات الصحيحة إلى نظام معروف، وذيوع التلاوات الخاصة بأئمة القراءات المشهورين؛ كما أن عملية تشكيله وتنقيطه جرت أثناء كتابته. وهذه النقاط والحركات رغم أنها لا تتفق بصورة تامة مع قراءة أحد من الأئمة المشهورين إلاّ أنها تحتل مكانها بين عموم القراءات الصحيحة كما هو واضح في الأمثلة القليلة التي عرضناها. كما تجدر الإشارة إلى أن أعمال التنقيط والتشكيل هذه قد أجراها صاحب قلم مقتدر يستطيع تحديد أفضلياته من التلاوات الصحيحة، أو أنها تحققت بمراعاة تلاوة ذاعت في بيئة معينة لإمام في القراءات عدا الأئمة العشرة المشهورين.

٣- إن مصحف طوپقاپي ليس هو المصحف الذي كان يقرؤه الخليفة عثمان بن عفان عندما استشهد، ولا هو مصحف كتبه هو بنفسه، ولا هو واحد من المصاحف التي أُرسلتْ إلى الأمصار. ويمكننا طرح بعض الأدلة على ذلك فيما يلي:

أ)- المعروف أن مصاحف سيدنا عثمان ﷺ لم تكن تضم إشارات للتنقيط والحركات، كما لم تكن تضم إشارات التخمس والتعشير أو غيرها من الأشكال المختلفة التي تفصل بين السور. وهذا ما أجمعتْ عليه كافة المصادر. فقد جَدّتْ هذه الأمور عندما ظهرت الحاجة إليها، وبدأت تظهر مصاحف جديدة هنا وهناك. وقد بدأت هذه العناصر في الظهور مع النقاط والحركات التي وضعها أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٨هـ/٦٨٨م) لإثبات الإعراب. ومن بعدها وضعت أولاً النقاط التي تميز حرفي الياء والتاء أحدهما عن الآخر، ثم جاءت بعد ذلك عمليات التنقيط الأخرى، ثم وضعت إشارات التخميس والتعشير بعد كل خمس آيات وعشر آيات(٣٨). أما في مصحف طوپقاپي

---

٣٧ عبد الله بن عامر ٢١ – ١١٨هـ، عبد الله بن كثير ٤٥ – ١٢٠هـ، عاصم بن بهدلة؟ – ١٢٧هـ، أبو جعفر يزيد بن القعقاع؟ – ١٣٠هـ، أبو عمرو بن العلاء ٦٨ – ١٥٤هـ، نافع بن عبد الرحمن ٧٠ – ١٦٩هـ، حمزة بن حبيب ٨٠ – ١٥٦هـ، علي بن حمزة الكسائي ١٢٠ – ١٨٩هـ، يعقوب الحضرمي ١١٧ – ٢٠٥هـ، خلف بن هشام ١٥٠ – ٢٢٩هـ. (وللتعرف على سيرهم انظر: بالترتيب: الذهبي، معرفة القراء، ١/١٨٦ – ١٩٧، ١٩٧ – ٢٠٣، ٢٠٤ – ٢١٠، ١٧٢ – ١٧٨، ٢٢٣ – ٢٣٧، ٢٤١ – ٢٤٧، ٢٥٠ – ٢٦٥، ٢٩٦ – ٣٠٥، ٣٢٨ – ٣٣٢، ٤١٩ – ٤٢٢).

٣٨ انظر: الداني، المحكم، ص ٢-٩ وابن الجزري، النشر، ١/٧.

فقد جرى استخدام خطوط قصيرة مائلة خفيفاً للدلالة على النقاط. وحتى لو لم نتمكن من رؤية هذه الإشارات في كل الحروف فإنها واضحة تماماً في بعض الأحرف في الأوراق المقروءة بوجه خاص، وقد استخدم الحبر الأسود المستخدم في الكتابة لهذه الإشارات أيضاً. أما في النقاط الموضوعة بدلاً من حركات التشكيل فقد استخدم لها الحبر الأحمر حتى وإن لم يشمل كل الحروف. ويُلاحَظُ أن تلك النقاط الحمراء تتفق والطريقة التي جرى عليها أبو الأسود الدؤلي. وكان الدؤلي وهو يشير على الكاتب الذي جُعل للعمل تحت إمرته بوضع تلك الحركات أن يستخدم لها أحباراً من ألوان مختلفة، فإذا فتح شفتيه وضع الحركة فوق الحرف، وإذا ضمّها وضع الحركة بجانبه (أمامه)، وعندما يشير إلى الكسر بشفتيه كان يعني ذلك وضع نقطه تحت الحرف، وعند الإشارة إلى الغُنّة (أي القراءة بالتنوين) توضع نقطتان، وانتهت بهذا الشكل أولى عمليات التشكيل (وضع نقطة بلون مختلف بدلاً من الحركة)[٣٩]. ويمكننا القول إن عملية التنقيط في مصحف طوبقابي تتفق وهذا التعريف.

والأمر الآخر هو أن هناك إشارات على شكل فواصل دائرية (إشارات وقف) استخدم فيها الحبر الملون فيما بين الآيات، ثم نشهد في نهاية كل خمس آيات إشارة تكبر تلك الإشارة، ثم إشارة أخرى أكبر في نهاية كل عشر آيات (إشارات التخميس والتعشير)، كما يوجد في نهاية كل مائة آية مستطيل مستعرض في داخله كلمة (مئة)، ثم مستطيل آخر في نهاية كل مائتي آية يحتوي كلمة (مئتين)[٤٠]. ورغم العثور هنا وهناك على بعض الإشارات التي يبدو أنها وضعت في أماكنها في مرحلة متأخرة وإن كانت قليلة[٤١] فقد يصعب الاعتقاد بأن علامات التشكيل والتنقيط وكذلك هذا النوع من الإشارات يمكن أن تكون وضعت في هذا المصحف فيما بعد. لأنه إذا تطلعنا لهذه الإشارات بوجه خاص وكذلك أشكال الزينة التي وضعتْ بين السور من هذا النوع المختلف سوف ندرك أن الكاتب ترك لها أثناء الكتابة فراغات كافية[٤٢]، أو بتعبير آخر فإن تلك الإشارات والأشكال قد وضعتْ في المصحف أثناء استنساخه.

ب)- جاء حرف الجر (على) بهذا الشكل أي بالياء في ٢٤ موضعاً، بينما ورد في المواضع الأخرى بالألف على شكل (علا). وهذه الحالة تدلنا على أن المصحف لم يخضع لنظام إملائي ثابت، وأن شكل الكتابة لا يتطابق مع أي من مصاحف عثمان، أو بتعبير آخر فإن هذا الخط يكشف لنا أن هذا المصحف ليس من مصاحف عثمان. إذ ذُكر أن هذه الكلمة قد كتبت بالياء في مصاحف عثمان وبلا استثناء[٤٣].

ج)- ورد لفظ (حتى) بهذا الشكل في سورة النساء فقط (٤ / ٤٣ الورقة 52b ، سطر ١٧) أي بحرف الياء، بينما ورد في المواضع الأخرى بالألف على شكل (حتا). أما في مصاحف عثمان فقد ذكرتْ المصادر أنها وردت بالياء في كل المواضع[٤٤].

د)- يُلاحَظُ في مصاحف عثمان أن حرفي الياء المتجاورين إذا كان أحدهما علامة للجمع كما هو الحال في: ربنين والأمين والحوارين والنبين ــ إلاّ في كلمة (عليين) الواردة في سورة المطففين (٨٣ / ١٨)[٤٥]، لم

---

٣٩ انظر: ابو بكر الانباري، إيضاح الوقف والابتداء، ١ / ٤٠ – ٤١ والداني، المحكم، ص ٤.

٤٠ على سبيل المثال انظر: الأوراق ٩ ب، ١٩ ب ، ١٢٥ أ.

٤١ على سبيل المثال انظر: الورقة 210a ، سطر ٦.

٤٢ انظر: نفس الورقة ، سطر ١٦ (إشارة التعشير).

٤٣ انظر: مهدوي، هجاء مصاحف الامصار، ص ٨٩ والداني، المقنع، ص ٦٥ وابو داود ، مختصر التبيين: ٢ / ٧٥ وابن وثيق، الجامع، ٥٧ – ٥٨.

٤٤ الداني، المقنع، ص ٦٥ وابو داود، مختصر التبيين، ٢ / ٧٧ وابن وثيق، الجامع، ص ٥٨.

٤٥ انظر: الداني، المصدر السابق، ص ٤٩.

تكتب إحدى هاتين اليائين على سبيل الاختصار . أما في مصحف طوپقاپى فقد وردت كلمة (النبين) من تلك الأمثلة على شكل (النبيين) بحرفي ياء في سورة البقرة (٢ / ٦١ الورقة 6a ، سطر ٥) .

هـ)- يمكننا القول إن مصحف طوپقاپى لم يخضع لمراجعة دقيقة عقب الكتابة مثل مصحف طشقند، ولم يستخدمه أحد من أئمة القراءات المشهورين. إذ لا يتصور أحد أن أخطاء الكاتب المشار إليها حتى وإن كانت بقدر قليل قد بقيت على هذه الحال بعد مراجعة من هذا النوع أو بعد استخدام واحد من أئمة القراءات لهذا المصحف . وهذا أيضاً يكشف لنا أنه ليس نسخة عثمان كما قيل، وليس كذلك واحداً من المصاحف التي استنسخها وأرسلها إلى الأمصار .

و)- ويمكننا القول أيضاً إن هذا المصحف لم يخضع هو الآخر لنظام إملائي ثابت . فالأمثلة المذكورة تبرهن على ذلك، بل وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي تؤكد هذه الحقيقة . وعلى سبيل المثال فإن كلمة (أولوا) قد انقسمت تقريباً بين هذا الشكل وبين شكل (اولا)[٤٦] . وتنطبق هذه الحالة أيضاً على كلمة (صرط ــ الصرط)، فقد توصلنا إلى أنها وردت بغير الألف في ٢١ موضعاً، ووردت بحرف الألف (صراط ــ الصراط) في ٢٣ موضعاً . والمعروف أن هذه الكلمة ترد في القرآن الكريم في ٤٥ موضعاً[٤٧] على شكل (الصراط، صراطاً، صراطك، صراطي)، ولأن الكلمة غير واضحة الكتابة في سورة الفاتحة (١ / ٧) فلا نعلم ما هو الشكل الذي كتبتْ به في هذا المصحف . ويمكننا أن نشهد فيه أيضاً أمثلة على ألفاظ كتبت بشكلين مختلفين في آية واحدة، ففي سورة النساء مثلاً نرى (حتى ــ حتا) في الآية (٤٣)[٤٨]، ونرى (أصبك ــ أصابك) في الآية (٧٩)[٤٩]؛ وفي سورة الأنعام أيضاً نرى (أنعام وأنعم) في الآية (١٣٨)[٥٠]، وتلك بعض الأمثلة[٥١] .

ورغم أن هناك كثيراً يمكن ذكره لإثبات أن مصحف طوپقاپى ليس واحداً من مصاحف عثمان إلاّ أننا نكتفي بهذا القدر .

٤- هناك آراء وأفكار طرحتْ حول العهد الذي يرجع إليه مصحف طوپقاپى :

أ)- فقد جاء في مقالة التعريف التركية العثمانية التي تصدرت سورة الفاتحة وكتبتْ بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٢٢٦هـ (١٢ يونيه ١٨١١م) أن الذي كتبه هو عثمان بن عفان نفسه، وهو أمر لا يمكن تصويبه كما سنرى فيما بعد .

---

٤٦ وللمواضع التي كتبت فيها على شكل (اولا) انظر : الأوراق : 28a, 31a, 157b, 163b . 223b, 294a, 297b, 298a, 332b .

٤٧ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس، ص ٤٠٧ .

٤٨ الورقة 52b ، سطر ١٦، ١٧ .

٤٩ الورقة 56b ، سطر ١، ٢ .

٥٠ الورقة 90a ، سطر ٦، ٨ .

٥١ لم تكتبْ في أي موضع بقصد الاختصار الف ياء النداء في مصاحف سيدنا عثمان (انظر : الداني، المقنع، ص ١٦)، ومع ذلك فإذا كانت قد أثبتت الألف في الآيتين (٣٣، ٣٥) من سورة البقرة في هذا المصحف (يا ادم) فإن هاتين الآيتين موجودتان في الورقة (3a) التي هي واحدة من الاوراق التي ظهر انها مفقودة، وكتبت فيما بعد على يد كاتب آخر بقصد إكمال المصحف، ولاجل هذا فهي لا تحمل صفة الدليل على أن هذا المصحف ليس لسيدنا عثمان . كذلك يلاحظ في مصاحف سيدنا عثمان أن حرفي الياء المتجاورين إذا كان أحدهما علامة للجمع كما هو الحال في : ربنين والامين والحوارين والنبين ــ إلاّ في كلمة (عليين) الواردة في سورة المطففين (٨٣ / ١٨)، لم تكتب إحدى هاتين اليائين على سبيل الاختصار (انظر : الداني، المقنع، ص ٤٩) . بينما نرى في مصحف طوپقاپى ان كلمة (النبين) من تلك الأمثلة قد وردت على شكل (النبيين) بحرفي ياء في سورة البقرة (٢ / ٦١ الورقة 6a ، سطر ٥) . غير أن هذا المثال موجود في الورقة (6a) التي جرت كتابتها فيما بعد بقصد استكمال النص، ولأجل هذا فإنه لا يرقى إلى صفة الدليل على الرأي الذي طرحناه سالفاً .

ب)– وذهب فهمي أدهم قراطاي إلى أن هذه النسخة ربما تكون كتبت في القرن الهجري الأول أو الثاني[٥٢]. بينما يذهب صلاح الدين المنجد إلى اختلاف الخطوط بين هذا المصحف ومصحف طشقند، وكذلك خطوط المصحفين المحفوظين في المشهد الحسيني بالقاهرة ومتحف الآثار التركية والإسلامية باستانبول، كما تختلف أيضاً تلك المصاحف في عصور استنساخها وفي مقاساتها، ومن ثم فهي ليست مصاحف عثمان، وإنما هي مصاحف استنسخت من مصاحف عثمان. ولهذا السبب أيضاً عُرف كل واحد منها باسم « مصحف عثمان »[٥٣]. وكان الدكتور محي الدين سَرين عضو هيئة التدريس في جامعة مرمرة [باستانبول] وخبير الخطوط العربية قد قام بناءً على طلبٍ منا بدراسةٍ لصور أوراق المصحف، وصرح برأيه لنا شفاهاً فقال « بالنظر إلى نظام الأسطر وأشكال الحروف وطبيعتها يبدو أن المصحف كُتب في أوائل القرن الهجري الثاني. أما الأوراق الست (١–٦) والورقة الحادية عشرة التي كتبت في تاريخ متأخر فيمكننا القول إنها تعكس خصائص الكتابة في أواسط القرن المذكور ». أما البروفسور أكمل الدين احسان أوغلى فيذهب إلى أن المصحف كتب في العهد الأموي (٤١–١٣٢). (انظر ملاحظات البروفسور على المصحف).

ج)– الواضح من المعلومات والأفكار التي عرضناها قبل قليل فيما يتعلق بالتشكيل والتنقيط في المصحف أنه قد كتب في تاريخ يقرب من العهد الذي جرت فيه عمليات التشكيل والتنقيط في المصاحف. وإذا وضعنا في الاعتبار أن عملية وضع الحركة على شكل نقاط في المصاحف قد بدأها أبو الأسود الدؤلي، وأن عملية التنقيط لفصل الأحرف المتشابهة عن بعضها البعض قد قام بها كل من نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ/٧٠٨م) ويحي بن يعمر (ت ١٠٠هـ/٧١٨م) فلا نجد أمامنا إلاّ القبول بالرأي القائل إن مصحف طوپقاپى كتب في النصف الثاني من القرن الهجري الأول أو النصف الأول من القرن الهجري الثاني. كما يمكننا القول إن النتائج التي توصلنا إليها ـ ونحن بصدد الإجابة فيما سلف (ص ١١٣ ـ ١١٧) عن السؤال الخاص بتلك الإشارات وما اعتمدت عليه من تلاوة عُرِف بها إمام من أئمة القراءات ـ تؤكد هذه التوقعات.

٥– هناك فروق بين مصحف طوپقاپى ومصحف الملك فهد في نحو ٢٢٧٠ موضعاً وإن كان قسم كبير منها في كتابة الكلمة بالألف أو بغير الألف. والسبب في ظهور الرقم بهذا الارتفاع هو أن أغلب الكلمات والألفاظ المكتوبة بإملاء مختلفة هي من النوع الذي يتكرر وروده في نص القرآن الكريم. وهاك بعض الأمثلة على ذلك:

– وردت كلمتا (على وحتى) في مصحف طوپقاپى مكتوبتين بالألف على شكل (علا وحتا) في مواضع تزيد على ٧٨٠ موضعاً.

– وردت كلمات (بايتنا، بايته، بايتى، بايت) المسبوقة بباء الجر بهذا الشكل، أي بحرف ياء واحد في مصحف الملك فهد، بينما جاءت في مصحف طوپقاپى بيائين وعلى شكل (باييتنا، باييته، باييتى، باييت)، والمواضع التي وردت فيها تزيد على ٩٠ موضعاً[٥٤].

---

٥٢ Karatay, *Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Kataloğu*, I, no: 1.

٥٣ المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص ٥٥.

٥٤ لقد توصل الداني إلى الرأي التالي في الموضوع، إذ يقول: «لقد شهدت في بعض المصاحف كلمات: (باييتنا، باييت، باييته) وقد كتبت بيائين اعتباراً لأصلها في كل المواضع التي جاءت فيها وخاصة عند وجود حرف الباء في أوائلها بينما كتبت في بعض المصاحف بياء واحدة حسب التلفظ، وطريقة الكتابة هذه أكثر انتشاراً» (المقنع، ص ٥٠، وانظر: أيضاً: أبو داود، مختصر التبيين، ٢/١٢٢ – ١٢٣).

– وردت كلمات (لمحى، لنحى، نحى، أحى، تحى، فيحى، يحى، نستحى، فيستحى، يستحى) في مصحف الملك فهد بياء واحدة، بينما جاءت في مصحف طويقابي بيائين على شكل (لمحيى، لنحيى، نحيى، أحيى، تحيى، فيحيى، يحيى، نستحيى، يستحيى، فيستحيى) وفي ٣٤ موضعاً[٥٥].

وهناك ألفاظ أخرى تتكرر ثلاث أو خمس مرات وتكون سبباً في زيادة الفروق بين المصحفين، كما توجد أيضاً كلمات وردت مرة واحدة وكتبت بصورة مختلفة في المصاحف المذكورة: (استبدال استبدل، الحافا ـ الحفا، سنابل ـ سنبل، اكمامها ـ اكممها، كاملين ـ كملين، قطران ـ قطرن، تداينتم ـ تدينتم)، وهي كما نرى لا تختلف إلاّ في إثبات حرف الألف أو عدم إثباته.

٦– وفي اعتقادنا أن الخاصية الأبرز لمصحف طويقابي هي الرسالة التي بثها للبشرية جمعاء حول أصالة النص القرآني الكريم الذي تجري تلاوته اليوم والحفاظ على تلك الصفة. فالرأي السائد الذي لا يفتأ يتكرر باستمرار هو أن النص القرآني قد وصلنا بقراءاته المشهورة والصحيحة دون أي تحريف أو تبديل، فإلى جانب العهد المقطوع للمؤمنين في قوله تعالى «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحٰفظون»[٥٦]، هناك أيضاً الكتب والمؤلفات التي وُضعتْ منذ فجر الإسلام في هذا الموضوع، وتزخر بها اليوم مكتباتنا. والحقيقة الواقعة أن القواعد والأسس الخاصة بقراءاته قد أخذت في الانتقال منذ عصور الإسلام الأولى إلى الأجيال المتعاقبة، سواء أكان بطريق الروايات الشفهية أم بطريق الكتب والمصادر المدونة. والمعروف أيضاً مدى الأهمية التي ينطوي عليها في هذا الموضوع تقليد «التلاوة المنضبطة الموافقة لقواعدها» وحقيقة «الفم المحسن» (أي المعلم الذي يتلو القرآن على أصوله ويعلمه للآخرين).

وكنا نرى عندما شرعنا في دراسة مصحف طويقابي أن نص الكتاب العظيم ـ الذي راح ينتقل على مدى العصور من فم محسن إلى فم محسن آخر وبلغ صداه والقواعد الخاصة بهذا الصدا عن طريق المصادر المدونة إلى انسان القرن الحادي والعشرين ـ سوف يصل إلى الباحثين وطلاب العلم بهذا المصحف الذي يمثل وثيقة قادمة من عهد يقرب كثيراً من جيل الصحابة في صورة مكتوبة وبنفس الصفاء، ومن ثم عشنا تلك الأيام المثيرة من ناحية وانتابتنا مشاعر الفضول والخوف من ناحية أخرى. لأن المصاحف التي أمر الخليفة عثمان بن عفان باستنساخها ثم أرسلت إلى الأمصار لم يتم العثور على أي منها، ولم يخضع أحدها للدراسة والتدقيق، أو بمعنى آخر، لم يحدث من قبل أن ظهرت نسخة مصحف قديم بهذا القدر تثبت لنا حقاً وجود تطابق بين المصاحف التي نقرؤها اليوم والمصاحف التي كتبت في عصور الإسلام الأولى. كما يصعب القول إن نسخة مصحف طشقند ـ التي نشر الروس أولاً صورة مصورة منه ثم أعقبهم في ذلك محمد حميد الله ـ تشكل مصحفاً تاماً. لأن هذه النسخة لا تمثل إلاّ الثلث من الأصل، سواء أكان في عدد الآيات والسور أم كان في عدد الأوراق. كما أن المصحفين اللذين نُشِرَ أحدهما سنة ١٩٩٨م بتمام أوراقه الموجودة في باريس، والثاني الذي نشر في سنة ٢٠٠١م بنصف أوراقه الموجودة في لندن لا يمثلان أيضاً مصاحف كاملة. وهناك أيضاً المصحف المحفوظ في متحف الآثار التركية والإسلامية في استانبول تحت رقم (٤٥٧) والذي قيل إنه بخط سيدنا عثمان نفسه ﷺ، وهو

٥٥ انظر: الداني، المصدر السابق، ص ٤٠ – ٥٠ وأبو داود، المصدر السابق، ٢/١٠٨، ١٦٣.

٥٦ سورة الحجر ٩/١٥.

لا يزال رغم نقص بعض أوراقه بعيداً عن متناول الباحثين والدارسين، ولا يوجد حتى اليوم من قام بقراءته وتدقيقه من أوله لآخره، ولا أحد يعلم حتى كم عدد الأوراق الناقصة منه[٥٧].

أما مصحف طوپقاپى، فقد ظل محفوظاً منذ عصور في المكتبات كمصحف قيل إنه ملك سيدنا عثمان بن عفان ﷺ، وكانت آخر محطة توقف فيها هي مكتبة متحف طوپقاپى، ولم يحدث قبل هذه الدراسة أن قام أحد بقراءته وتدقيقه من أوله لآخره. فهل هناك حقاً تناظر أو توافق بينه وبين المصاحف التي تُقرأ اليوم في شتى بلدان العالم؟ لم يكن هناك أحد يعلم شيئاً عن ذلك. أو إلى أي مدى كانت قواعد التلاوة التي تناقلتها الألسنة تتفق في أدائها مع إملائه؟ وهذا الموضوع أيضاً لم يكن هناك مَنْ قال شيئاً فيه. وتجدر الإشارة إلى أننا عندما قررنا تدقيقه ونشره كنا نضع كل تلك الأسئلة في الاعتبار، ولطالما عشنا أوقاتاً مثيرة إزاء هذه الخطة حتى تم الانتهاء من دراسته وكتابة نصّه على الكمبيوتر. وقد رأينا عند انتهاء الكتابة أن: هذا المصحف الذي يبدأ بقوله تعالى «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين» وينتهي بقوله «من الجنة والناس» وجرى استنساخه قبل نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان إنما هو في تطابق تام مع المصاحف التي يقرؤها الناس اليوم على وجه البسيطة. أو بمعنى أصح فإن نسخ المصاحف التي تجري قراءتها اليوم تتطابق مع هذا المصحف الذي كتب قبل نحو ثلاثة عشر قرناً. والبديهي أن بعض الأمور الموجودة في هذا المصحف أيضاً ـ مثل ضياع ورقتين منه واحتوائه على فروق إملائية موجودة أيضاً في المصاحف في بلدان مختلفة وفي عهود مختلفة ولا تؤثر في أساسه ـ لا تنطوي على شئ يناقض هذه النتيجة. ويكون من الطبيعي جداً أن توجد هذه الفروق في أي نص تحركت لكتابته يد الإنسان.

والواضح مما سلف أن القرآن الكريم لا تحفظه صدور الحُفّاظ وحدهم، وإنما تحفظه أيضاً نصوصه المكتوبة وإملاؤه. وهو اليوم بين أيدينا بالصورة التي نزل بها وكتب قبل أربعة عشر قرناً. وهذه الوثائق المدونة[٥٨] إنما هي في الوقت نفسه من التجليات الفعلية الملموسة للبيان الإلهي في قوله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـٰفظون»[٥٩].

ثالثاً: مصحف الملك فهد[٦٠]

كنا أثناء نقل النص القرآني من مصحف طوپقاپى على الكمبيوتر قد أشرنا في الهوامش إلى الفروق الإملائية بينه وبين المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة تمثيلاً للمصاحف في بعض الدول الإسلامية المتفق على توافقها مع رسم مصاحف سيدنا عثمان ﷺ، واضعين في الاعتبار ـ ونحن نفعل ذلك ـ أنه طبع برعاية فهد بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية، ويجري توزيعه مجاناً داخل المملكة وخارجها. ويمكننا أن نذكره هنا اختصاراً بمصحف فهد (ف).

---

٥٧ ذكرنا قبل ذلك اننا بدانا العمل على هذه النسخة ونتمنى ان تظهر تلك الثروة الثقافية العظيمة للباحثين والقراء في اقرب فرصة (انظر: قسم التمهيد).

٥٨ يبدو واضحاً ان هناك ضرورةً للقيام بدراسة مفصلة حول سمة الخط في مصحف طوپقاپى ومواضع الوقف ونظام التشكيل والتنقيط وإشارات التخميس والتعشير والخطوط الهندسية المتباينة الالوان فيما بين السور وعلاقة المصحف بالقراءات المشهورة وغير ذلك. ونحن من جانبنا لن نحاول الدخول في التفاصيل حتى ندع الفرصة للمتلهفين على معرفة ذلك النص المقدس كي ينظروا فيه قبل مضي وقت طويل، ونتطلع بالأمل إلى الاكاديميين والخبراء ان يضطلعوا بكل هذه الامور.

٥٩ سورة الحجر ١٥/ ٩.

٦٠ نقصد هنا بعبارة «مصحف الملك فهد» ذلك المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة داخل «مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» من قبل وزارة الحج والاوقاف في المملكة العربية السعودية تحت اسم «مصحف المدينة النبوية».

وكان مصحف الملك فهد قد جرى تدقيقه لأول مرة على يد هيئة تشكلت قبل طباعته في سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤ – ١٩٨٥م) بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز. ومع ما ذُكر أنه جرت الاستفادة في تلك الأثناء من بعض المصاحف التي كتبت بالرسم العثماني فالواضح أن إملاء هذا المصحف قد أُخذتْ من المصحف الذي نسخه بالرسم العثماني شيخُ القراء المصري محمد علي خَلَف الحسيني (ت ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م)[٦١] المشهور بلقب الحَدّاد، وهو المصحف الذي نُشر للمرة الأولى سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م)، ثم تكررت طبعاته بعد ذلك. بل ويبدو لنا أن مقالة التعريف الملحقة به هي نفسها تقريباً مقالة التعريف في مصحف الحداد[٦٢]. وهذا المصحف تُحفظ نسخة منه في مكتبة كلية الإلهيات التابعة لجامعة مرمرة (شيشلى رقم ١٣٢٣)، وجرت طباعته في القاهرة عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) تحت اسم «القرآن الكريم بالرسم العثماني الشهير بمصحف مصطفى الحلبي»، وما يمكن قوله عن إملائه ومقالة التعريف المدرجة في نهايته هو نفسه ما يقال عن الآخر، كما أن نص التعريف في أواخر المصاحف المطبوعة في الدول التي لا زالت تحرص على الرسم العثماني يتطابق معه إلاّ في فروق من عدة كلمات لا تؤثر على الأساس في شئ. ومما يثير الانتباه هو عدم الإشارة إلى مصحف الحداد المصري بين نسخ المصاحف التي جرت الإستفادة منها قبل نشر مصحف الملك فهد[٦٣].

والسبب الذي جعلنا نفضل مصحف الملك فهد على غيره في هذه الدراسة هو الرأي القائل بأن إملاءه توافق الرسم العثماني، ثم انتشاره في العالم الإسلامي بعد طباعة ملايين النسخ منه، ومراعاةً منا لأن يتمكن الذين يريدون المقارنة بين مصحف طويقابي والرسم العثماني من الوصول بسهولة إلى نسخة مصحف طبع بهذه الإملاء.

ولكن على الرغم من صواب مقولة إن الإملاء الموجودة في المصحف المذكور ونظائره الأخرى توافق الرسم العثماني بوجه عام كما ذكرنا من قبل إلاّ أنه يصعب القول أيضاً بتطابقها تماماً، أو بمعنى آخر، القول إن كل كلمة في هذا المصحف تتطابق تماماً مع نظيرتها في أي من مصاحف عثمان[٦٤].

وعلى الجانب الآخر فإنه على الرغم من الحديث في مقالات التعريف المدرجة سواء في نهاية مصحف الملك فهد أو في نهاية المصاحف المطبوعة في بعض الدول الإسلامية الأخرى عن اتباع روايات عالمين (هما الداني وتلميذه أبو داود) في موضوع الإملاء والقول بأنه قد جرى عند الاختلاف بين روايتي هذين العالمين ترجيح رواية أبي داود فالظاهر في تلك المصاحف المطبوعة أنهم لم يتبعوا أبا داود في بعض المواضع التي اختلف فيها الشيخان. وبما أن هناك كتاب الداني المعروف باسم «المقنع» وكذلك كتاب أبي داود المعروف باسم «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» وكلاهما مطبوعان فإن الباحثين المشغولين بالموضوع يمكنهم النظر مثلاً في مصحف الملك فهد المطبوع في المدينة المنورة والذي يمثل المصاحف التي تجري اليوم طباعتها في العالم الإسلامي اتباعاً للرسم العثماني، فينظرون هل وافقت النتائج الواردة في تلك المصادر أم لم توافقها، أو جرى بالفعل ترجيح

٦١ الحداد هو أحد القراء الذين نشاوا في الأزهر، وأحد فقهاء المالكية. واصبح شيخاً للقراء والمقاري في سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، ويظهر أن له كتابين مطبوعين وضعهما في الرسم العثماني هما «القواعد الدرية فيما يتعلق بالمصاحف العثمانية» و «إرشاد الحيران في رسم القرآن» (انظر: الزركلي، الأعلام، ٧/ ١٩٦ – ١٩٧م).

٦٢ قارن بين نص التعريف المدرج في نهاية مصحف «التنزيل الرباني بالرسم العثماني» ونص التعريف الملحق بنهاية «مصحف المدينة النبوية».

٦٣ انظر: شادي، جهود خادم الحرمين الشريفين في طباعة المصحف الشريف ونشره، ص ١٠ – ١٥.

٦٤ للتعرف على رأينا في هذا الموضوع انظر: الفصل الثالث.

رأي أبي داود حقاً في المواضع التي اختلف فيها مع الداني أم لم يحدث . أما نحن فيجدر بنا القول إننا أثناء عملية التدقيق والمقارنة المحدودة التي قمنا بها قد لقينا بعض الأمثلة التي تَخَلّوا فيها عن تلك القاعدة، وذلك على الرغم من التصريح بأنه جرى اعتماد رأي أبي داود في المواضع التي حدث فيها الاختلاف بين المصدرين، وعلى سبيل المثال :

– فإن كلمة (مثوى) الواردة في سورة يوسف (١٢ / ٢٣) قد ذكر أبو داود أنه لا يجوز كتابتها بالألف بين حرفي الواو والياء، ومع ذلك فقد كتبت في ذلك المصحف على شكل (مثواى) الذي أقره الداني، وبذلك خالفوا القاعدة المذكورة في مقالة التعريف الملحقة بنهاية المصحف[٦٥] .

– قال الداني إن كلمة (حياتكم) الواردة في سورة الأحقاف (٤٦ / ٢٠) كثيراً ما كتبت بهذا الشكل، أما أبو داود فقد نَبّه إلى ضرورة كتابتها بغير الألف (حيتكم)، ومع ذلك فقد كتبت في المصحف المذكور بما يخالف رأي أبي داود، أي جاءت بالألف[٦٦] .

– أشار أبو داود إلى كلمة (جى) في سورة الفجر (٨٩ / ٢٣) وقال إنها تكتب بغير الألف، ومع ذلك فقد وردت في مصحف المدينة بالألف (جاى)[٦٧] .

ويمكننا عرض المزيد من الأمثلة على ذلك، كما لا يستبعد أيضاً أن توجد أمثلة أخرى في المصحف المذكور كتبت بشكل يخالف الروايات الواردة في كلا المصدرين المذكورين، وهو أمر قد يكون موضوعاً لدراسة أخرى. وهذه الحالة تدفع ــ في اعتقادنا ــ إلى طرح الاقتراح التالي : وهو أن تشرع هيئة من الهيئات في تناول موضوع «الإملاء في المصاحف» من جديد، وتكون مُشَكّلةً من الخبراء بقصد تحويل الإملاء ــ المستخدمة في المصاحف التي تجري اليوم طباعتها في بعض الدول، مثل مصر والمملكة السعودية وسوريا والكويت ويقال منذ سنين إنها توافق الرسم العثماني ــ إلى وضع أكثر اتفاقاً مع ذلك الرسم. وعلى المسئولين الذين يحرصون بحساسية فائقة على الرسم العثماني في كتابة المصحف وطباعته ويحظرون دخول المصاحف المخالفة لتلك الإملاء إلى بلادهم أن يراجعوا على الأقل ما هو الأمر الذي يصرون عليه حتى وإن كان نتيجةً لدراسة خَيِّرة أجريتْ قبل سنوات. ونحن على ثقة أن قضية اتباع الرسم العثماني في طباعة المصاحف سوف تكتسب عندئذٍ قوة على قوتها.

المنهج الذي اتبعناه أثناء العمل على النّص

كنا قد ذكرنا قبل ذلك أن العديد من صفحات مصحف طوپقاپي قد عطبت وتدهورت حالتها بسبب الرطوبة والعوامل الأخرى المشابهة. كما ظهر لنا عامل آخر زاد من صعوبة القراءة وتشخيص الأحرف، ألا وهو حبر بعض الصفحات الذي انطبع في الصفحات المقابلة لها بسبب نفس المؤثرات السلبية. ولهذا لم يكن من السهل علينا أن ننقل النص إلى الكمبيوتر بنفس الإملاء. وسعينا إلى تشخيص وإثبات الأحرف في بعض المواضع باللجوء إلى عمليات تكبير الألفاظ وإضاءتها على شاشة الكمبيوتر.

٦٥ انظر : الداني، المقنع، ص ٦٤ وأبو داود، مختصر التبيين، ٣ / ٧١٢ .

٦٦ انظر : الداني، المقنع، ص ٥٤ وأبو داود، مختصر التبيين، ٤ / ١١٢٠ .

٦٧ انظر : أبو داود، مختصر التبيين، ٢ / ٩٣ و ٥ / ١٢٩٥ .

ويمكننا إيجاز الأعمال التي قمنا بها والشروط التي راعيناها خلال هذه الدراسة على النحو التالي :

١- حاولنا كتابة نص المصحف كما هو متمسكين بالإملاء المستخدمة فيه، فإذا تعسر الوصول حتى إلى قرينة تساعدنا على قراءة كلمة أو حرف رغم الاستعانة بالإمكانيات التقنية فإننا في مثل هذه الحالة قد وضعنا عدداً من الكرات الصغيرة بدلاً الأحرف والكلمات تتساوى في العدد معها (●●●) .

٢- وبسبب عدم وجود الحركات والنقاط على كل الأحرف في المصحف، وتعرض ما هو موجود منها للتلف في مواضع كثيرة، ومن ثم حدوث حالة من الغموض لم نر من الجدوى إبراز كل ذلك على النص أثناء الكتابة، ورجعنا في ذلك إلى النقاط والحركات الموجودة في مصحف الملك فهد (ف) . وهذه الإمكانية متاحة في الأساس لكل من يريد تدقيق الحركات والنقاط الموجودة في النص الأصلي .

٣- ليس هناك مكان للهمزات في أي موضع من المصحف، وعلى سبيل المثال فإن الكلمات : (الرءيا، نساءنا، يستنبئونك، مستهزؤن) وردت على شكل (الريا، نسانا، يستنبونك، مستهزون) . وقد اتبعنا النسخة الأصلية بعينها في الأحوال التي يمكن فيها الاستغناء عن كتابة الهمزات كما هو واضح في هذه الأمثلة، أما في المواضع التي وجدت فيها الهمزة في وسط الكلمة وقيل بضرورة كتابتها على شكل ياء[٦٨] فقد آثرنا كتابة مثل هذه الكلمات بالهمزة على شكل (جئت، لملئت، انبئهم) كما جرت قراءتها عند عاصم بن بهدلة على رواية حفص، وليس على شكل (جيت، لمليت، انبيهم) مثلاً، وذلك لعدم إمكانية كتابة ياء دون نقاط أو همزة دون السِّنَة التي تكتب فوقها بالكمبيوتر. وعلى الرغم من وجود أمثلة في النص الأصلي في مثل هذه المواضع كُتِبَ فيها حرفُ الياء بوضع خطين صغيرين مائلين خفيفاً بدلاً من النقاط إلاّ أن ذلك ليس معمماً في كل موضع، أو أنه تحول مع مرور الزمن إلى هذا الغموض، ومن ثم فقد رأينا من الأنسب كتابة الهمزة بدلاً من الياء حتى نتفق في ذلك مع مصحف الملك فهد ونحقق التوافق في قراءتها على السواء .

٤- حافظنا على السطور كما هي، وراعينا أدق التفاصيل التي قد ترد على الخاطر، مثل الحروف التي توضع على رأس أحد السطور من كلمة وردت في نهاية السطر السابق عليه، أو الحروف التي تكتب من كلمة في أوائل سطر على نهاية سطر سابق، ومن ثم اجتهدنا في نقل كل ما هو موجود في النسخة الأصلية إلى الكمبيوتر كما هو .

٥- وكنا أثناء نقل مصحف طوبقابي إلى الكمبيوتر نعقد المقارنة بينه وبين المصحف الذي تجري طباعته في المدينة المنورة باعتباره يوافق الرسم العثماني في « مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف » واختصرنا اسمه بمصحف الملك فهد، ونشير في هوامش الدراسة إلى الفروق الإملائية الموجودة بينهما (ولا ننسى عند تقويم الإملاء الموجودة في مصحف الملك فهد أن الهمزات الواردة فيه والإشارات الأخرى كالنقاط وحركات التشكيل قد أضيفت لهذا المصحف من بعد) .

٦- على الرغم من وجود تواز مع مصحف الملك فهد المطبوع في نهايات الآيات بشكل عام إلاّ أن هناك بعض المواضع التي يختلفان فيها حتى وإن كانت قليلة . وتيسيراً على الباحثين فقد جعلنا مصحف الملك فهد هو الأساس في ترقيم الآيات باعتبار أنه يتفق أيضاً مع الترقيم الموجود في المصاحف الأخرى بوجه عام، وجعلنا تلك الأرقام بين قوسين معقوفين. ووضعنا في الاعتبار أيضاً ونحن نفعل ذلك عدم إمكانية التحقق بشكل تام

٦٨ انظر: الداني، المقنع، ص ٥٩ .

وصحيح من كل نهايات الآيات بسبب مواضع العطب الموجودة في بعض الأوراق؛ ولعل هذه العلة نفسها هي التي منعتنا من وضع إشارات التخميس والتعشير.

٧– جاءت كلمتا (حتى – على) في مصحف طوپقاپى على شكل (حتا – علا) بالألف في الغالب، بينما وردتا في مصحف الملك فهد بالياء؛ ولأجل هذا عندما يتكرر ورودهما في الصفحة نكتفي بالإشارة إلى إحداها في الهامش، ووجهنا الأنظار إلى أن الألفاظ المشابهة في نفس الصفحة قد كتبت بنفس الشكل.

٨– رأينا ونحن نشير إلى الفروق بين المصحفين أن نستخدم حرف (ط) اختصاراً لمصحف طوپقاپى، وحرف (ف) اختصاراً لمصحف الملك فهد.

٩– وجدنا أثناء العمل على النص أننا كتبنا ٢٣٠٧ هامشاً، وجاء نحو ٢٢٧٠ هامشاً منها في الفروق الإملائية بين المصحفين. والسبب في ارتفاع العدد على هذا النحو هو أن أغلب الألفاظ المختلفة إملائياً بين المصحفين هي – كما شرحنا بالأمثلة قبل ذلك – من الألفاظ التي يتكرر ورودها في القرآن كثيراً. وقد رجعنا إلى المصادر المعنية بالألفاظ الواردة بإملاء مختلفة في المصحفين المذكورين؛ وخاصة كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار» لأبي عمرو الداني وكتاب «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود سليمان بن نجاح، فطالعناهما من أولهما لآخرهما، وأشرنا إلى الأمثلة الواردة فيهما مع ذكر أرقام المجلدات والصفحات، واجتهدنا على هذا النحو في مساعدة الباحثين فيما سيقومون به من دراسات على المواضع التي اختلف فيها كل من مصحف طوپقاپى ومصحف الملك فهد. غير أننا لم نرصد أية إشارة في المصادر المذكورة حول ماهية الإملاء في ٢٣٨ موضعاً مرت فيها الألفاظ مكررة، كما لم نتمكن من العثور لأجل هذه الألفاظ على أي مصدر نذكره في الهامش. وهذه الألفاظ التي كتبتْ بالألف في الغالب في مصحف الملك فهد وكتبتْ بغيرها في مصحف طوپقاپى ولا يزيد الفرق بينهما عن ذلك لم يرد شئ عنهما لدى كلا الكاتبين اعتقاداً مسبقاً أنها سوف تكتب بالألف مثلما هي منطوقة بالألف، ولهذا السبب كان الراجح في مصحف الملك فهد أن تكتب تلك الألفاظ في عمومها بالألف. وعلى سبيل المثال فإن كلمة (كاذبة) التي ترد في موضعين كتبتْ بالألف في سورة الواقعة (٥٦ / ٢) في هذا المصحف، أما في سورة العلق (٩٦ / ١٦) فقد جاءت على شكل (كذبة) لأنه ذُكر أنها تُكتبُ بغير الألف[٦٩].

١٠– لا ترد في مصحف طوپقاپى أسماء للسور في أوائلها ولا عدد آياتها أو القول بأنها مكية أم مدنية باستثناء سورتي الفاتحة والبقرة الواقعتين في الورقتين المكتوبتين لاحقاً، ومن هنا فقد وضعنا في أول كل سورة اسمها ورقمها وعدد آياتها، ولكن بين قوسين معقوفين.

١١– وضعت أوراق فارغة بدلاً من الورقتين اللتين تبين ضياعهما من المصحف (المائدة ٥ / ٣ – ٨ والإسراء ١٧ / ١٧ – ٣٣) واللازم ورودهما بعد الورقة ٦٦ والورقة ١٧٧، لكن هذه الأوراق الفارغة لم تحمل أرقاماً.

هذا، وندعوا المولى عز وجل أن يقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

د. طيّار آلتى قولاج

٦٩ انظر: ابو داود، مختصر التبيين، ٥/١٣٠٩.

الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحفي طوبقابي وطشقند

أسماء السور	مصحف المدينة	مصحف مكة	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف الشام	مصحف طوبقابي	مصحف طشقند
البقرة 2/116	وقالوا اتخذ	وقالوا اتخذ	وقالوا اتخذ	وقالوا اتخذ	قالوا اتخذ	وقالوا اتخذ	وقالوا اتخذ
البقرة 2/132	واوصى	ووصى	ووصى	ووصى	واوصى	واوصى	ووصى
آل عمران 3/133	سارعوا	وسارعوا	وسارعوا	وسارعوا	سارعوا	وسارعوا	وسارعوا
آل عمران 3/184	والزبر والكتاب	والزبر والكتاب	والزبر والكتاب	والزبر والكتاب	وبالزبر وبالكتاب	والزبر والكتاب	والزبر والكتاب
النساء 4/66	الا قليل	الا قليل	الا قليل	الا قليل	الا قليلا	الا قليل	———
المائدة 5/53	يقول الذين	يقول الذين	ويقول الذين	ويقول الذين	يقول الذين	ويقول الذين	———
المائدة 5/54	من يرتدد	من يرتد	من يرتد	من يرتد	من يرتدد	من يرتدد	———
الأنعام 6/32	وللدار	وللدار	وللدار	وللدار	ولدار	وللدار	وللدار
الأنعام 6/63	لئن انجيتنا	لئن انجيتنا	لئن انجينا	لئن انجيتنا	لئن انجيتنا	لئن انجيتنا	لئن انجينا
الأنعام 6/137	شركاوهم	شركاوهم	شركاوهم	شركاوهم	شركائهم	شركاهم	شركاوهم
الأعراف 7/3	تذكرون	تذكرون	تذكرون	تذكرون	يتذكرون	تذكرون	يتذكرون
الأعراف 7/43	وما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى	ما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى	وما كنا لنهتدى
الأعراف 7/75	قال الملا	قال الملا	قال الملا	قال الملا	وقال الملا	قال الملا	قال الملا
الأعراف 7/141	واذ انجينكم	واذ انجينكم	واذ انجينكم	واذ انجينكم	واذ انجاكم	واذ انجينكم	———
التوبة 9/100	تجرى تحتها	تجرى من تحتها	تجرى تحتها	تجرى تحتها	تجرى تحتها	تجرى تحتها	———

الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحفي طوبقابي وطشقند

أسماء السور	مصحف المدينة	مصحف مكة	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف الشام	مصحف طوبقابي	مصحف طشقند
التوبة 9/107	الذين اتخذوا	والذين اتخذوا	والذين اتخذوا	والذين اتخذوا	الذين اتخذوا	الذين اتخذوا	———
يونس 10/22	يسيركم	يسيركم	يسيركم	يسيركم	ينشركم	ينشركم	———
الإسراء 17/93	قل سبحان	قال سبحان	قل سبحان	قل سبحان	قال سبحان	قل سبحان	قل سبحان
الكهف 18/36	خيرا منهما	خيرا منهما	خيرا منها	خيرا منها	خيرا منهما	خيرا منهما	خيرا منها
الكهف 18/95	ما مكنى	ما مكننى	ما مكنى	ما مكنى	ما مكنى	ما مكننى	ما مكنى
الأنبياء 21/4	قل ربى	قل ربى	قال ربى	قل ربى	قل ربى	قل ربى	———
الأنبياء 21/30	اولم ير الذين	الم ير الذين	اولم ير الذين	اولم ير الذين	اولم ير الذين	اولم ير الذين	———
المؤمنون 23/87	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	سيقولون لله	سيقولون لله	———
المؤمنون 23/89	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون لله	سيقولون الله	سيقولون لله	سيقولون لله	———
المؤمنون 23/112	قال كم لبثتم	قال كم لبثتم	قل كم لبثتم	قال كم لبثتم	قال كم لبثتم	قال كم لبثتم	———
المؤمنون 23/114	قال ان لبثتم	قال ان لبثتم	قل ان لبثتم	قال ان لبثتم	قال ان لبثتم	قال ان لبثتم	———
الفرقان 25/25	ونزل الملئكة	وننزل الملئكة	ونزل الملئكة	ونزل الملئكة	ونزل الملئكة	ونزل الملئكة	———
الشعراء 26/217	فتوكل	وتوكل	وتوكل	وتوكل	فتوكل	فتوكل	———
النمل 27/21	لياتينى	لياتيننى	لياتينى	لياتينى	لياتينى	لياتينى	لياتينى
القصص 28/37	وقال موسى	قال موسى	وقال موسى	وقال موسى	وقال موسى	وقال موسى	———

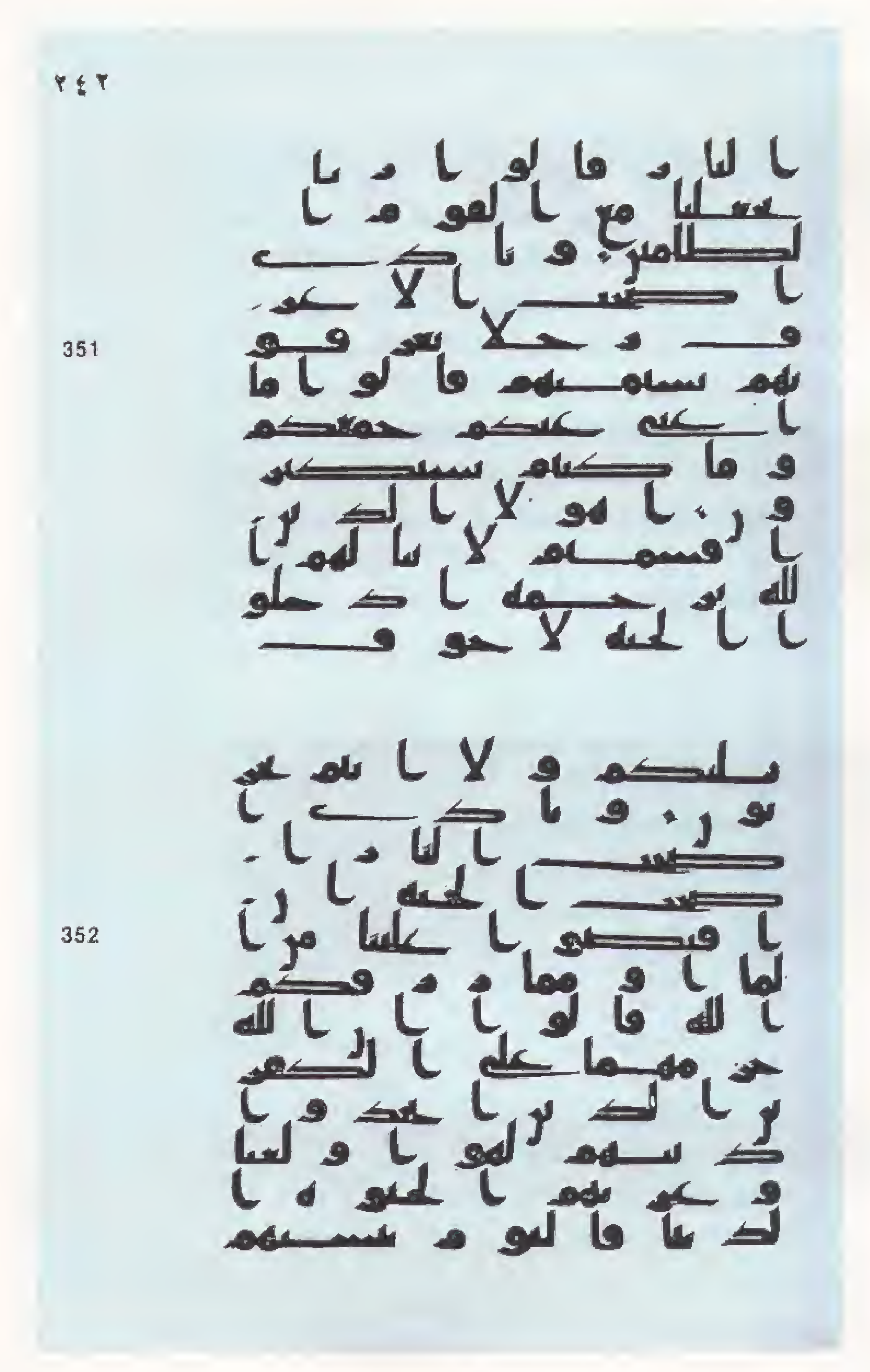
الفروق بين المصاحف العثمانية وبين مصحفي طوبقابي وطشقند

أسماء السور		مصحف المدينة	مصحف مكة	مصحف الكوفة	مصحف البصرة	مصحف الشام	مصحف طوبقابي	مصحف طشقند
يس	36/35	وما عملته	وما عملته	وما عملت	وما عملته	وما عملته	وما عملته	وما عملت
الزمر	39/64	تامروني	تامروني	تامروني	تامروني	تامرونني	تامروني	———
غافر	40/21	اشد منهم	اشد منهم	اشد منهم	اشد منهم	اشد منكم	اشد منهم	———
غافر	40/26	وان يظهر	وان يظهر	او ان يظهر	وان يظهر	وان يظهر	وان يظهر	———
الشورى	42/30	بما كسبت	فبما كسبت	فبما كسبت	فبما كسبت	بما كسبت	بما كسبت	فبما كسبت
الزخرف	43/68	يعبادى	يعباد	يعباد	يعباد	يعبادى	يعبادى	———
الزخرف	43/71	ما تشتهيه	ما تشتهى	ما تشتهى	ما تشتهى	ما تشتهيه	ما تشتهيه	———
الأحقاف	46/15	حسنا	حسنا	احسنا	حسنا	حسنا	حسنا	———
محمد	47/18	ان تاتيهم	ان تاتهم	ان تاتهم	ان تاتيهم	ان تاتيهم	ان تاتيهم	———
الرحمن	55/12	ذو العصف	ذو العصف	ذو العصف	ذو العصف	ذا العصف	ذو العصف	———
الرحمن	55/78	ذى الجلل	ذى الجلل	ذى الجلل	ذى الجلل	ذو الجلل	ذى الجلل	———
الحديد	57/10	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكلا وعد الله	وكل وعد الله	وكلا وعد الله	———
الحديد	57/24	الغنى	هو الغنى	هو الغنى	هو الغنى	الغنى	الغنى	———
الشمس	91/15	فلا يخاف	ولا يخاف	ولا يخاف	ولا يخاف	فلا يخاف	ولا يخاف	———

فهرس السور

السورة ورقمها	الورقة
(٥١) الذاريات	٣٤٣/ب – ٣٤٥/ب
(٥٢) الطور	٣٤٥/ب – ٣٤٧/ب
(٥٣) النجم	٣٤٧/ب – ٣٤٩/ب
(٥٤) القمر	٣٤٩/ب – ٣٥١/ب
(٥٥) الرحمن	٣٥١/ب – ٣٥٤/أ
(٥٦) الواقعة	٣٥٤/أ – ٣٥٦/ب
(٥٧) الحديد	٣٥٦/ب – ٣٥٩/ب
(٥٨) المجادلة	٣٥٩/ب – ٣٦٢/ب
(٥٩) الحشر	٣٦٢/ب – ٣٦٥/أ
(٦٠) الممتحنة	٣٦٥/أ – ٣٦٧/أ
(٦١) الصف	٣٦٧/أ – ٣٦٨/ب
(٦٢) الجمعة	٣٦٨/ب – ٣٦٩/ب
(٦٣) المنافقون	٣٦٩/ب – ٣٧٠/ب
(٦٤) التغابن	٣٧٠/ب – ٣٧٢/أ
(٦٥) الطلاق	٣٧٢/أ – ٣٧٣/ب
(٦٦) التحريم	٣٧٣/ب – ٣٧٥/أ
(٦٧) الملك	٣٧٥/أ – ٣٧٧/أ
(٦٨) القلم	٣٧٧/أ – ٣٧٩/أ
(٦٩) الحاقة	٣٧٩/أ – ٣٨٠/ب
(٧٠) المعارج	٣٨٠/ب – ٣٨٢/أ
(٧١) نوح	٣٨٢/أ – ٣٨٤/أ
(٧٢) الجن	٣٨٤/أ – ٣٨٥/ب
(٧٣) المزمل	٣٨٥/ب – ٣٨٦/ب
(٧٤) المدثر	٣٨٦/ب – ٣٨٨/أ
(٧٥) القيامة	٣٨٨/أ – ٣٨٩/أ
(٧٦) الإنسان	٣٨٩/أ – ٣٩٠/ب
(٧٧) المرسلات	٣٩٠/ب – ٣٩١/ب
(٧٨) النبأ	٣٩١/ب – ٣٩٣/أ
(٧٩) النازعات	٣٩٣/أ – ٣٩٤/أ
(٨٠) عبس	٣٩٤/أ – ٣٩٥/أ
(٨١) التكوير	٣٩٥/أ – ٣٩٥/ب
(٨٢) الإنفطار	٣٩٥/ب – ٣٩٦/أ
(٨٣) المطففين	٣٩٦/أ – ٣٩٧/ب
(٨٤) الإنشقاق	٣٩٧/ب – ٣٩٨/أ
(٨٥) البروج	٣٩٨/أ – ٣٩٩/أ
(٨٦) الطارق	٣٩٩/أ
(٨٧) الأعلى	٣٩٩/أ – ٣٩٩/ب
(٨٨) الغاشية	٣٩٩/ب – ٤٠٠/أ
(٨٩) الفجر	٤٠٠/ب – ٤٠١/أ
(٩٠) البلد	٤٠١/أ – ٤٠١/ب
(٩١) الشمس	٤٠١/ب – ٤٠٢/أ
(٩٢) الليل	٤٠٢/أ – ٤٠٢/ب
(٩٣) الضحى	٤٠٢/ب – ٤٠٣/أ
(٩٤) الشرح	٤٠٣/أ
(٩٥) التين	٤٠٣/أ – ٤٠٣/ب
(٩٦) العلق	٤٠٣/ب – ٤٠٤/أ
(٩٧) القدر	٤٠٤/أ
(٩٨) البينة	٤٠٤/أ – ٤٠٤/ب
(٩٩) الزلزال	٤٠٤/ب – ٤٠٥/أ
(١٠٠) العاديات	٤٠٥/أ
(١٠١) القارعة	٤٠٥/ب
(١٠٢) التكاثر	٤٠٥/ب
(١٠٣) العصر	٤٠٦/أ
(١٠٤) الهمزة	٤٠٦/أ
(١٠٥) الفيل	٤٠٦/أ – ٤٠٧/ب
(١٠٦) قريش	٤٠٦/ب
(١٠٧) الماعون	٤٠٦/ب
(١٠٨) الكوثر	٤٠٧/أ
(١٠٩) الكافرون	٤٠٧/أ
(١١٠) النصر	٤٠٧/أ
(١١١) المسد	٤٠٧/ب
(١١٢) الإخلاص	٤٠٧/ب
(١١٣) الفلق	٤٠٨/أ
(١١٤) الناس	٤٠٨/أ

لوحات حول بعض المصاحف



الصورة ١

صحيفتان من مصحف طشقند (القرآن المجيد، ص ٢٤٢)

٦٦٦

655

656

الصورة ٢

صحيفتان من مصحف طشقند (القرآن المجيد، ص ٦٦٦)



الصورة ٣

صحيفة من مصحف متحف الآثار التركية والإسلامية بإستانبول (ورق ٣١/أ)



الصورة ٤

صحيفة من مصحف متحف الآثار التركية والإسلامية بإستانبول (ورق ٤٢٩/أ)

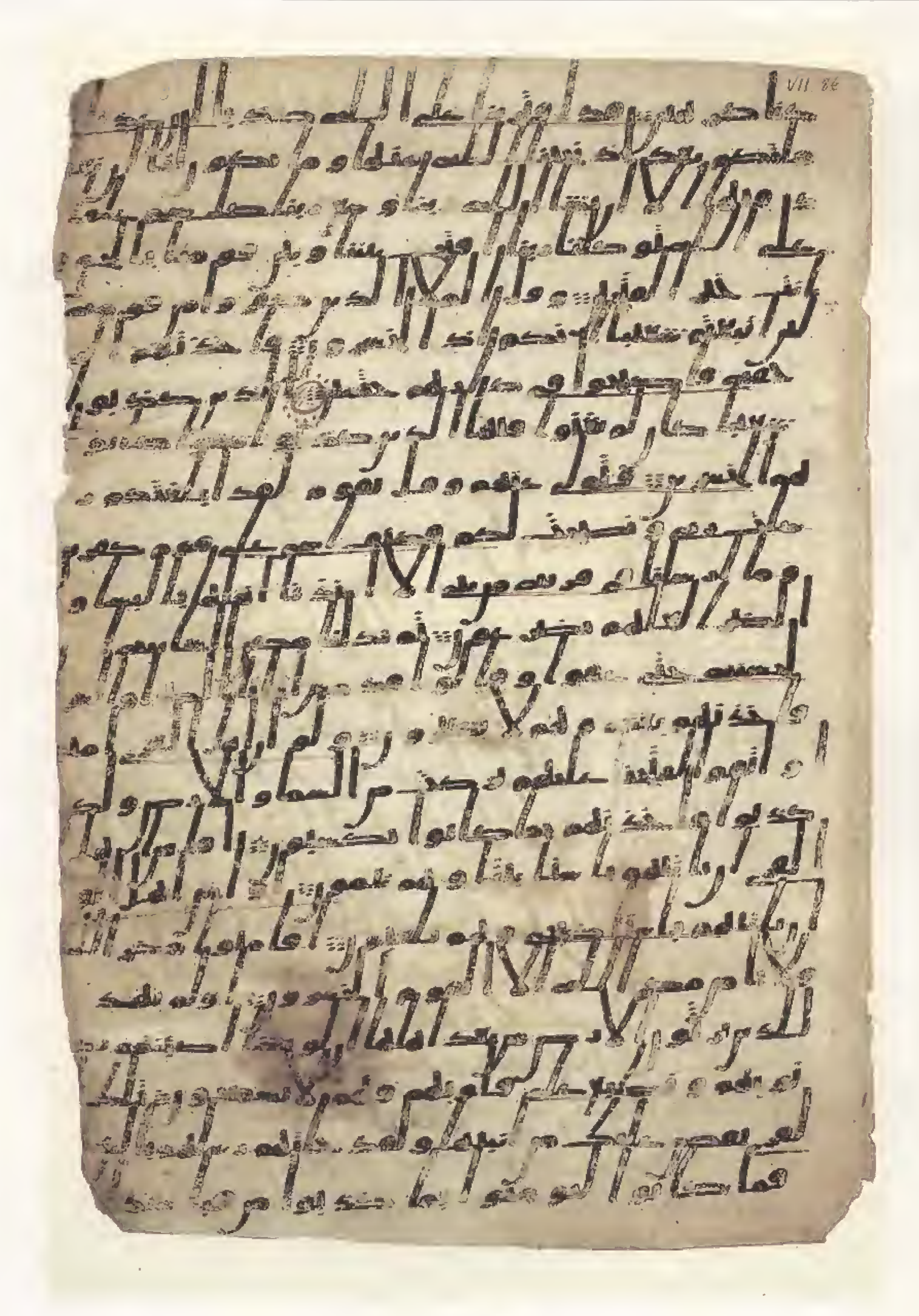


الصورة ٥
صحيفة من مصحف القاهرة (ورق ٦ /ب)



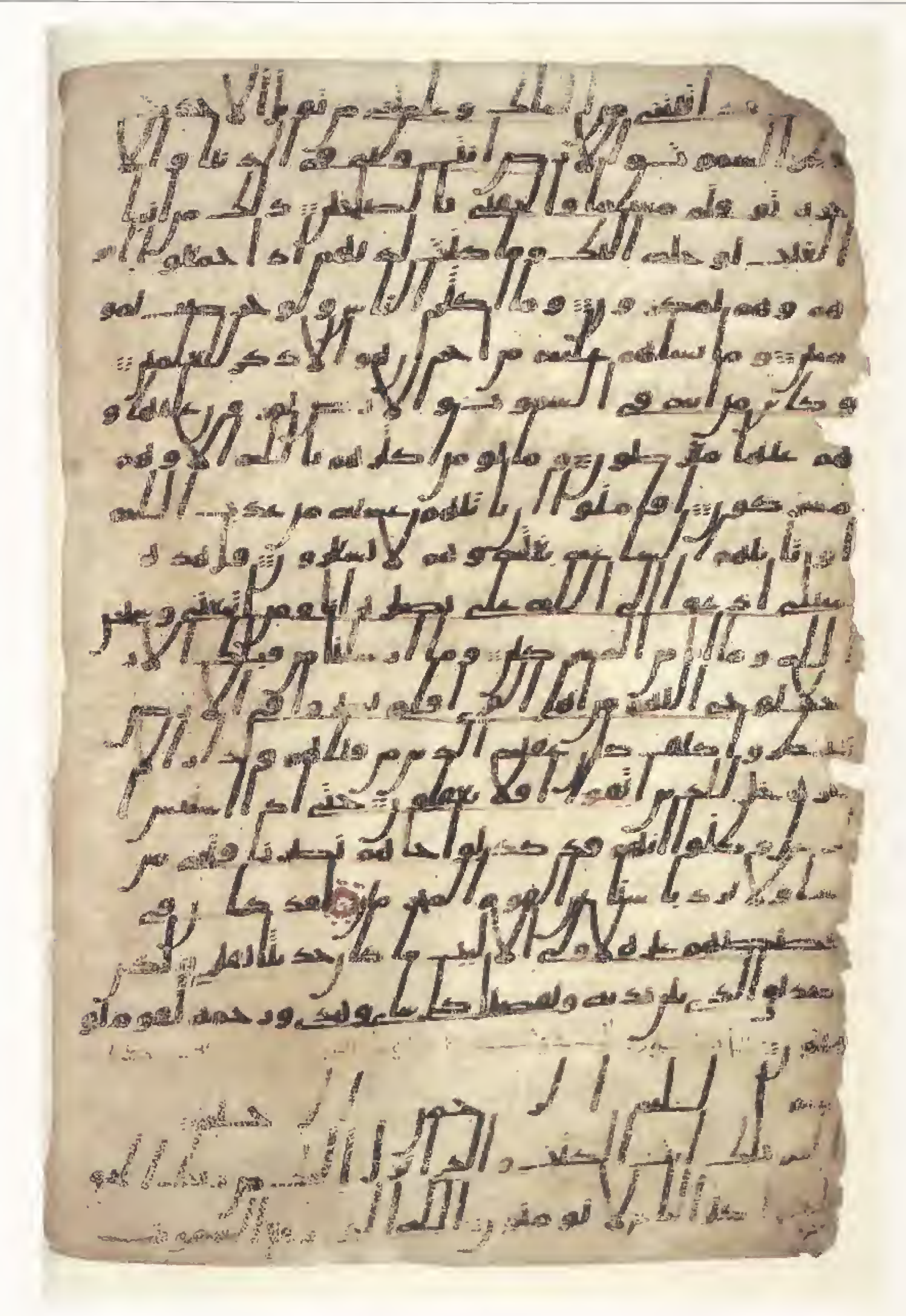
الصورة ٦

صحيفة من مصحف القاهرة (ورق ٥٩/أ)

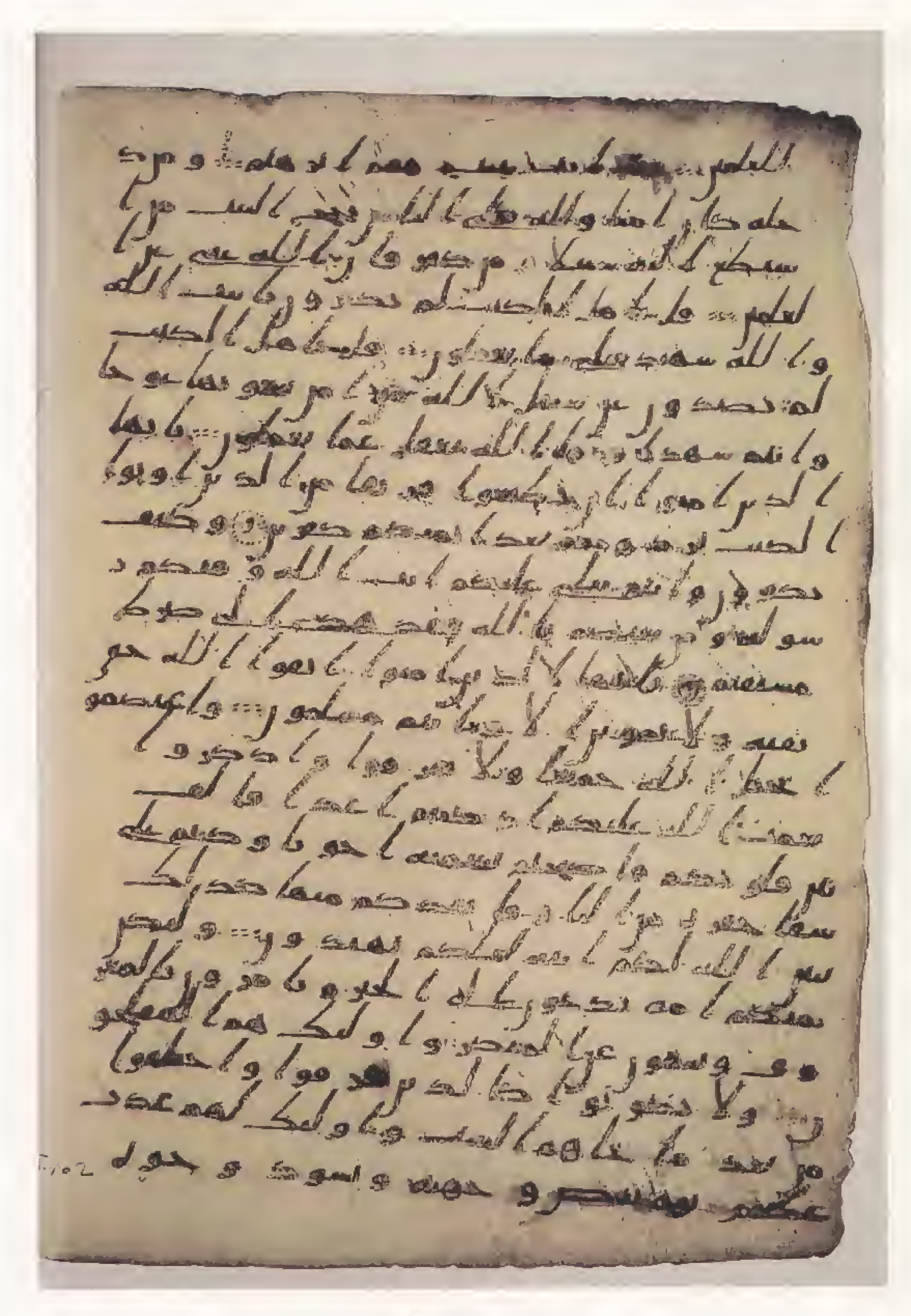


الصورة ٧

صحيفة من مصحف لندن (ورق ٣/أ)



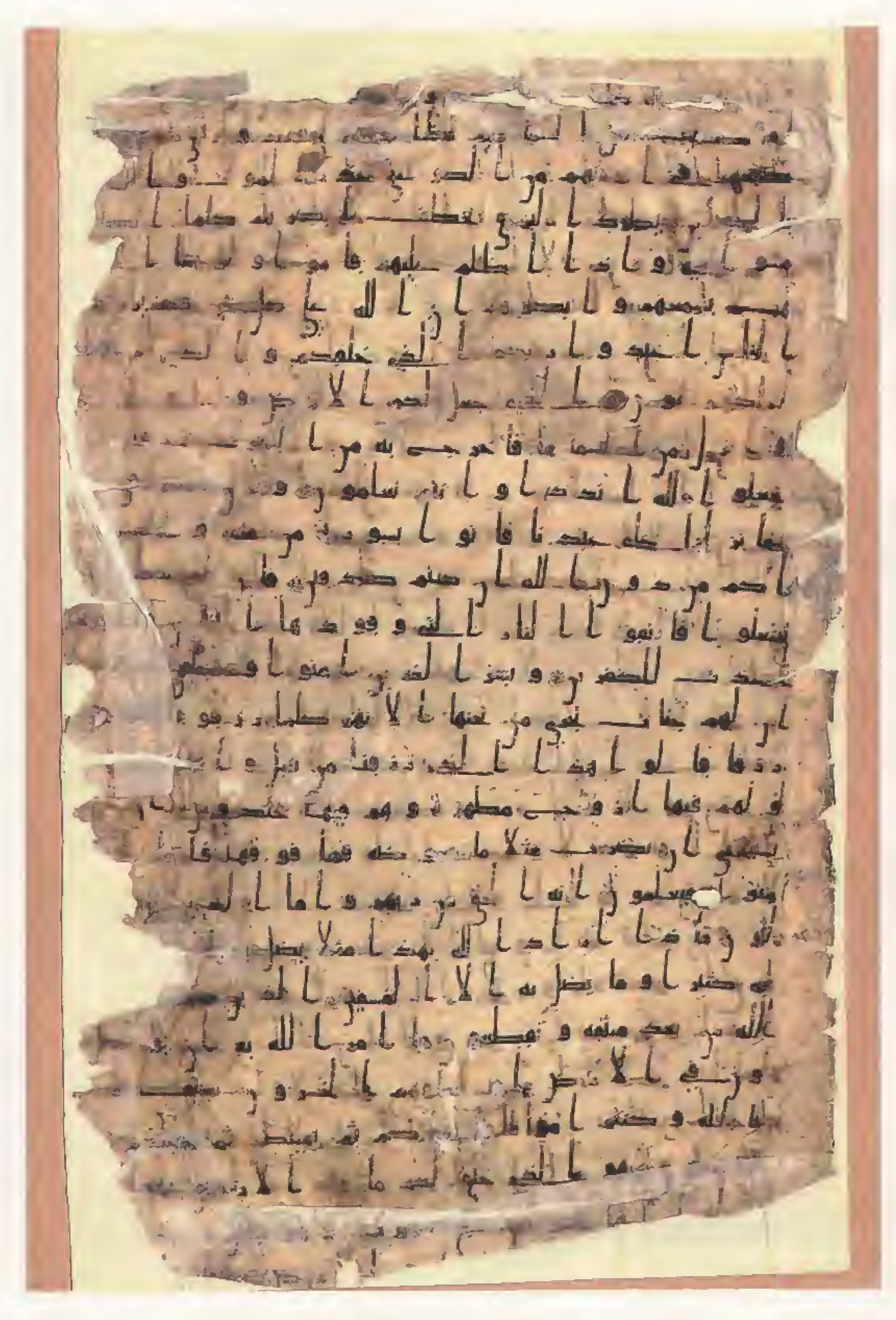
الصورة ٨
صحيفة من مصحف لندن (ورق ٢٧ / ب)



الصورة ٩
صحيفة من مصحف باريس (ورق ٤ /ب)

الصورة ١٠

صحيفة من مصحف باريس (ورق ٥٠/أ)



الصورة ١١

صحيفة من مصحف سانت بترسبورغ (سورة البقرة الآيات ١٧–٢٩)



الصورة ١٢

صحيفة من مصحف سانت بترسبورغ (سورة الحديد الآيات ٢٧–٢٩؛ سورة المجادلة الآيات ١–٤)

قائمة المصادر

١ – العربية والتركية العثمانية :

* ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني : كتاب المصاحف (الناشر آرثر جفري)، القاهرة ١٩٣٦ / ١٣٥٥ .

* ابن الاثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري : أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة ١٩٧٣ / ١٣٩٣ .

* ابن البنّاء، أحمد بن محمد البغدادي : اتحاف فضلاء البشر (الناشر شعبان محمد اسماعيل)، بيروت ١٩٨٧ / ١٤٠٧ .

* ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد : النشر في القراءات العشر (الناشر علي محمد الدابة)، القاهرة بدون تاريخ . (مطبعة مصطفى محمد) .

* ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف : الفرقان، القاهرة ١٩٤٨ / ١٣٦٧ .

* ابن المبارك، أحمد : الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، بدون تاريخ وبدون مكان (المكتبة الشعبية) .

* ابن النديم : الفهرست، القاهرة [بدون تاريخ]، مطبعة الاستقامة .

* ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني : لسان الميزان (الناشر محمد عبد الرحمن المرعشلي) بيروت ١٩٩٦ / ١٤١٦ .

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون (الناشر درويش الجويدي)، بيروت ١٩٩٦ / ١٤١٦ .

* ابن سعد، محمد بن سعد الزهري : الطبقات الكبرى (الناشر علي محمد عمر)، المدينة المنورة ٢٠٠١ / ١٤٢١ .

* ابن عبد البر، عمر بن يوسف النمري : الاستيعاب في معرفة الاصحاب (ضمن كتاب الإصابة لابن حجر)، القاهرة ١٣٢٨ .

* ابن فارس، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها (الناشر مصطفى الشويمي)، بيروت ١٩٦٣ / ١٣٨٢ .

* ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم : تاويل مختلف الحديث (الناشر محمد زهري النجار)، القاهرة ١٩٦٦ / ١٣٨٦ .

—— تاويل مشكل القرآن (الناشر أحمد صقر)، القاهرة ١٩٥٤ / ١٣٧٣ .

—— ادب الكاتب (الناشر علي فاؤر)، بيروت ١٩٨٨ / ١٤٠٨ .

* ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل : فضائل القرآن، بيروت ١٩٦٦ / ١٣٨٥ .

* ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجة (الناشر محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة ١٩٥٢ / ١٣٧٢ .

* ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرّم : لسان العرب، بيروت بدون تاريخ .

* ابن هشام، أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية (الناشر مصطفى السقا- إبراهيم الابياري- عبد الحافظ شلبي)، بيروت ١٩٧١ / ١٣٩١ .

* ابن وثيق، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الأندلسي : الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف (الناشر غانم قدوري حمد)، بغداد ١٩٨٨ / ١٤٠٨ .

* أبو الفتوح محمد حسين : ابن خلدون ورسم المصحف العثماني، بيروت ١٩٩٢ .

* أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود (الناشر محمد محي الدين عبد الحميد) بدون تاريخ (دار إحياء السنة النبوية) .

* أبو داود سليمان بن تجاح : مختصر التبيين لهجاء التنزيل (الناشر احمد بن أحمد بن معمر شيرشال)، المدينة المنورة ٢٠٠٢ / ١٤٢٣ .

* أبو شامة، محمد بن اسماعيل المقدسي: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (الناشر طيار آلتي قولاچ)، أنقرة ١٩٨٦/١٤٠٦.

* أبو عبيد قاسم بن سلام: كتاب الأموال (الناشر محمد خليل هراس)، القاهرة ١٩٨١/١٤٠١.

—— فضائل القرآن (الناشر وهبي سليمان)، بيروت ١٩٩١/١٤١١.

* احمد بن حنبل، أبو عبد الله: المسند، بيروت ١٩٦٩/١٣٨٩.

* ازميرلي اسماعيل حقي: تاريخ قرآن، استانبول ١٩٥٦ [بالتركية العثمانية].

* الأعظمي، محمد مصطفى: كتاب النبي، الرياض ١٩٨١/١٤٠١.

* الانباري، ابو بكر محمد بن القاسم: الإيضاح في الوقف والابتداء (الناشر محي الدين عبد الرحمن رمضان)، دمشق ١٩٧١/١٣٩١.

* الباقلاني، ابو بكر محمد بن الطيب: الانتصار للقرآن (الناشر فؤاد سزكين)، فرانكفورت ١٩٨٦/١٤٠٧ (مكتبة بايزيد العامة [قرا مصطفى باشا]، صورة طبق الأصل من نسخة مخطوطة مسجلة تحت رقم ٦).

* البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل: الصحيح (صحيح البخاري)، استانبول ١٣١٥.

* بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (ترجمة محمود فهمي حجازي)، القاهرة ١٩٩٣.

* البلاذري، ابو الحسن أحمد بن يحي: فتوح البلدان (الناشر رضوان محمد رضوان)، بيروت ١٩٧٨/١٣٩٨.

* البيهقي، أبو بكر احمد بن حسين: شعب الإيمان (الناشر ابو هاجر محمد سعيد بسيوني زغلول)، بيروت ١٩٩٠/١٤١٠.

* الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (الناشر إبراهيم عطوة عوض)، القاهرة ١٩٦٢/١٣٨٢.

* التنزيل الرباني بالرسم العثماني (المصحف، الناشر عبد الرحمن محمد)، القاهرة ١٣٥٧ (طبق الأصل من طبعة١٣٣٧).

* حمد، غانم قدوري: رسم المصحف، بيروت ١٩٨٢/١٤٠٢.

* داماد زاده، سليمان: الكلمات المرسومة المستخرجة من مصحف علي القاري، مكتبة السليمانية (إبراهيم افندي)، رقم ٢٦، ورق ٦٢ – ٥٤.

* الداني، ابو عمرو عثمان بن سعيد: المحكم في نقد المصاحف (الناشر عزة حسن)، دمشق ١٩٦٠/١٣٧٩.

—— المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار (الناشر محمد احمد دهمان)، دمشق ١٩٤٠/١٣٥٩.

—— التيسير في القراءات السبع، (الناشر Otto Pretzl)، استانبول ١٩٣٠.

* الديلمي، ابو شجاع شيرويه بن شهردار: الفردوس بمأثور الخطاب، بيروت ١٩٨٦/١٤٠٦.

* الذهبي، ابو عبد الله محمد بن أحمد: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (الناشر طيار آلتي قولاچ)، استانبول ١٩٩٥/١٤١٦.

—— ميزان الاعتدال (الناشر علي محمد البجاوي)، القاهرة ١٩٦٣/١٣٨٢.

* الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم، القاهرة ١٣٧٢.

* الزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن (الناشر محمد أبو الفضل ابراهيم)، القاهرة ١٩٥٧/١٣٧٦.

* الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت ١٩٦٩/١٣٨٩.

* الزمخشري، جار الله محمد بن عمر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت ١٩٤٧/١٣٦٦.

* السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال: الإتقان في علوم القرآن (الناشر محمد أبو الفضل ابراهيم)، القاهرة ١٩٦٧/١٣٨٧.

—— الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت ١٩٨٣/١٤٠٣.

* شذي، عادل بن علي بن احمد: جهود خادم الحرمين الشريفين في طباعة المصحف الشريف ونشره (www.ksu.edu.sa/kfs-website/source/58.hrm-572k)

* صبحي صالح: مباحث في علوم القرآن، بيروت ١٩٦٨.

* الصيرفي، ابو عبد الله: نكت الانتصار لنقل القرآن، الاسكندرية ١٩٧١.

* الصولي، ابو بكر محمد بن يحي: أدب الكُتّاب (الناشر محمد بهجة الأثري)، القاهرة ١٣٤١.

* الطبراني: المعجم الكبير (الناشر حمدي عبد المجيد السلفي)، بيروت بدون تاريخ.

* طه الولي: «القرآن الكريم في بلاد الروسيا»، المورد ٤/٩، بغداد ١٩٨١/١٤٠١.

* عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، استانبول ١٩٨٢.

* عبد السلام، محمد عادل: كتاب في الفرق بين رسم المصحف الشريف وبين رسم القواعد الإملائية، عمان ١٩٨٦/١٤٠٦.

* الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد: معاني القرآن، بيروت ١٩٨٠.

* القرآن الكريم بالرسم العثماني، دمشق ١٤٢٠ (دار المعرفة).

* القرآن الكريم بالرسم العثماني الشهير بمصحف مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٣٥/١٣٥٤.

* القرآن المجيد مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه عكوس نسخة سمرقند (الناشر محمد حميد الله)، فيلادلفيا ١٩٨١/١٤٠١.

* القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، بيروت ١٩٨٥/١٤٠٥.

* القسطلاني، أبو العباس احمد: لطائف الإشارات لفنون القراءات (الناشر عامر سيد عثمان – عبد الصبور شاهين)، القاهرة ١٩٧٢.

* الكتاني، عبد الحي: التراتيب الإدارية، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

* الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، القاهرة ١٩٥٣/١٣٧٢.

* لبيب السعيد: الجامع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل، القاهرة ١٩٦٧/١٣٨٧.

* مجلة الأزهر، ١/٧، القاهرة ١٩٣٦/١٣٥٥.

* مخدوم، اسماعيل: تاريخ المصحف العثماني في طشقند، طشقند ١٩٧١/١٣٩١.

* المراكشي، أبو العباس ابن البناء احمد بن محمد بن عثمان: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل (الناشر هند شلبي)، بيروت ١٩٩٠.

* المرجاني، شهاب الدين: الفوائد المهمة، قازان ١٢٩٧.

* مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: الصحيح (صحيح مسلم) (الناشر محمد فؤاد عبد الباقي) القاهرة ١٩٥٥/١٣٧٤.

* مكي بن أبي طالب: الإبانة عن معاني القراءات (الناشر عبد الفتاح اسماعيل شلبي)، القاهرة ١٩٦٠/١٣٧٩.

* المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت ١٩٧٢.

* المهدوي، أبو العباس احمد بن عمار: هجاء مصاحف الأمصار (الناشر محي الدين عبد الرحمن رمضان)، مجلة معهد المخطوطات العربية، ربيع الآخر ١٣٩٣/ مايو ١٩/١ ،١٩٧٣، ص ١٤١ – ٥٤.

* وافي، علي عبد الواحد: فقه اللغة، القاهرة ١٩٧٣/١٣٩٣.

٢- التركية والافرنجية:

Altıkulaç, Tayyar, "Ebû Amr b. Alâ", *DİA*, İstanbul 1994, X, 94-96.

Altundağ, Mustafa, *Hata İddiaları Çerçevesinde Kur'an'ın Dil ve Yazım Özellikleri,* Bakı 2004.

—"İstanbul Topkapı Mushafı Hz. Osman'a mı aittir?", *Marife,* yıl:2, sy. 1, Konya 2002.

Çetin, Abdurrahman, "Ebû Dâvud Süleyman b. Necâh", *DİA,* İstanbul 1994, X, 119;

— "Dânî', *DİA,* İstanbul 1993, VIII, 459-460.

Çetin, Nihad M., "Arap(Yazı)", *DİA,* İstanbul 1991, III, 276-282.

Derman, Uğur, "Hâfız Osman", *DİA,* İstanbul 1997, XV, 98-99.

Deroche, F. - Noseda, S. N. (nşr.), *Sources de la transmission manuscrite du texte Coranique: Les manuscrits de style Hiğazi* (Volume 1), Lesa 1998.

Dutton, Yasin, "Some Notes on the British Library's 'Oldest Qur'an Manuscript' (Or. 2165)", *Journal of Qur'anic Studies,* vol. 6, issue 1, (Centre for Islamic Studies, SOAS, London 2004) p. 43-72.

E. Honigmann, "Nabatîler", *İA,* İstanbul 1964, IX, I.

Fazlıoğlu, İhsan, "İbnü'l-Bennâ el-Merrâkûşî", *DİA,* İstanbul 1999, XX, 530- 534.

Hamidullah, Muhammed, *Kur'ân-ı Kerim Tarihi* (trc. Salih Tuğ), İstanbul 1993.

— *İslam'a Giriş* (trc. Cemal Aydın), Ankara 1999.

Jeffery, A. - Mendelsohn, I., "The Orthography *of* The Samarqand Codex", *Journal of American Oriental Society,* LXIII (1943), p. 175-195.

Karatay, Fehmi Edhem, *Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Arapça Yazmalar Katoloğu,* İstanbul 1962.

Özaydın, Abdülkerim, "İbn Mukle", *DİA,* İstanbul 1999, XX,211-212.

Serin, Muhittin, "ibnü'l-Bevvab", *DİA,* İstanbul 1999, XX, 534-535.

Uğur, Mücteba, "Deylemî, Şîrûye b. Şehredâr", *DİA,* İstanbul 1994, IX, 266. Vâfî, Ali Abdülvâhid, *Fıkhü'l-lüğa,* Kahire 1393/1973.

Yıldırım, Suat, "el-Ahrufü's-seb'a", *DİA,* İstanbul 1989, II, 175-177.

حقایقدان فرقان قدیم دقایق بیان قرآن کریم
زیور صحائف ارض وسما زینت کتبخانهٔ خدا ممتاز فصحای
عدنان سرافراز بلغای قحطان حبیب حضرت رحمان محبوب جناب
یزدان نبی آخر الزمان حضرت محمد مصطفی علیه افضل التحایا والتسلیم افندیمز
حضرتلرینک صحابهٔ چاریار کبار دینلریندن عنوان رشادتلری خلیفهٔ ثالث جامع القرآن عثمان بن
عفان نامیله معروف جهان ومعلوم زمین وآسمان اولان کان حیا معدن حلم ووفا کاتب وحی سما
حضرت ذی النورین رضی الله عنه الملک المولی ذات شریفلرینک مبارک خامهٔ فصاحت جامهلریله
نگاشته صحیفهٔ املا بیوردقلری کلام قدیم واجب التکریملرندن اولدیغی ظاهر وآشکار ومعلوم صغار وکبار
اولمغین مدت مدیده وسنین عدیده دنبرو خزینهٔ قاهرهٔ مصرده مکنون ومحفوظ وموجب یمن برکات اتخاذیله
ارکان واعیان مصرکه ومهمانلرینک تعظیم وزیارت وتکریم وقرائتلریله ممنون ومحفوظ اولدقلری مصحف شریف
فیض وسعادت دفینی اشبو بیک ایکیوز یکرمی التی سنهسی تاریخنده زیب مسند وزارت والی قاهرهٔ مصر محمد
علی پاشا حضرتلری طرفندن شهنشاه فلک تمکین شهریار معدلت آیین سلطان شریعت اجرا خاقان حکومت
فرما سلطان بن السلطان السلطان محمود عدلی خان ابن السلطان الغازی عبدالحمید خان ابد الله سلطنته
الی آخر الزمان حضرتلرینک بزم همایون شرفرسونلرینه تحفهٔ تکریم وهدیهٔ بهیهٔ لازم التعظیم وباعث فیض
وبرکات عظیم اولمق فال خیر سبیلیله ارسال اولنمغله کل شیء یرجع الی اصله سرینه اولوب وارث مخلفات [illegible]
وبالك تبرکات صحابهٔ کرین اولان محمود الفعال کرامت خصال حضرت پادشاه توفیق قرین نصرت کرین افندمزک [illegible] بن محمدی
اولدقلری بوکونه کرامتلریله دخی جلوه نما اولان بو مجسه سنیه شهود [illegible] قاهرهٔ مصرده محفوظ ومستور ایکن زمان سعد
اقترانلرینه واصل دست شاهانهلری اولمسی فال خیر وباعث فیض وبرکات عد ایلدکده بو نسخهٔ جلیلة الشان [illegible]
شان تبرکات معالی عنوانلری ایله [illegible] بیت الصحیفه [illegible] فخر جهان [illegible] ایله تعظیم وتکریمه [illegible]
ونماینجهما مطالعهسی بویورلان حضرت عثمان بن عفان رضی الله عنه الملک المنان حضرتلرینک خطیله اولان کلام قدیم واجب التعظیملرینه
جناب مستعان اعظم الشان وصاحب شریف حبیب رحمان ونبی آخر الزمان صلی الله تعالی علیه وسلم افندمز
حضرتلری آب روی مبارکلری حرمتیچون ظل الله پادشاه عالمپناه افندمز حضرتلری وجود عالم نمود
[illegible] شانلرینی بالصحة والعافیه طول عمر ایله معمر بیوروب ایدوب [illegible]
خواه شاهانهلریله قریبا وعاجلا مسرور
شادمان ومجموع دلخواه
همایون
فیض وقرونلریله کامیاب وکامران
وهر حالده اعدای دین ودولت
اوزرینه غالب منصور ومظفر ایله آمین بالعزة جد المرسلین
تحریرا فی سنة ست وعشرین ومائتین والف ۱۲۲۶